نواميس النعال

للشيخ السيّد :
محمّد الشّريف الحسني قدس الله سرّه

المجلس الصوفي لدراسة الشؤون المحمدية

π بِسْمِ الّلهِ الّرحمنِ الرّحيمِ ι

الحمد للذّات على مخلاها القرآني ، والصّلاة والسّلام على مجلاها الأناني ، ما تدنّى فتدلّى فاستوى بنعلوته على العلى ، وعلى أولي المثل الأعلى ، نزلة أخرى ..

أمّا بعدُ :

ففي زمن الغثاء والغوغاء والدّعاة الرّعاة ، زمنِ التّطاوّل والتّقاوّل .. باسم التّحضّر والتّحرّر ، الزّمنُ الّذي صار فيه كلّ من بلغ أشدّه واستوى ، يتجنّد في معسكر الشّيطنة والدّجل ، ليحترف الإساءة إلى جناب الحضرة السيّاديّة ، المعصومة عن هراء السّفهاء..

نصدع ونحن أبناء خاصف النّعال υ[1] ، بكلمة الحق والتّحقيق ، رافعين بند الخلافة متألّقا ، ونقشه " الله أكبر .. الله أكبر " .

لنصفع بها وجوها ، وندمدم بها قصورا ، ونقصم بها ظهورا ، ونقصف بها أقلاما ، ونكبت بها أفواها ، ونخسف بها عقولا ، ونقذف بها قلوبا .. [وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهُوقا] .

ألا فهذا شعارنا وهذا سلاحنا ، بل وهذا إيماننا وإحساننا ، وهذا مجدنا وذخرنا في الدّارين ، وماذا بعد الحق إلّا الضّلال .

صَهٍ يا دعاةَ الجهلِ يكفي مِن الهَزْلِ ... دَعُـونا يـا عُبّادَ السّيّاسَةِ والعِـجْلِ
لقد لاحـتِ إرْهاصاتُ بيتِ الفُتُوّةِ ... ولا بـــدّ من أوْبِ الأمورِ إلى الأهلِ
فـــإنّا أُولاءِ بالتّعلّـــق والــوَلا ... نُجهّـزُ للمهــــديّ بالقـولِ والفِـعلِ
صَـدعنا بسِرِّ النّعـلِ نَرفَعُ بَنْـدَهَا ... وحُـقَّ لنا الميراثُ عن خاصِفِ النَّعلِ
عليٌّ الذي حــــازَ العَـــلاوَةَ تَحْتَهَا ... فصارَ مِثالَ القُدسِ في الفضلِ والعدلِ

[1] . نقصد به سيّدنا علي υ مصداقا لحديث " إنّ منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، قيل أبو بكر فقال لا ، قيل عمر فقال لا ، ولكنّه خاصف النّعل يعنى. عليا وكان حينها يخصف نعل الحبيب ρ " رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه، وأبو نعيم ، وابن منصور وابن السكن والدارقطني وابن أبي شيبة والديلمي والخطيب والترمذي وابن جرير والضياء والهيثمي وغيرهم الكثير..."

ألا إنّــنا أبــناؤهُ وعبــيــدُهُ سنخدُمُها مِــن دون مَـهلٍ ولا هَمْلِ
فنحنُ همُ الأبوابُ يأمّــةَ الهوى وشــتّانَ مـابــينَ الأشِــعّةِ والظِّلِّ

تأسيس

- الأسّ 1

قلت ومقصودنا بهذه الرّسالة ، إضرام ثورة العرفان والوجدان ، بالذّات السيّاديّة المحمّديّة ، في زمن التّجرء على مقدارها العظيم ، لنصفع بالنّعال ذات الجلال ، وجوه أولئك السّفهاء ، فنمحقها ونسحقها ، ونقول لهم هذا بنّعله ، فكيف بحقيقته ρ ، قل موتوا بغيضكم .

بل وإنّ النّعل لتتسامى عن أن تصفعهم ، وهي كما قال الشّاعر :

قوم إذا صفع النّعال قفاهم قال النّعال : بأي ذنب نصفع؟

ولكنّ نيّتنا الأبلغ من هذا ، هي أن نعلل وجدان أحبابنا ، من عشّاق تلك الأعتاب النّعاليّة ، وإن كانوا قليلا ماهم اليوم ، في زمن التّرهات الوهابيّة ، ولكنّ الحقّ أكثر وأكبر ، فالحقّ هو الجماعة ، ولو من شخص واحد .

ولاريب أنّ أهل التعلّق بالحبيب ρ ، هم الذين قصدهم ρ ، بقوله (يا حذيفةُ إنَّ في كلِّ طائِفةٍ مِن أمَّتِي ، قومًا شُعْثًا غُبْرًا ، إيّايَ يُرِيدُونَ ، وإيّايَ يَبْتَغُونَ ، أولَئكَ مِنِّي ، وأنا مِنهُم ، وإنْ لَمْ يَرَونِي) . رواه" أبونعيم "

فهؤلاء هم أهل السنّة والجماعة ، هم أهل الحق الذين عناهم ρ بقوله " لاتزال طائفة من أمّتي ، ظاهرين على الحقّ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " رواه الشيخان .

فعلى مثل هذا كان ساداتنا الصّحابة ، على التّعلق والولاء وخدمة النّعال الشّريفة ، وعلى مثل هذا سيبعث الإمام المهديّ υ، الّذي سينصر الحقّ ، ويظهر الحقائق ، بماذا ياترى ؟ هل بالسخافة التّيميّة ؟! ، كلاّ وألف لا.. لا.. لا ، فإنّما هو من أهل البيت ، وليس من اليهود.

سيحمل نعل جدّه ρ عاليا ، ويصدع بالسّر جاهرا ، وراثة عن جدّه خاصف النّعل υ الذي قهر بالنّعل اليهود والمنافقين ، ونال من أسرارها غاية التّحقيق ، حتى صار للأتيّة بابا وحجابا .

هذا هو الإمام المهديّυ ، يامن تشمئزّون من سماع ذكره اليّوم ، وهو الّذي فيه أزيد من خمسين حديث نبويّ ، يا من تدّعون السنّة والجماعة ، هاهي السنّة فأين أنتم ؟! .

ولكن لاتزال في الأمّة بقيّة إن شاء الله تعالى ، فنحن جند النّعال الأوفياء ، ونحن عبيد النّعال الأصفياء ، نحن المحمّديون العلويّون المهديّون ، نحن من سيمهد للثورة المهديّة ، بالنّهج السنّيّ الصوفيّ التعلّقيّ الولائيّ النّعليّ ، وهذا هو شعارنا ، وشعار مولانا المهديّ υ .

فاللّهم إنّا نشهدك أنّنا أحباب حبيبك العظيم ρ ، وإنّنا نتودّد إليك بودّه وخدمته ، وإنّنا وأموالنا وأهلونا فداء لشسع نعله ، عبيد بأعتاب دوابه ، فاقبضنا اللّهم على هذا ، واحشرنا على ذلك ، آمين آمين آمين ، بجاه سيّدنا ومولانا الأمين ρ .

الأسّ 2

ليعلم اللّبيب البصير ، أن ما نرقمه من تحقيق ، عن تلك الحضرة النّعالية العالية ، إنّما هو محض تلويحات وإشارات ، إلى ما تواريه ورائها من كنوز ومخدرات ، ولسنا نقصد منها الجنس النّعلوتي المجرد . وهي كما قيل :

ونعل خضعنا هيبة لوقارها فإنّا متى نخضعْ لهيبتها نعلو
فضعها على أعلى المفارق إنّها حقيقتها تاجٌ وصورتها نعل

وقال آخر:

وما حبّ النّعال شغفن قلبي ولكنّ حب من لبس النّعالا

وهذا التّرميز يدريه أهل الحضائر والسّرائر ، أنّه أيّما حقيقة غيبية لا تظهر في هذه الدار الضيّقة ، إلّا بالإشارة ، والتقريب بالمثل ، لقصر الفهوم والمدارك الحسيّة.

وكذلك هو الهيكل النموذجيّ الأنفس ، ماهو إلا تنزّل ، فحاشاه ρ من هذه التصوّرات البشريّة ، وهو المنزه حتى عن التّشكلات الروحانيّة ، بل وعن التعينات الجبروتيّة .

فإنّه لما علم عجزنا وقصرنا ، معشر أهل الإمكان ، عن مباشرة سبحاته الحقانيّة ، تلبس تُزُلّاً بما تعهده كلُّ حضرة ، على قدر مداركها وقوابلها.

كما أنّ تنزلاته هي الأخرى ، قاهرة بسلطانها لكل المنازل ، وآخر ما تلبست به ، لباس الجسمانيّة الإنسانيّة ، وهو مظهر الإعجاز والإعزاز ، فكأنّ شعار يقول " نعلي هذه على هامة الإمكان " فحسبكم هذا المبتدى فأدركوه ، ثم ادعوا إدراك ماهيتي .

ثم لما كانت حضرة جسمانيته العظمى ، أكبر وأعز من أن ننازلها ، فما علينا إلا أن نستأنس بآثارها ، التي هي كالبرزخ ذي الوجهتين ، فهي من جهة من جنسنا ، ومن جهة أخرى ، تخدم أعتابه لتستسقي لنا من أنواره وأسراره .

فلذا إختار أهل العرفان ، التّعلق بجناب النّعلوت ، لما في ذلك من معاني الخضوع والتّذلّل ، والعجز والإحجام ، ولسان الحال ، يقول : هذه النّعال وهي أنزل تنزلاته ، فما البال بالهيكل الأعظم الأفخم ؛ فافهم .

الأسّ 3

وعادة ما يشار بحضرة النّعل عند أهل التّحقيق إلى أحد الوجهين : إمّا إلى حظيرة المبتدى ، أي مبتدى أقدامه المحمّديّة ρ ، وذلك بتعجيز العالمين ، في تعلّقهم وتحققهم بحضرته العليّة ρ . فكأنّها آية تحدّي لنا ، تقول : أمعشر من ادّعيتم مجارات قدمه الأزليّة الأنانيّة ، هادونكم سلطاني السّبّوحي المتنزّل ، فهل من مبارز وهل من مباري ؟ :

أنا نعلُ المختار هل مــن مُجاري أنا بنـــت الأنا والمـــنتهى جاري
أنا إن سَلْتَ عنّي أو سال سائل لا تُسائل سِــواي عــن أخباري
أنا ركـــبُ الأقـدام في الإقدام حيثُ لا حيثُ إعتمى السِّرُّ ساري

وكذلك تشير بوجهة أخرى إلى المنتهى ، أي منتهانا نحن معاشر الممكنات ، لكونها سدرة منتهى الخليقة من مسلك كلّ طريقة ، بل ومن مشهد كلّ حقيقة .

فتبَصَّــرْ بهـــا تَراها بُطونًا سِرُّها غَيبُ غيبِ طَورِ الحواس
مُـنتَهَى للنُّهى فناهِيك ناهِي شِـسْعُها أُفُقُ حضرةِ الأقداس

وهذان الوجهان ـ المبتدى والمنتهى ـ هما حقيقة النّعال العليّة ، فحيثما ذكرناها فإنّما نقصد أحدهما ، والقضيّة كلّها ماهي إلّا من قبيل الإشارة ، على منوال أهل التّلويح بالحقائق والأسرار .

وصل به

والمقصود من الوجه الأول مضربان :

أحدهما في التّذلّل والخضوع تعلّقا وتعشّقا بالحبيب ρ ، وذلك كالتّوسّل له والإستعطاف ، وبالتّذلّل يسترضى السّادة والأحباب . ولقد قيل :

تذلّل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضي المحبوب صحّ لك الوصل

وقال سيدي ابن الفارض قدس سرّه :

لوْ قالَ تِيهاً : قِفْ على جَمْرِ الغَضا		لَوَقَفْـــتُ مُمْتَثِلاً ، ولمْ أتَـوَقّـــفِ
أوْ كانَ مَنْ يَرْضَى بخدّي مَوْطِئاً		لَوَضَعْـــتُهُ أرْضاً ، ولمْ أسْتَنْكِـــفِ

والمضرب الآخر في الإعجاز ، كأن تقول أنتم لا تقاسون بنعله الأسمى ، ولا تقدرون على مكافحتها وإدراك كنهها ، فكيف تتطاولون على حضرة ذاته الكبرى ρ . يقول الشاعر :

يطاولني من لستُ أرضاه موطئاً		وأُكْرِمُ نعلي أنْ أقيسَ به نعلي

وقلت :

هيهات يا مـــن تـنكرون حالي		أولى لكم أن تخدمـــوا نعالي

الأسّ 4

ألا وإنّ ذا البصيرة يشهد عينا ويعلم يقينا ، مايسري من أسرار في تلكم الآثار المقدسة ، بشرف إنتسابها إليه ρ .

فإن لأنواره الظاهرة قدرة باهرة ، وهي التي خامرت كيان الجمادات ، فخشعوا ولانوا ، وانجذبوا مالم ينجذب أهل الإحساس ، والشاهد على ذلك قصة الجذع ، وجبل أحد ، والشجرة ..

كيف لا وإن نسيم نفحاته الرحموتيّة ، هو الذي يمد الوجود بالقيوميّة والحيويّة ، ولله درّ الامام البوصيري قدس الله سره إذ يقول :

لوناسبت قدره آياته عـــظما		أحي اسمه حين يدعى دارس الرمم

إذا فما بال حال نعاله الكريمة ، وهي التي تتشرف بخدمة أقدامه الأقدسيّة ، بكرة وعشيّا ، ألا يخامرها ما خامر الجذع وأحد ، الذين زكاهما ρ وضمن لهما المكانة العالية ، فضمن للجذع الجنّة ، وأثبت لأحد مزية حبه حيث قال روحي له الفداء : { أحد جبل يحبنا ونحبه} .

وما على الله العزيز بعزيز ، أن تكون للنّعال العزيزة آيات ، كما كانت في خاتم سيّدنا سليمان υ، وعصى سيّدنا موسى υ ، فما هم بأولى منه ρ حيث تزكّت بهم تلك الجمادات ، وسرت فيها أنوارهم وأسرارهم . فوحقّ النّعل ، للنّعل أحق بهذا وأكبر .

ومن الإشارات البليغة في هذا المنحى ، قوله سبحانه حكاية عن السامريّ [فقبضت قبضة من أثر الرّسول فنبذتها] .

أنظر كيف خرقت له العادات وحلّت عليه الكرامات ، بتعلّقه بتراب حافر فرس سيّدنا جبريل υ . كما جاء في تفسير الطبري : عن سيّدنا ابن مسعود τ أنّه كان يقرؤها [فقبضت قبضة من أثر فرس الرّسول] .

وقال سيّدنا ابن عباسτ وألقي في روع السامري أنّك لا تلقيها على شيء فتقول: كن كذا وكذا إلا كان ، ولقد ألقى القبضة على حليّهم ، فصار عجلا جسدا له خوار . اهـ

وفي قوله [بصرت بما لم يبصروا] إشارة دقيقة ، وهي علمه بأسرار النّفحات المودعة ، عند المقربين .

قلت : فإذا كان هذا بأثر حافر فرس الملَكِ ، فما بالك بنعال سيّد الوجود ρ ، إن تعلقنا بها وهي التي كان سيّدنا جبريل نفسه من خدمها ولا يزال ، فما لنا لا نقدر الحبيب ρ حق قدره .

الأس 5

وأما إن تنزلنا في المقاس ، فعلى الأقل نجعل لها مكانة في قلوبنا ، كما لسادتنا الصحابة الذين خدموه ρ ، حيث أنّها تشرّفت بخدمته الخاصة ، ومباشرة من دون حجاب ، فما كان لساداتنا الأصحاب ذاك القدر وتلك الحقوق ، إلّا لِمَا قدّموه من تعلّق بذلك الجناب الأكبر .

أوقل أن نشهدها كأهل البيت عليهم السلام الذين هم تنزل عن جسديته ρ كما هي حضرة النّعال كذلك ، لكونها من متاع البيت النبوي ، الذي تشرّف بالنسبة ، وتزكى بالتعلّق المباشر .

وكلّ هذا يجوز في معرض التنزّل ، أمّا في التّحقيق فهذا محال ، لأنّنا حينما نشير بسيّادة النّعال ، فإنّما نقصد بها حضرة مبتداه ρ ، وهنا لايقاس بها حتّى أولو العزم من الرّسل .

الأسّ 6

وأمّا المؤلفات في هذا الفن ، فالتحقيقيّة العرفانيّة لاتوجد ، وأمّا الظاهرة فقد اهتم بها جمهور من أهل السنّة والجماعة ، وخصوصا المتصوفون منهم ، تفنّنا وتنفّلا في التعلق بحضرته المحبوبة ρ ، فمن مؤلف ومن مسند لفضائلها ، ومن مادح ومن راسم لمثالها ..

ومن جملة من ألف فيها ...

* الإمام المقري رحمه الله : له ثلاثة تآليف "فتح المتعال في مدح النّعال " وهو خير ما ألف في هذا المجال ؛ واختصره في كتاب سماه "النفحات العنبريّة من وصف نعال خير البريّة" وكان قد كتب قبل ذلك "نفحات العنبر في وصف نعل ذي العُلى والمنبر" .
* وقد أفردها الحافظ بن عساكر رحمه الله بالتّأليف ، وصنّف فيها جزءا مفردا .
* وللإمام السيّوطي رحمه الله رسالة تسمى "خادم النّعل الشّريف " ذكرها في فهرس مؤلفاته .
*وكراسة لبعض المغاربة السبتيين المغاربة ، مشتملة على مقطّعات تقرب من الثلاثين ، كما حكاه المقري .
* ولأبي الرّبيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعيّ رحمه الله في مثال النّعل جزء حافل ، ضمّنه نظما ونثرا سماه : نتيجة الحب الضميم وزكاة المنثور والمنظوم .
* ولأبي إسحاق إبراهيم بن الحاج الأندلسي رحمه الله رسالة فيها .
* وللسراج البلقيني رحمه الله رسالة سماها "خدمة نعل القدم المحمديّ ".
* وهناك رسالة تسمى "جلاء الأبصار في صفة نعل النبيّ المختار ρ ، ولا أدري لمن هي .
* ولرضي الدين محمد عبد المجيد رحمه الله رسالة سماها بـ" المرتجي بالقبول خدمة نعل الرسول " ، قال في مقدمتها : وبعد فيقول أحقر خدام نعل النبيّ الأحيد ، رضي الدّين أبو الخير محمد عبد المجيد ..
* وكتاب " نور العينين في تحقيق النّعلين " لأبي عبد الله محمد بن عيسى المغربي رحمه الله .
* وكتاب "بلوغ الآمال إختصار فتح المتعال " للإمام النبهاني رحمه الله .
* وفي عصرنا هذا قام الشيخ أشرف علي تهاوي الهندي بتأليف كتاب و بحث خاص في الموضوع عن التداوي بنعال النبي ρ نال بها الدكتوراه سماها "نيل الشفا بنعل المصطفى ρ" وقد بلغت الكتب و المصنفات في نعل الحبيب ρ على ما قاله بعض الباحثين المعاصرين إلى أكثر من خمسين مصنفا .

وقد اجتهد في تحقيق مثال نعاله الأريحية ، بالبحث في كتب السير أئمة فحول من الحفاظ وكبار المحدثين . فمنهم مثلا : إبن العربي ، وابن عساكر ، وابن مرزوق ، والفارقي ، والسيوطي والسّخاوي ، والتتائي ، والعراقي ، والنبهاني ، والكتاني رحمهم الله ورضي عنهم ...

وامتدحها عليها السلام ثلة من الأدباء المبدعين . كأبي الحسن البلانسي ، و بن عفير ، والشرف الطنوبي ، وبن المرحل السبتي ، والحافظ بن الأبار القضاعي ، والحافظ أبو الربيع الطلاعي ،

وأبي الحسن الرعيني ، وأبي الحسن الخزرجي ، والامام ابن الجزري ، والحافظ بن رشيد الفهري ، والعلامة أحمد المقري ، والمحب النبهاني ... وغيرهم الكثير ممن لهم القصائد الطويلة ، المشتملة على عظيم الثناء ، والتوسل والتبرك بمثال نعله المجيدة ρ .

نقشها الظاهر

وهذه باقة من سيرة النّعال الزاهرة ، وإن لم يكن مقصودنا هنا إلّا التّحقيق ، ولكن لا بأس بهذا للإستئناس ، فإنّ الوجدان لايرتوي من ذكر المحبوب .

لِكُـــلِّ امْـــرِئٍ مُـــشْتَهَى قَلْبِـهِ وَهَـــلْ يُذْنِبُ القَلْبُ فِي حُبِّهِ
فإنْ كُنتَ تَقْـوَى عـــلى سَـلْبِـهِ فَأَنْـــقِظْ فُـــؤادِيَ مِـــن ذَنْبِهِ
هِيَ الرُّوحُ والقَلْبُ ماءُ العُيُونْ

قال الإمام القاري في " جمع الوسائل في شرح الشمائل " : النّعل قد يجيء مصدرا وقد يجيء إسما ، وهو محتمل للمعنيين هنا ، والثاني هو الأظهر . اهـ
وقال العسقلاني : وهو يطلق على كل ما يقي القدم ، وهي مؤنثة . اهـ
وقال ابن العربي : والنّعل لباس الأنبياء ، وإنما اتخذ الناس غيره لما في أرضهم من الطين ، ولعله أخذه من قوله تعالى : (فاخلع نعليك] مع ما ثبت من لبس ρ للنعال ، وفي حديث مسلم " : استكثروا من النعال فإنّ الرجل لا يزال راكبا ما انتعل .
وقال ρ : أمرت بالنّعلين والخاتم (الشيرازي و الخطيب والضياء)
وروي أن من أسمائه ρ في الكتب القديمة " صاحب النعلين " كما روى البيهقي عن مقاتل بن حيان قال أوحى الله عز وجل إلى سيّدنا عيسى υ.. إني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول ، صدقوا النبيّ الأميّ العربيّ ، صاحب الجمل ، والمدرعة ، والعمامة ، والنّعلين ، والهراوة .. "

وجاء في الحديث أن أعرابيا نادى سيّدنا رسول الله ρ بقوله : " يا خير من يمشي بنعل " .
وروى الشيخان عن عبيد بن جريج أنه قال لسيّدنا ابن عمر τ : (رأيتك تلبس النعال السِّبْتِيَّةِ !، قال : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ρ يَلبسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيْهَا شَعَرٌ وَيَتَوَضَّوُّ فِيْهَا ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَن أَلْبَسَهَا) .

وأخرج الحافظ ابن حجر في الاصابة مانصه : حدثنا زياد أبو عمر قال دخلنا على شيخ يقال له مهاجر ، وعليّ نعل لها قبالان ، وكنت أريد تركه لشهرته ، فقال لي لا تتركه فإنّ نعل النبيّ ρ كان لها قبالان .

وأخرج ابن ماجه من حديث عيسى بن طهمان ؛ قال : (أَخرجَ إِلينَا أَنَسُ بن مَالِكَ نِعْلَيْنِ جَرِدَاوَيْنِ لَهُمَا قُبَّلان } قال : فحدثني ثابت بعدُ ، عن أنس أنهما : كانتا نعلي النبي ρ .

وروى ابن ابي الدّنيا عن عدي بن الفضل قال : قال لي أيوب : أحذ نعلين على نحو حذو نعل رسول الله ρ قال ففعلت .

وروى عبد الله الأصبهاني في كتاب " أخلاق النبي ρ و آدابه " عن يزيد بن أبي زياد قال رأيت نعل النبي مخصرة ملسنة لها عقب خارج .

وروى ابن سعد " الطبقات الكبرى " عن سيّدنا أنس بن مالك أنّ النبيρ كان لنعله قبالان ، من سبت أي ليس عليها شعر .

وعن عبد الله بن الحارث قال كانت نعل النبي ρ لها زمامان شراكهما مثني في العقدة .

وعن هشام بن عروة قال رأيت نعل رسول الله ρ مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان .

وفي " الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام " لعبد الرحمن السهيلي قال :

وجاء في صفة نعل النبي ρ أنها كانت معقبة ملسنة مخثرمة ، والمخثرمة : التي لها خثرمة وهو كالتّحدير في مقدمها ، وكانت نعله من سبت ، ولا يكون إلا من جلد بقر مدبوغ .

فصل

وأمّا عن أطوار تواجدها في العالم المحسوس ، فقد تضاربت الروايات في ذلك ، وإن كان هذا ليس بالّذي يمسّ في مكانتها ، ولا من واجب حقوقها علينا .

ذلك لإنّ هذه الآثار النبويّة العزيزة ، قد واجهتها تيّارات متطرّفة عدّة ، فمن أعداء يريدون طمسها ، ومن ملوك يودّون اقتناءها ، ومن تجّار يرغبون في الربح منها ، ومن كذّابين مزوّرين يدّعون إرثها .. فكلّ هذه العوامل وغيرها ، هي التي أثّرت في تاريخ تلك الآثار الشّريفة .

وإنّ النّعل الكريمة من تلك الآثار ، علما بأنّه لم تكن لمولانا الحبيبρ نعل واحدة ، وأنّ آثاره حفظتها الأمّة بجدّ من بعده ، وأنّ مابقي منها ما بيننا ، إنّما هو الأثر لا السّرّ ، لأنّ أسرار الآثار

النبويّة كلّها ترفع مع أصحابها ، واقرأ إن شئت آية التّابوت [وبقيت ممّا ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة] هذا وإن كانت في الحسّ ظاهرة الأثر .

وكم سمعنا مثل هذا التنزّل لآثار الحبيب ρ ، كما تنزلّت آثار الأنبياء من قبل ، فكأيّن من عارفين خلع عليهم ρ بردته الشّريفة ، أو نعله اللّطيفة ، أو عمامته المنيفة ، أو سيفه العزيز ..

وصل به

وأمّا ما وعاه لنا التّاريخ ، من آثار النّعال النفيسة ، فهو كثير ونذكر منه :
ماروه الترمذي في " الشّمائل "عن عيسى بن طهمان قال : أمر سيّدنا أنسτ وأنا عنده ، فأخرج نعلا لها قبالان ، فسمعت ثابتا البناني يقول : هذه نعل النبي ρ .

وروى ابن سعد " الطبقات الكبرى " عن سيّدنا جابرτ أن محمّد بن الحنفيّة τ أخرج لنا نعل سيّدنا رسول الله ρ فأرانا معقبة مثل الحضرمية لها قبالان .

وما جاء في طبقات الحنفية في ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم البخاري الفضلي من أهل بخارى من بيت العلم ومن أحفاد الإمام أبي بكر محمد بن الفضل ولي الخطابة بجامع بخارى مدة قال السمعاني كتبت عنه ببخارى ولما دخلنا داره للقراءة عليه أخرج لنا نعل رسول الله ρ وعصاه بنصفين وقطعة خشب وقال هذا من قصعة رسول الله ρ ورثناه أبا عن جد من مائة وخمسين سنة فتبركنا بذلك .

وقال الأسدي في تاريخه في سنة خمس وعشرين وستمائة في ترجمة نظام الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي: مولده بدمشق وهو من بيت مشهور وروى منهم جماعة وفيهم خطباء وعلماء وحصل كتبا وجملة من الكتب النفيسة.

ثم قال : وكانت معه فردة نعل النبي ρ ورثها من آبائه والأمر فيه معروف فإنّ ابن السمعاني ذكر أنه رأى هذا النّعل لما قدم دمشق عند الشيخ عبد الرحمن بن أبي الحديد سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان الأشرف يقربه لأجل أن يشتريه منه ، ويضعه في مكان المارة حتى يزار ، فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له منها قطعة ، ففكر الأشرف أن الباب يفتح في ذلك ، فامتنع

من ذلك ، ثم رتبه الملك الأشرف بمشهد الخليل المعروف ـ بالذهبانية ـ بين حران والرقة ، وقرر له معلوما ، فأقام هناك إلى أن توفي ، وأوصى بالنّعل للأشرف ، ففرح بها فأوقفها بدار الحديث الأشرفية .

قال : ولم يزل بدار الحديث إلى الفتنة التمرلنكيه ، فأخذه التمرلنك وأخذ الفردة الأخرى من المدرسة الدماغية ، وكان العلامة بدر الدين ابن مكتوم رحمه الله يقول : إنّ الّتي في الأشرفيّة اليسار وإنّ الّتي في الدّماغيّة اليمين ، وكانت الشهرة للتي في الأشرفية لشهرة مكانها وخفاء مكان الآخرى ، فأخذ التمرلنك الفردتين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أهـ

وذكر في البداية والنهاية .. أنّ في ليلة النصف من شعبان من ذاك العام ، فتحت دار الحديث الأشرفيّة المجاورة لقلعة دمشق ، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي ρ .

وذكر الشيخ عبد السّلام القادري في(نشر المثاني) : أنّه يوجد بجوزة الأشراف الصقلّيين الحسينيين ، الذين هم بفاس (نعل شريف) ، كانوا قد ورثوه عن أجدادهم .

وذكر الشيخ عبد الكريم المدرّس في كتابه " علامائنا في خدمة الدّين " :
أنّه توجد ببلاد الأكراد ـ بالعراق ـ قرية تسمى (سولهتاباد) وهي مسمّاة على النّعل الشريفة ، المحفوظ هاهناك عند بعض الأشراف ، والنّعل يسمى عند الأكراد بـ (سول) .. اهـ

و يذكر المترجمين من الأعاجم ، أنّه يوجد " نعل شريف " ببلاد باكستان في وسط مدينة لاهور عاصمة البنجاب وذلك في مسجد "بادشاهي" .

وأمّا النّعل المشهور الآن هو ذاك الذي إقتنته الدولة العثمانيّة ، وحملته في موكب حافل من الحرم النبوي إلى تركيا ، وكان ذلك بأمر من السّلطان فخري باشا ، وهو آخر حكام آل عثمان على المدينة المنورة ، قبل زوال سلطانهم عليها إبان الحرب العالمية الأولى ، حيث عمد إلى إدخال قطار الحجاز إلى أقرب موقع ممكن من المسجد النبوي الشريف ، ثمّ نقل هذه الكنوز إلى تركيا ، خيفة لعب الأيادي الوهابيّة واليهوديّة بها .

وقد خصّص لذلك قطار سماه (قطار الأمانات المقدسة) وذلك عام 1335 هجري الموافق 1917 ميلادي ، وصورة القطار إلى الآن موجودة .

وجعلت هذه التحف المقدّسة ، في غرف خاصة جدّا في القصر السلطاني ، وهي إلى الآن محفوظة في متحف " قصر توب كابي " وهناك عدّة آثار بذلك المتحف ، ومن ضمنها تلك النّعال المقدّسة ، التي حفظها الله بعنايته للأمّة ، وإلّا للحقتها الأيادي الوهابيّة النّجسّة .

وصل به

وإنّ من شديد تعلّق سلفنا بحضرة النّعال ، أنّهم لمّا غاب عنهم عينها ، إجتهدوا في التّعلق بمثالها ، حيث أنّه تسلسلت روايات المثال عند المحدثين ، كابرا عن كابر ، حتّى إلى من رآه ، أو من كانت عنده النّعل الشريفة .

وأدل شاهد على ذلك كتاب " جزء مثال النّعال " لابن عساكر ، الذي أسند فيه تسلسل رواية مثال النّعل الشّريف ، منه حتّى إلى التابعين ثمّ إلى الصحابة ، وقد إستجازه منه جمهور المحدثين ، حتّى وصلت إلينا نحن روايته ولله الحمد .

و كذلك هناك جزء" تمثال نعلي النبي ρ" لأبي روح الهروي ، و كتاب "اللآلي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى وصف مثال نعلي رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام" لعبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي الأندلسي ، وغيرهم العديد ...

وهذا الحافظ العراقي رحمه لله تعالى ، يمثله لنا في " ألفية السيرة النبويّة " :

وَنَـعْلُهُ الكريمَـةُ المَصُونَهْ ... طوبى لمـن مـسَّ بها جبينه
لها قِبَالان بِسَيْرٍ وهما ... سبتيتان سَيّتوا شَعْرهما
وطولها شبرٌ وإصبعان ... وعرضها مما يلي الكعبان
سبعُ أصابع وبطن القدم ... خمسٌ وفوق ذا فَسِتٌّ فاعلم
ورأسها محددٌ وعرضُ ما ... بين القبالين اصبعان اضبطهما
وهذه مِثالُ تلك النّعل ... ودوْرُها أكرِمْ بها من نعلِ

ولقد دأب ساداتنا من قبلُ ، على رسم المثال الشّريف ، إمّا على هيأته المرويّة ، أو طبقا لشهادة من زاره ، فكلّ أحد يرسمه على رسم الآخر ، ولا زال ذلك ديدن العارفين والعلماء الربّانين ، فضلا عن العوام المحبين ، فبقيت تلك الخصلّة الحميدة ، شائعة طوال عصور الأمّة .

وأمّا اليوم وفي الوقت الذي يسعى فيه ، اليهود والوهابيّة إلى طمس معالمه ρ ، سخر الله تعالى لنا هذه الآلات التصويريّة ، التي صورت لنا النّعل اللطيفة ، طبقا للأصل الذي في مزارتها ، وخصوصا التي بدولة تركيا ، فلا زالت تنشر عبر وسائل الإتصالات والإعلام ، ويتبادلها المحبون من موقع إلى موقع ، ومن حاسوب إلى حاسوب ، ومن هاتف إلى هاتف ..

]

تحقيق[

إعلم أنّ نسبة النّعل إلى الحبيب ρ وغيرها من الملابس ، ماهو إلّا في هذه النشأة الجسديّة الآدميّة ، وذلك لمّا تنزل لنا بزيّنا ، وأمّا حضرته الروحانيّة والحضرة الحقانيّة ، فإنّهما متنزّهتان عن هذه الكثافة .

ولكن قد تجدنا نشير بها تمثيلا باستعمال معناها فقط ، كأن نقول أنّ روحه الأقدس إنتعل الحضرة مثلا وهكذا ، وأمّا النّعل فحيثما أطلقناها نحن في مصطلحاتنا ، فإنّما نقصد بها النّعل الجسدية لاغير ، وهي كفيلة وحدها بإعجاز الوجود وتحديه .

وكذا إنّه مع كل ما اتّصفت به تنزلاته ρ من فخامة وعظامة ، إلّا أنّه متنزّه عنها بحقيقته ρ ، ولا بد علينا أن نسبّحه ونقدّسه عنها ، ولو تظاهر هو تواضعا بها .

كما أنّه لايجوز لنا أن ننسب له ، مالم يتظاهر به من تنزّلات بمحض القياس ، فإنّ ذلك مناف للأدب معه ρ ، فلو لم يلبس النّعال مثلا ، لما تسنّى لنا أن ننسبها إليه أدبا ووقارا ، ولو أنّها حينما تضاف إليه تتزكّى من وصمة الأغيار ، وتتّسم بصبغة الأنوار ، كما هي عليه الآن .

كما أنّنا لسنا نقصد بالنّعل نعلا معيّنة ، وإنّما كل ما انتعلته القدم المّحمّديّة ρ ، من يوم الظهور الجسدي في هذه الدار، إلى يوم الإنتقال إلى الرّفيق الأعلى سبحانه ، سواء كانت تلك النّعال موروثة إلى الآن ، أم لا .

لأنّنا إنّما نبحث عن المعنى ، وليس مقصودنا المحسوسات ، كيف ونحن الذين تجدنا في مواطن أخرى ، نتزهه ρ حتّى عن لباس الأسرار ، فضلا عن كسوة الأنوار ، بله انتعال الآثار.

{ سرّ لباسه ρ }

وما يدريك أيها المحقق المشاهد ، ماسرى ويسري من يوح التجليات ρ إلى ما يحيط به من كسوته الطّاهرة ، بل إنّه بمجرد أن يختار لباسا ، وينظر إليه بنظر العناية الأنانيّة ، فإنّه يتقدّس ويتلطّف ويتعزّز ، فكيف به إذا مالبسه ، واستقى من صبغة جماله وجلاله وكماله ، لحظة فلحظة ، فيا للحرمة ويااللقداسة .

وهذا سيّدي عبد الواحد بن زيد ـ من رجال الحلية ـ يقول: نمت عن وردي ليلة، فإذا أنا بجارية لم أر أحسن وجهاً منها عليها ثياب حرير خضر، وفي رجلها نعلان تقدس بأطراف أزمتها فالنعلان يسبحان والزمامان يقدسان، وهي تقول: يا ابن زيد جد في طلبي فإني في طلبك..

قلت : فإذا كانت نعل جارية بهذه القداسة والنّفاسة ، التي تبهر القلوب والألباب إذا تجلّت ، فما بالك بنعل أسّ الجمال ρ ، ولكن لولا الحجاب ، لرأينا العجب العجاب .

ويؤيّد هذا قوله ρ كما في الصحيح : (لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك ، ولأذهبت بضوء الشمس والقمر ، ولنصيفُها ـ يعني خمارها ـ على رأسها خير من الدنيا وما فيها] فلإنّ كان هذا بالجزء ، فكيف بالكلّ ρ .

فوحقّه العظيم ، إنّ صناديد المقاعد العنديّة ، لتترجى خلعة النّعال ، كي تتوج بها في تلك المحاضر ، وذلك لما يشاهدونه عليها ، من نفائس النّفحات وأرقام الفتوحات .

وإنّ لسان مقامهم المتربي في حجر " أدّبني ربي فأحسن تأديبي " إنّما يطلب تجليّات ألطاف النّعال ، تحققا منهم بقدم الخدمة والعبوديّة ، ولعلمهم أنّها سدرة منتهى عروجهم في الأدراج المحمّديّة ، فمهما ترقوا يشاهدونها سقفهم ، بل هي زمام جذبهم إلى تلك الحجور ، التي لم يكونوا بالغيها إلّا بشق الأنفس .

وإذا كانت خلع الصالحين من ورثته ρ ، تفتح أقفال القلوب وتنور ساحات النّفوس ، فما بالك ببحر إمدادهم ρ .

وهذا الشيخ علي بن ادريس اليعقوبي قدس سرّه يقول أخذني سيدي علي بن الهيتي قدس سرّه إلى سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سرّه وقال له : ياسيّدي هذا غلامي ، فخلع الشيخ علي ثوبه ، وقال لي لبست ثوب العافية ، فمنذ أن ألبسنيه خمس وستون سنة ما حدث لي فيه ألم أشكوه .

ثم قال له سيدي علي : إني أطلب منك له خلعة باطنيّة ، فأطرق مليّا ، فرأيت بارقة من نور صدرت عنه ، واتّصلت بي ، فرأيت في الوقت الحاضر ، أصحاب القبور وأحوالهم ، والملائكة في مقاماتهم ، وسمعت تسبيحهم بلغاتهم ، وكشف لي عن أمور جليلة ،كشفا جليا .
ثمّ قال لي: خذها ولا تخف ، فقال له سيدي علي : أخاف عليه زوال العقل ، فضرب بيده على صدري فسكنت ، ولم أرتع لشيء بعدها ، وأنا إلى الآن منذ ذلك الحين ، أستضيء بنور تلك البارقة[2] .

كنه

النّعلوت

ألا إنّ النّعال هي : لباس تلكم القدم العليّة الأوليّة ، الشّريفة المنيفة المعظمة المطلسمة ، ذات العروج والولوج ، والمراقي والإرتتاق ، فمن يا ترى يجاريها أو يحاذيها ، في مضمار السباق .
فلاريب أنّها خزانة الكنوز وجدار الرّموز ، يكمن في صدوفها وأكمامها ، كل سرّ تنزلي فرقاني هيكلي ، ثم يفصل على حسب المناظر والمنازل ، والقوابل الإمكانية ، تبطنها ماهية رقمية ، كالاسم على المسمى ، والطلسم على المعمى ؛ فلاجرم أنّها المنتهى .

فهي الحجب ذات الإياة والسبحات ، الداهيات الناهيات ،الثائرات الغائرات ، المحيطة كالأسوار والجدران ، حول حمى الحرم النزلي ، فهيهات هيهات .

فتلك القبلة النحنيّة الصمدانيّة ، الجامعة لسر المجالات والتوجهات ، وكل الصّيد في جوف الفرا ، وإلّا فمن يهدينا إلى فلك عرش الجسمانيّة ، غير يوحما الشّارقة الخارقة ، فدونك أيها المحقق فول وجهك شطرها ، فإنّ الحقائق حفت بالضّلالات .
وهي المشكاة الزجاجية الأنموذجية ، التي تجمعنا بالأقدام اللاهوتية ، فما الكعبة الإبراهيمية ، وما الشجرة الموسوية معها .

فإنّها سدرة منتهى العالمين ، السالكين منهم والعارجين ، فإليها تنتهي الرفارف العزمية ، فضلا عن من دونها من البوارق الهمية ، وأمّا دون هذا فأولى .

---

[2] - بهجة الأسرار ومعدن الأنوار" للشيخ علي الشطنوفي "

وهي مجلى الظهور بالنور ، المعربة عن الأثر الأعجمي ، إذا ما ارتسمت خطوطه على صفحات الآفاق ، تعكسه كالمرآة المقابلة للوجه ، والصورة المنقوشة من الكنه .

وهي منهل ورود المريدين والمرادين ، في كل إمداد ينزل من سماء الجود على أرض الوجود ؛ ودولاب الإفاضات ، على حسب القوابل والاستعدادات ؛ فرياض الملكوت بزهر جمالها مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنوارها متدفقة ، ولا شيء علا أو نزل ، إلا وهو بمركزها منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط .

فهذه وسيلة الوصول ، ورابطة الفصول بالأصول ، والباب المحيط اللازم للدخول ، فلا ترى يستنكف عنها، ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل تراهم عكفا على الأعتاب ، إذ ما الحضرة إلّا من كثيب غبارها ، تحت ظلال أنوارها .

فهيهات هيهات ... فعبثا نحاول إحصاء الكمالات النعليّة ، وهي ذات الأسرار والبطون اللامتناهية .

ولخطر وحرمة إفشاء الأسرار ، يجب علينا ، أن نمسك عنان الأقلام ، فعلوم الإلهام تستنكر من الأفهام ذوات الأوهام .

[تبصرة]

إعلم أنّ كل ما سنرقّمه من حقائق في كمالات النعلوت ، إنّما هو كالإشارة إلى حضرة بداية مولاها ρ أو قل إلى حضرة البرزخ الفاصل مابيننا وبين عليائه ρ .

لأنّه كان ولا بدّ أن يكون ، هذا المجال المحدد للمعالم ، ليميز الحقيقة من الخيال ، فلك أن تسمي هذا الحد بماشئت ، المهم أنّه يدل على بديهته ، وليس مبتدى حقيقته ρ فحسب ، بل حتّى حضرة جسمانيته ، كما أشار إليها السيّد الكتاني قدس الله سرّه .

إذا فكل ما ننسبه إليها من كمالات ، ما هو إلّا تمثيل لحضرة البدهوت ، فليس العماء والإطلاق والهوية فيها ، كما هو في نسبته إلى المحتد الأكبر ρ ، ولكنّه على منوالنا نحن معاشر المكنات ، ذلك لمّا كانت آية منزّلة لتحدّينا ، وبرزخا منصوبا ليهدينا .

نعلوت

الهَويّة

ألا وإنّ حقيقة هذه السّبحة المحجّبة ، هي خلاف لصورتها المتنزّلة ، فليست تقدّست من جنس الآثار ولا الأغيار ، وإنّما هي درّة من جواهر الأسرار ، مزمّلة بنفائس الأنوار .

فما مقصود العارفين بها ، مجرد الجلد المدبوغ ، وإنّما ما سرى في ذرّاته ، من ألطاف جماليّة وجلاليّة وكماليّة ، وبذلك جعلوها إشارة وعلما على بديهة القدم الأعلى ρ ، وحمّلوها من الحقوق والكمالات ، كلّ ما يلزم حضرة المبتدى .

فكانت كآخر مجلى تنزلي ، عن السّلطات المحمّديّة ρ ، وصارت هي الباب والسبيل والوسيلة اللازمة للإتصال ، بذاك الجناب الأفخم ابتداءً .

أنا لستُ مِن جنسٍ ما تصفون أمّا اسمي فليس ذاك بعاري
أنا لستُ مِنَ الدّنا ولا أُخرى إنّــــني فيها أُداري يـاداري
أنا مما لا تُبـــصرون وما لا .. أنا حيثُ الأقدام تِـلكُم داري

وإنّ لها في المدارج مقاما ، وما لمقامها من حدّ ولا غاية ، وما ندري عنه إلّا أنّه تحت أقدام المبتدى ، وفوق هامات المنتهى ، فمن أراد أن يحقق إدراكه ، فليتعرف أوّلا : على سلطة القيدموت ، التي هو مستواها ومبتداها ، وليتعرّف ثانيا : على حضرة الوحوت ، التي هو محتدها ومنتهاها ، فلعلّك حينها أن ينجلي لك كنهها ، وأنّى لك بتلك الحضرتين الغريبتين .

ومع هذا وذاك ، هو لازال في تحقّق وتكمّل ، بملازمته للقدم الأمّيّ ، الّذي لاينفك يترّق ويتطلّق ؛ نزلة فنزلة أخرى .

وإنّه ما في إمكان أولي العزم ، ولو تحقّقوا بالصبغة الشّراكيّة ، أن يتخطّوا حرم الشّسع الرّفيع ، والمثل يقول " مهما تطاولت العين فالحاجب فوقها " ، وكيف وإنّهم في قوام عزائمهم ، ومدادا معارجهم ، عالة على إفضالاتها سرمدا .

فلاجرم أنّها في مخدعها المصون ، غرب تلكم الحضائر اللاهوتيّة ، وإنّ سلاطين الجبروت ، عكّفا وقوفا على أعتابها ، ويرتجون أن تطلّ عليهم من غيهبوتها ، ولو من وراء حجاب .

فَلَـو تَرى إذْ صُفّتِ الأرْسالُ وَهَـتَـــفُوا عَـطْفاهُ يا نِعالُ
فَـكَـــبَّروا بِـوُدِّها كُبـارا وسَجَـدُوا لِحُسـنِها جِـهارا
يَتْلُـون آيَـةَ الوَحى غَراما وَقَـفًا عـلى أعْـتابِها دَواما

نعلوت

الإطلاق

أجل إنّ لون الماء لون إنائه ، وتلكم الحضرة هي : مستوى تنزلات الأقدام الكبرى ، ولاتزال إلى أبد الآباد ، تنسج على منوال عظموت محتدها ، لتكون له أرحب عرش وأسوى وأعلى .

فلا الكشف ، بل ولا الشّهود بما له من حدّة وحيطة ، بالّذي يحدد معالمها اللاهوتيّة ، سيّما إذا غابت تغور في غابات القيدموت .

أنا نعلُ المختار هل مــن مُجاري — أنا بـــنت الأنا والمنتهى جـــاري
أنا إن سَلْتَ عنّي أو سال سائل — لا تُسائل سِـــوايَ عـــن أخباري
أنا ركـــبُ الأقـدام في الإقدام — حيثُ لا حيثُ إعتمى السِّرُّ ساري

وهاهو أحد ورثته ρ يترجم عن مقامه قائلا : " لو أنّ العرش بكلّه في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما عبأ به " إذا فما بالك بحضرة نعاله السّاميّة ، وهي محتد تلك القلوب الوراثيّة .

نعلوت

الأنيّة

وكما أنّ لكل شيء في الوجود ظاهر وباطن ، وصورة وحقيقة ، وشهادة وغيب ، وأنيّة وهويّة ، كذلكم هي حضرة النّعل المرقومة ، لها هيكل وروح ، ولها نور وأسرار ، ولها كثافة وألطاف ، ولها جلاء وعماء ، طبقا للصبغة النموذجيّة كماهيه .

فما تحقّقت به ، من بعد الفناء ثم البقاء ، يصير لها أنيّة ، وما لازال عنها مكنون في غيهبوت القدم الأقدس ، فهو عنها هويّة ، هذا في صلاتها وتحقّقاتها القدميّة .

أمّا في تحقّقاتنا نحن النّعلاتيّة ، فما ظهر لنا وتعلّقنابه ، حتّى الفناء فالبقاء ثم التحقق ، يصير لنا أنيّة ، وما تحجّب عنّا في كهوف بطنانها ، فهو عنا هويّة .

إذا فمن أراد التّحقق بالأنيّة المحمّديّة ، فلا بدّ له أن يأتيها من بابها ، وذلك بالتّحقق أولا بأنيّة النّعال الفوقيّة ، ثم ترتقي به إلى أنيّة الجسد المفيلم ، ثم يرتقي به إلى أنيّة الرّوح السبّوح ، وبعدها فلعله أن يتأهّل ، إلى التّحقّق بالأنيّة الحقانيّة .

وهيهات ما وصل النّعال بهـيّن ولكنّها من غيب غيب الغياهب
فدونك يا راجي المعارج بـــابها هنالك تروى من معين المشارب
توجّه وهم واهوى وته وتولّه فإنّ غبار النّـعل سرّ العجائـب

نعلوت

الوساطة

وإنّه لمّا وجب تميّز الحضرة الأحديّة عن دوائر الإمكان ، لزم من هذا : تحديد حضرةٍ فاصلةٍ ، تكون كالبرزخ ما بينهما ، وذلك لتظلّ لنا كالواسطة ، في كلّ صاعدة وهابطة .

لحضرة النّعلوت بما لها من مناسبة للدورين ، باتت هي الواسطة للبرايا ، نيابة عن الواسطة العظمى ، فنحن نتوسل بها في كلّ صاعدة إليه ρ ، من عبوديّة ورجاء ، وسلوك وعروج ، تعلّقا فتحققا ، وكذلك نتوسل بها ، في كلّ نازلة منه ρ من إمدادات خاصة وعامة .

نَشْـــهَـــدُ أنّها الّـتي تَجَلَّـتْ بالمَشْرِقَـــينِ بَعـــدما تَخَلَّـتْ
كانَـــتْ ولاتَـزالُ كالهَيُولى لِكَونِـــنا مُنذُ الدُّهُورِ الأُولى
كـــأنّها الهَباءُ لِلتَّـجَـلّي إيْـــهِ وتِـلكَ مُستَوى التَدَلّي
هَـــيمَنَ مُـــلكُها على البرايا مِـــن البِـــدايَـــةِ إلى النّهايا

وإلّا فمن لنا ونحن عبيد أعتابه الرّحيبة ، بمكافحة سلطان قدمه المجيد ρ ، فالنّعال النّعال ، وإلّا فالحرمان والإعدام ، والسّحق والمحق والكفران .

نعلوت الكمال

ألا إنها ربّة الحسن ، وآية الرّهبان ، وتاج العظموت ، وكيف لا ، وهي ترد على منبع القدم الأناني السبحاني ، سرمدا بلا صدور .

فما سيّدنا الخليل ودنوه ، وما العرش المجيد وعلوه ، وما الكثيب الخصيب وخلوه ، فكأنّهم مع ماهم عليه من التّفوق والقربان ، كذرّة من نقيع غبار شراكها البعيد .

ألّا تَدْرِي مَن مَدَى رُسْلَ الوَرى ومَن في عُرُوقِ الكُرُوبِ سَرَى
ومَــن بِخُــدُودِ الكَثِيـبِ جَرى نَعَمْ ذاكَ عــنْ دَرْكِنا اسْتَتَرَى
فَيَا لَيْتَـــنا لِلْنِّعالِ ثَرَى

أوَفي النّعال شكٌّ يا ذوي الإحسان ، وهي خاتمة التنزلات الكماليّة ، أوليست هي غاية مايعرج إليه المقربون ؟
أوليس البدهوت هو سدرة منتهى الملكوت ؟
بلى ونحن على ذلك من الشّاهدين .
ولا يشك في هذا إلّا من لم يغص في لجج القرآن ، وذلك لن يتذوّق صهباء الوجدان ، لأنّ الأمر ذوقيّ محض ، ومن لم يكن كذلك ، فإنّ هذا القاموس عليه حرام .

نعلوت

الجمال

وما يوسف الصّديق وملاحته ، وما الفردوس النّعيم وسعادته ، وما مجنون ليلى وغرامه ، وما الرّبيع الزّاهر وأنسه ، وما الخمر العتيق وزهوه ، من بديع زينتها ولطيف وصالها ؛ فماهم إلّا كالخدم والحشم ، في رحاب ريّاضها .

سَجدَ الحســنُ بأعـتابِ النّعالْ يَقْطِفُ الأوْصافَ مِن ذاتِ الجَمالْ
فإنْ مِــن قـلبٍ هَـوى إلّا بِها إنّها فِـردوسُ أعــراسِ الـوّصالْ
سَلْ جُنونَ الوَجدِ مَن أضْرَمَهُ مَــن بِـــهِ حـــتّى تَجنّى باللّيالْ
تَسْري في طَيفِ الهَوى ألطافُها فــهْيَ شَمـــسٌ والـبرايا كالظّلالْ

[تحقيق]

إنّ مثل قولنا أنّ جمال سيّدنا يوسف υ ، ماهو إلّا لمعة من شارقات يوحها ، هذا ما فيه تحقير لساداتنا المرسلين عليهم السّلام ، بل هو عين التّوقير لهم ، فلا جرم أنّه سيّدهم ρ وهم عبيده ، فما قدر الأنبياء حق قدرهم ، من فصلهم عن سيّدهم ومحتدهم ρ .
بل ولابدع أن نقول : أنّ نعل سيّدنا ومولانا ρ أفضل وأجمل وأجلّ وأكمل ، وهذا هو الحق عند أهل التّحقيق .
وإنّ المقربين عليهم السّلام ليغبطون حضرة النّعل ، على مكانتها وقربها ، من سيّدهم وحبيبهم ρ ، وإنّ لسان عزمهم لينشد :

أغبط النّعل لوصال الحبيب ليتني كنت هاهنالك نعلهْ

بل يغرد :

أغبط النعل لوصال الحبيب ليتني كنت للنّعال شراكا

وبل يعربد :

أغبط النعل لوصال الحبيب ليتني كنت للشراك ترابا

وكيف لا وهذا سيّدنا داود υ يتمنى خدمة المحبوبين ، كما روى أبو نعيم عن سيّدنا سهل التستري : أنّ الله تعالى أوحى إلى سيّدنا داود υ : يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً فكان بعدها يقول في مزاميره : واها لهم .. يا ليتني عاينتهم ، يا ليت خدي نعل موطئهم . اهـ

ولقد عهدنا مثل هذه التمنيات عند الأكابر ، فهذا سيّدنا عمرτ يقول " لليلة من ليالي الصّدّيق τ في الغار مع سيّدنا ومولانا رسول الله ρ ، خير من عمر ، وأهل عمر" .

ويقولτ : " ليتني كنت شعرة ، في صدر أبي بكر τ "

ولـمّا سئل سيّدنا ابن مبارك رحمه الله : أيّما أفضل ؛ سيّدنا معاوية τ ، أو عمر بن عبد العزيزرحمه الله ؟

فقال مغضبا : للغبار الذي دخل أنف فرس معاوية τ ، مع سيّدنا رسول الله ρ خير من عمر ابن عبد العزيز كذا وكذا مرة .

نعلوت

الجلال

وما سيّدنا الكليم وبطشُه ، وما الجحيم السّعير وفيحُه ، وما الصّراط الشّديد وخطبه ، من قهروت عزّتها ، وجبروت سطوتها ، فليسوا بما لهم من الرّهبوت ، إلّا كشرارة من سبحات محيّاها العزيز .

أنا سيفُ الإعزازِ والإعجاز غارَ يَدْوِي على العُلى إنذاري
أنا ويلٌ على الأعادي فويلٌ للذي في كمالي أمـسى يُماري

ولا غرو من جلالة النّعال ، حيث أنّها مجلا لسلطة الأقدام السيّاديّة ، وكفى بنعال السّلطان قهرا للرّعايا .

ولكن لا تتعجب من عدم استشعارنا لذلك الجبروت ، فلو زال عنّا الحجاب لرأينا العجاب ، وكذلك إنّ السّلاطين لا يعرف قدرهم ، إلّا وزراءهم والمقربون منهم ، واقرأ إن شئت " إنّما يخشى الله من عباده العلماء ".

وإنّ الفيصل في هذا ، هو أحوال سلفنا الصالح ، من كانوا في قمّة الأدب والتّعظيم والإجلال ، لسيّدنا ومولانا حبيب الله ρ .

نماذج من تعظيم الصحابة للحبيب ρ

فقد روي عن سيّدنا أبي بكر τ أنّه لمّا نزلت آية خفض الصوت قال : و الله يا رسول الله ρ ، لا أكلمك بعدها إلا كأخي السّرار .

وكذلك كان سيّدنا عمر τ ، وما كان يسمع الحبيب ρ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، فأنزل الله تعالى فيهم [إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم] .

وعن سيّدنا عمرو τ قال : و ما كان أحد أحبّ إليّ من رسول الله ρ، و لا أجلّ في عيني منه ، و ما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، و لو سئلت أن أصفه ما أطقت .

وروي عن سيّدنا أسامة بن شريك τ ، قوله : أتيت النبي ρ و أصحابه حوله كأنّما على رؤوسهم الطير .

وقال عروة بن مسعود τ ـ حين و جهته قريش في الحديبيّة إلى رسول الله ρ ، و رأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، و أنه لا يتوضأ إلّا ابتدروا و ضوءه ، و كادوا يقتتلون عليه ، و لا يبصق بصاقاً ، و لا يتنخم نخامة ، إلّا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، و لا تسقط منه شعرة إلّا ابتدروها ، و إذا أمرهم بأمر إبتدروا أمره ، و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النّظر تعظيماً له ـ فقال لما رجع إلى قريش :

يا معشر قريش ، إني جئت كسرى في ملكه ، و قيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، و إنّي والله ما رأيت ملكاً قط ، يعظمه أصحابه ، ما يعظم محمداً أصحابه . صلى الله عليك ياسيّدنا يا رسول الله وعلى آلك وصحبك وسلّم .

وفي حديث سيّدنا المغيرة τ : كان أصحاب رسول الله ρ يقرعون بابه بالأظافير .

وقال سيّدنا البراء بن عازبτ : لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ρ عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته .

وعن عمرو بن ميمون ، قال : اختلفت إلى ابن مسعودτ سنةً ، فما سمعته يقول : قال رسول الله ρ ، إلا أنّه حدث يوماً فجرى على لسانه : قال رسول الله ρ ، ثم علاه كرب ، حتى رأيت العرق يتحدّر عن جبهته ، ثم قال : هكذا إن شاء الله ، أو فوق ذا ، أو ما هو قريب من ذا . وفي رواية : فتربد وجهه وتغرغرت عيناه ، وانتفخت أوداجه .

وأمّا ما روي عن السّلف :

وقال أبو إبراهيم التجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره ρ ، أو ذكر عنده ـ أن يخضع و يخشع ، و يتوقر و يسكن من حركته ، و يأخذ في هيبته و إجلاله ، بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، و يتأدب بما أدّبنا الله به .

وروي أن أبا جعفر ناظر الإمام مالكاً في المسجد النبوي ، فقال له الإمام : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال : [لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون].

و مدح قوماً فقال : [إنّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم].

و ذم قوماً فقال :[إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون] و إن حرمته كحرمته حياً . فاستكان لها أبو جعفر.

و قال الإمام مالك ـ وقد سئل عن أيوب السختياني : حجت حجتين ، فكنت أرمقه و لا أسمع منه ، غير أنه كان إذا ذكر النبي ρ بكى حتى أرحمه ، فلما رأيت منه ما رأيت ، و إجلاله للنبي ρ كتبت عنه .

و قال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي ρ يتغير لونه ، و ينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك ، فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون ، و لقد كنت أرى محمد ابن المنكدر ، وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه .

و لقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق υ ، و كان كثير الدعابة و التبسم ، فإذا ذكر عنده النبي ρ إصفر . وما رأيته يحدث عن رسول الله ρ إلاّ على طهارة .

و قد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن ، و لا يتكلم فيما لا يعنيه ، و كان من العلماء و العبّاد الذين يخشون الله عز و جل .

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ρ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم ، و قد جف لسانه في فمه هيبةً لرسول الله ρ .

ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ρ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع .

ولقد رأيت الزهري ـ و كان من أهنأ الناس و أقربهم ، فإذا ذكر عنده النبي ρ فكأنه ما عرفك و لا عرفته .

ولقد كنت آتي صفوان بن سليم ، وكان من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذكر النبي ρ بكى ، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه . اهـ

ولما كثر على الإمام مالك النّاس قيل له : لو جعلت مستملياً يسمعهم ؟ فقال : قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حياً وميتاً سواء .

و قال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة : مر مالك مرّة ، على أبي حازم ، و هو يحدث ، فجازه ، و قال : إني لم أجد موضعاً أجلس فيه ، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ρ وأنا قائم .

وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك ، فإذا ذكر عنده حديث ρ خشع .

قال مطرف : كان إذا أتى الناس مالكاً خرجت إليهم الجارية فتقول لهم : يقول لكم الشيخ : تريدون الحديث أو المسائل ؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم ، و إن قالوا الحديث دخل مغتسله ، واغتسل و تطيب ، و لبس ثياباً جدداً ، و لبس ساجه و تعمم ، و وضع على رأسه رداء ، وتلقى له منصة ، فيجلس عليها وعليه الخشوع ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من الحديث ، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ρ .

قال عبد الله بن مبارك : كنت عند مالك ، و هو يحدثنا ، فلدغته عقرب ست عشرة مرةً ، و هو يتغير لونه و يصفر و لا يقطع حديث رسول الله ρ .

فلما فرغ من المجلس ، و تفرق الناس عنه قلت له : يا أبا عبد الله ، لقد رأيت اليوم منك عجباً . قال: نعم ، لدغتني عقرب ست عشرة مرة ، و أنا صابر في جميع ذلك ، و إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ρ .

قال ابن مهدي : مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق ، فسألته عن حديث ، فانتهزني و قال لي : كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله ρ و نحن نمشي .

وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث و هو قائم ، فأمر بحبسه ، فقيل له : إنه قاض . قال : القاضي أحق من أدب .

وذكر أن هشام بن هشام بن الغازي سأل مالكاً عن حديث وهو واقف فضرب عشرين سوطاً ، ثم أشفق عليه ، فحدثه عشرين حديثاً ، فقال هشام : وددت لو زادني سياطاً و يزيدني حديثاً .

وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة ، ولا يقرأ حديث النبي ρ إلاّ على وضوء . وروي عنه أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل . اهـ [3]

قلت : إذا فلا يغررك أولئك الذين يتجرءون على حضرة الحبيب ρ حيث لم يستشعروا جلالته ، وهم في ذلك مستدرجون ، ويوم يكشف عن ساق التّحقيق ، وتتوحّد قدم القهران ، فسوف يشعرون .

يوم يكون شعار الخلائق " واحمّداه .. واحمّداه ، بل " وانعلاه .. وانعلاه ، ذلك اليوم الحق فمن شاء اتّخذ إلى ربه مآبا .

نعلوت الشّهود والصّمود

فتلك الأعتاب هي الأبواب ، فمن تبصّر لن يرى بأعتاب شراكها الأسمى ، إلّا جباها جبروتيّة ، أو شفاها ملكوتيّة ، أو مهجا ملكيّة ، والكلّ يصدعون " الله أكبر.. الله أكبر" .

إن تبصرت مــوطأ النعل حقا ستـراه مــن الغرام شفاها
أو جباها رجت من الذلّ جاها أو قلوبا بـــه تروم شفاها

[3] -راجع الشفاء للقاضي عياض رحمه الله .

فهاهي طيبة باتت مأرزانا للإيمان والإحسان ، وقرآنا للعرفان والعيان ، بعدما تزكّت بعبيق طيبها ، فصارت قبلة القلوب والأرواح ، بل محطّة العزائم والوحوت .

ألا ليت شعري هل أبيتن ساجدا أمرغ وجهي في غـــبار تــرابها
بطابة حيث النعل طاب نسيمها لعلي أحظى من عبيــق رحابها

فولّي وجهة شهودك شطر أعتابها ، يامريد الوّصال بذاك الجمال ، واسجد وكأنّك تحت شراكها ، حتّى يتحقّق هذا الخيال ، بعد انقشاع الظّلال .

فإذا كان موطئ نعال السيّدة هاجر عليها السّلام من شعائر الله ، ونحن إلى الغد ، نتعبد بالسّعي بين الصفا والمروة تقربا بها ، فمابالك بموطئ نعلوت سلطان الجبروت ρ أليس ذلك أولى أن نسعى فيه على رؤوسنا ، لا على أقدامنا ، وأولى بأن نسعى فيه سبعين ألف شوط ، لا بسبعة فقط ، وأولى بأن تحج إليه قلوبنا وأرواحنا ، لا أجسادنا لحسب .

وفي هذا المعنى قال كثير عزّة :

خليلي هذا ربع عزة فاعـــقلا قلوصيكما ثمّ انزلا حيث حلّتِ
ومسّا تراباً طالما مسّ جـلـدها وظلّا وبيتا حيث باتت وظلّتِ
ولا تيئسا أن يمحو الله عنكما ذنوبا إذا صليتما حيــث صلّتِ

لطيفة

وإنّ من الحقائق المرقومات في كهوف النّصوص ، ما أشار إليه مولانا ρ بقوله: (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) وماذلك إلّا من بعد أن وطأتها نعله الزكيّة ، فتزكّت بها بطحاء مكة أولا.. ثمّ بنو سعد .. ثمّ الشام .. ثم طابت بها طيبة .. ثمّ طهّرت بها سائر الأقطار .

وقد يتسائل أحد لما خصّصت التّطهير بالنّعل الشريف ؟

نقول لأنّ هذه المستويات المشار إليها بالتّطهير هي أراضي ، وأقرب الأعضاء من الأرض القدم ، ولكننا من جهّة التّقديس ننزه حضرة القدم الكبير ، عن هذه الآثار من أن تمسّ آفاقه ، أو أن تباشر صرافة تنزّلاته ، إذا فلا بدّلها من برزخيّة النّعال المتوسّطة .

ودونك أيّها المسلم فافهم ما يعنيه ρ فكأنّه يقول : أنّ كلّ ما وطئته يتطهر ويتزكّى ، فكونوا تحت نعالي أرضا ، لكي تتطهروا وتتزكّوا ، وتجمعوا بالحق تعالى .

وإذا كان باستواء نعلوته على البسيطة ، أضحت لنا مسجدا وطهورا ، فإنّه بقدر خضوعنا وخنوعنا بأعتابها ، سينكشف عن قلوبنا غشاوة صدودها ، وتنجذب إلى حضرة الجمع عروجا إلى مجامع الصّمدوت الأعلى ، وهذا هو السبيل " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "

[وسيمة]

ومن باب القياس بالنّظير ، والشيءُ بالشيء يذكر ، إنزال هذا المعنى على حديث (الجنّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) فكان بمقدوره ρ أن يقول : من عمامته أو من رداءه وهذا أقرب إلى البلاغ ، ولكنه مثل بشراك النعل مع مافيه من انحطاط ، وكأنّه يقصد معنى فيه .
أي : كما أنّ الدنيا هينة على المؤمن ، كذلك الآخرة من جهة كونها : دار قرار ونعيم ، وذلك لاستغناء المؤمن بالله وسوله ρ ، فأراد أن يرقينا ويزكينا من محبة السوى ، سيما والحبيب الأعظم ρ معنا وفينا ، فالجنّة وكل ما فيها ، لا تساوي شراك المؤمن المتعلق ، المنتسب إلى الحبيب ρ .

وممّا زادني فرحا وتيها حتى كدت بأخمصي أن أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيّرت أحمد[4] لي نبيا

العزم نعلوت والوحوت

فلاريب أنّه على حُجور تلك الحضرة القدّوسة ، تربّي أرباب الرّسالات ، وعلى مهادها ترعرعى أصحاب النبّوات ، ولا زالوا يرضعون من قاموس كنهها ، ليتزوّدوا لعزائم معارجهم ، حيث أنّ المبتدى منها : من بطنانها وثدائها ، والمنتهى إليها : إلى كثبانها وعمائها .

فَمَـن أَوْحَى الأَنْــباءَ لِلأَنْـبِيَا وَمَــن مَـدَّى الإِلْهامَ لِلأَوْلِـيَا
ومَن رَبَّى أَهْــلَ الــوَحَى بادِيًا وَمَــن نُــورُهُ لِلْــوَرَى هادِيًا
فَيَا حَبَّذَا النَّعْلُ يا حَبَّذا

[4] . صلّى الله عليك يا سيّدي يا حبيبي يا رسول الله وعلى آلك وصحبك وسلّم .

ألا فإنّه ما من آية ولا من خارقة ، ظهرت على يد أحد المقرّبين ، فإنّما من طولها إمتدت واعتزّت وبهرت ، فما السفينّة ، والنّاقة ، والخاتم ، والريح ، والعصا ، والتّابوت ، والهدهد ، والشّجرة والكهف ؛ إلّا رعدة من سلطان قدرتها .

وقد اكتفينا هنا بذكر رؤساء الحضرة ، تماشيا مع مقياس " بله وأخواتها " وهذا هو ديدننا حال التعريف بحضرته ρ ، وذلك للإختصار ، فكأنّنا نقول هؤلاء الأكابر وهم عالة على موائد ألطافها ، فمابالك بالأصاغر ، ممن لا يملكون سلطةً في الوجود .

نعلوت

الترقّع

إعلم أنّ سرّ النّعال المكنونة ، قد رُفِع مذ ترفّع محتدها إلى الرّفيق الأعلى ، وما بقي بين النّاس إلّا صورتها الكثيفة ، ولكن بقيت لها تنزّلات سرمديّة على محل صورتها ، مثلما تتنزل عنايّة محتدها على الرّوضة الشّريفة ، بعد التّرفع روحا وجسدا كما قال ρ (أنّ الأنبياء لا يُتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنّهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصّور) أخرجه البيهقي ..

وذلك صيانة لحرمة الأسرار ، ليلا تهان عندما توضع عند غير أهلها ، ولكن عند هذا يكون للسّر قدر وحرمة ، حيث أنها لا تتنزّل إلّا على المتعلّقين بها ، الذين يقدرونها حق قدرها . وهذا في كلّ ما هو له من لباس ومتاع ρ .

وما يدريك ما يحل في محاضر الأحباب ، من نفحات بركاتها ؛ وما يدريك ما يستوي على قلوب الخدّام ، من تجلّيات تنزلاتها .

وما يدريك أنّ كلّ غوث يبعث في هذه الأمّة ، لَيُتَوَّجُ بِشِراكها ، وما يدريك أنّ سرّ النّعلوت سيتنزّل على الإمام المهدي υ ليأزّره بالسّلطة القيدوميّة ، كما تنزّل التّابوت الإسرائيلي على سيّدنا طالوت υ ، وهوكمدد موسوي له ، أفلا يكون للإمام المهدي υ مدد محمّدي ، أولا تكون لآل سيّدنا محمد ρ بقيّة آية وبرهان ، كما كانت لآل سيّدنا موسى υ، بلى إنّه الحقّ والأحق .

أَلَيسَ فَضلُهُ علينا أَوْفى — مِن فَضلِ أَنْبِيائِهِم وأَكْفى
أَوْ أَنَّ قَدْرَهُ ما دُونَ مُوسى — أَوْ آلَهُ ما دُونَ آلِ عِيسى
لَقَدْ عَلَا قَدْرُ بَنِي اسْرائِيلَ — فَقَدْرُهُمْ نَذْكُرُهُ تَنْزِيلَا
فِي آلِ عِمْرَانَ الّتِي تَقْراها — يا أُمَّتِي وأينَ آلُ طَهَ
فأيْنَ فَضلُ نِسبةِ الحبيبِ — أَلَيسَ فِي الأُمَّةِ مِن لَبِيبِ

بَـنِي اسْرائِيلُ ذُكِرُوا إشارَهْ   إيّاكِ أعْـــني واسْمَـعي ياجارَهْ

فدونك يا مريد الوّصال بالنّعال ، إستغث بها حيثما شئت ، والتمس أنوارها حيثما كنت ، ولا تقل كما يقول الملحدون ، أنّ النّعال اندرست واندثرت ، ولكن قل لهم : حتّى ولو إستأثرت الأرض بجلدها دونكم ياجفاة ، إلّا أنّ أنوارها ستظل ساطعة في الآفاق ، وإنّ أسرارها ستبيت راتعة بالأنفاق ، وإنّها لرقيم مكنون ، لا يدركه إلّا العارفون .

نعلوت التّتوّج

فتلك النّعل التي في صورتها أثر ، وفي حقيقتها قدس ، لاجرم أنّها تاج هامات أولي العزم من المرسلين عليهم السلام ، فضلا عمّن دونهم من العالمين ، فإنّ نعال السّادة تيجان لعبيدهم ، ولكنّ أكثر النّاس لا يشعرون فيشكرون ، فما من شيء في الوجود إلّا ويكبّر بعظموتها ، ولكن لا تفقهون تكبيرهم .

أجل إنّها سيّدة عوائل الإمكان ، في كلّ زمان ومكان ، فهي فخرنا وعزّنا ومجدنا ، وما افتخار العبيد إلّا بساداتهم ، وتلك محتدنا ومدادنا ، التي منها ابتداءنا وإليها معادنا ، فوجب يا معشر الورى شكرها ، لاسيّما أنت يا أمّتها يا بنتها .

بُـــشراكِ يـا أمّتي بالقَداسَهْ   تَعَزّزِي بالمَجْــدِ والرّيّاسَهْ
مكانَــةٌ تَغْبِـطُها الأكـــابِرْ   وتَزَجَّـي نِسْــبَتَها الحَــواضِرْ
فالحَمْـــدُ لِلْمَـولى على النِّعالِ   حَمْــدًا عـلى مَدارِجِ الكمالِ

ومن استنكف عن مُوّالاتها فقد ظلم نفسه ، وهو كافر في ملّة التّحقيق ، فلن يشمّ رائحة الحضرة ، ولو دام قائمًا صائمًا عاكفا في جوف الكعبة ، فكيف وإنّ الحضرة تحت ظلالها .

نعلوت النّزاهة والقداسة

وممّا لاريبة فيه عند ذوي العرفان ، نزاهة تلك الحضرة النّعلاتيّة ، بعدما صارت لباسا ، لقداسة ذلكم القدم الأقدس الأنفس . حيث أنّه تعالى لا يحل ، إلّا في المحل الأصفى ، ولا يستوي إلّا على المستوى الأزكى .

فلن يكون على جنابها للأغيار من سبيل ، من بعد أن تطهّرت بطهور عرقه الخالص ، من الأنجاس والأرجاس والأدناس ، فصارت بالنّيابة ترياقا إكسيرا ، للتزكية والتّقديس ، فمن دخل حرمها : كان آمنا من مكائد الوساوس والهواجس ، ومن تعطر بأريج غبارها : تزكّى من ظلمات الذنوب والعيوب ، ومن لعق شراكها : تخلّص من شوائب الأغيار والآثار ، وتسربل بديباج الأنوار والأسرار .

ولا يقدح في هذا ، نواقض تنزلاتها وتظاهرتها ، كمثل حديث خلع النّعال في الصّلاة لأجل النّجاسة ، فإنّما هو للتشريع وليس إلّا ، فلا تكونّن من المعتدين .

فكيف تكون للنّجاسة عليها تأثير ، وهي النّور والطّهور ، حتّى من شوبة البينونة والحدثان ، أوليست التي جعلت الأرض مسجّدا وطهورا .

بلى ، وإن شئت فتدبر قوله سبحانه لسيّادة الكليم υ :[فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوى] والنّعلان هنا عند أهل التّحقيق ، هما إمّا الدنيا والآخرة ، أو الأنوار والأسرار ، أو النّبوة والرّسالة ، وأمر بخلعهما ليتحقّق بقدم العبودية المحض .

أمّا حضرة الحبيب ρ تعالى عن المقاس ، فلم يؤمر بخلع نعاله ، لأنّها صبغت على قداسة ذاك القدم الذّاتي ، المتحقق بصرافة العبودة أزلا .

فأقدس بها من نعال شريفة ، وطأ بها المساجد والمنابر ، بل ووطأ بها العروش والحجب ، نعم فكلّ ماهو للحبيب حبيب .

ولا غرو في تفوّقه على العرش بنعاله العليّة ، حيث أنّه عرج ρ بلباسه الشريف ، والنّعل من ذلك اللّباس ، ولم يكن ليتنقل من بيته حافيا لحاشاه ρ .

وعليه فإنّ النّعل أقرب الملبوسات ، من المستويات التي وطأها ρ في تلك اللّيلة ، هذا حتّى لو لم يصح فيه دليل ظاهر ، فإنّ العقل المجرّد يعضّده ، وزد على ذلك أنّه ثبت عند أرباب الشّهود والعرفان .

قال سيدي الصلاح القوصى قدس الله سرّه :

رجائى فيك أن أمسي لموطئ رجلكم نعلا ولو ذاق الّذى أعني وأدرك مقصدي وعلا
لأدرك أنّ نعلكم سما فى القدس للأعلى ولم يك قاب قوسين ولم يحجبه فتدلى!!

وقال الشيخ الكتاني قدس الله سرّه :

دَنَا فَتَدَلَّى فِي مَهَامِهِ وَانْجَلَتْ مُسَمّيَاتُ الأَسْمَى عَلَى عَرْشِ عِرْفَانِ

وَكَانَ مُنَاجاً فَوْقَ سِدْرَةِ مُنْتَهَى الـ أَمَالي إِلَى أَنْ كَانَ غَوَّاصَ أَعْيَانِ
وَجَازَ عَلَى مَتْنِ السُّمُوتِ مَاشِياً بِنَعْلَيْهِ مِفْضَالٌ عَلَى الإِنْسِ وَالجَانِ

وقال الإمام البرعي قدس الله سرّه :

حسنتُ ظني وآمالي بذي كرمٍ تلقاكَ من قبلِ أنْ تلقاهُ بشراهُ
محمّدٌ سيدُ الساداتِ منْ وطئتْ حجبَ العلاَ ليلةَ المعراجِ نعلاهُ

وقال الإمام النبهاني رحمه الله :

على رأس هـذا الكون نعل محمد علت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى الطورموسى نودى اخلع وأحمد على العرش لم يؤمر بخلع نعاله

تنبيه

ولا يشك في هذه الحقيقة ، إلّا أولئك الزّنادقة المجسمون ، الذي يتوهمون أنّ الله تعالى ، جالس على العرش ، فيخشون حينئذ ، أن يكون في معتقدنا هذا ، تعد على حرمة الألوهيّة .

أما من أيقن أنّ الحق سبحانه وتعالى ، لا يتقيّد بزمان ولامكان ، وأنّ العرش ليس إلّا ذرّة من خلقه ، فلن يتوقف في قبول ما هو أعظم من هذا .

قلت وممّا يؤكد هذا حديث جلوسه ρ على العرش يوم القيامة ، وهو مشهور عند السلف ، من طريق مجاهد عن سيّدنا ابن عباس : في تفسير قوله تعالى : [عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا] قال : يجلسه أو يقعده على العرش .

وهذا الحديث رواه أحمد والخلال وابن راهويه والورّاق وأبو داود و الآجري وابن جرير وابن أبي عاصم والدارقطني والطبراني وابن بطة والبربهاري، وابن النجاد، والبغوي، ، والمروذي، وابن السَّرَّاج الشّافعي .. وغيرهم كثير جدًا.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : قد تلقّتها العلماء بالقبول، و ليس يُنكر هذا الحديث إلا الجهميّة.

وأقول لهؤلاء الذين استكبروا العرش ، على مقام النّعلوت ، أين عالم الإمكان كلّه بمافيه ، من كبروت قدموته ρ ، ولكنّكم معذورون لحجابكم ، حتّى عن إدراك حقيقتكم ، التي هي أكبر بملايير من العرش ، أو لم يقل سبحانه (ماوسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) ولكن إدراك هذا رهن كشف الحجاب ، فهلّا سألت به خبيرا .

يقول سيّدي البسطامي قدس الله سرّه : " لو أنّ العرش بكلّه في زاوية ، من زوايا قلب العارف لما أحسّ به "

وروى المناوي فى" كواكبه " عن النّجم البكري عن الخرقاني قال :" صعدت إلى العرش لأطوف به ، فطفت به ألف طوفة ، ورأيت قوما ساكنين مطمئنين ، فعجبوا لسرعة طوافي ، وما أعجبني طوافهم فقلت لهم : من أنتم وما هذه البرودة فى الطّواف ؟ قالوا نحن ملائكة ، والملائكة أنوار وهذا طبعنا ، وما نقدر أن نتجاوزه فمن أنت؟ قلت : أنا آدمي ، وفيّ نور ونار ، وهذه السرعة من نتائج نار الشوق ، وأما الملائكة فلا شهوة لها . اهـ

وقال سيدي الحسن البعقيلي الحسني التجاني قدس الله سرّه : - قال سيدي ابراهيم المتبولي : أدركت من وراء العرش ستمائة عالم .

قال ـ البعقيلي ـ وأقول أنا على سبيل الكشف والذوق : أدركت من وراء المتبولي ، مائتي ألف عالم العرش وما في جوفه عالم واحد .

وقال سيدي إسماعيل الولي الحسني القادري قدس الله سرّه : انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن، فلم أزل أسبح فيه ، حتّى رأيت ما من العرش إلا الثرى ، من الملائكة الكروبيين وحملة العرش، وغيرهم ممن خلق الله سبحانه ، أصغر من خردلة بين السماء والأرض ، من حيث طيران سري في القصد إليه سبحانه .

وقال آخر : إني أرى السموات السبع ، والأرضين السبع ، والعرش داخلا في وسط ذاتي .

وفي الختام نقول : هذا حال الورثة فكيف به هو ρ ، الذي ما العرش إلّا ذرّة ؛ من نوره المطلق ، والذي ماقام العرش وما دونه ومافوقه ، إلّا بقيّوميّة إمداده .

واسمع إلى الشيخ أبي العباس الطنجي قدس الله سرّه إذ يقول: (كشف الله عن بصري فرأيت النبى ρ ملء السموات والأرض ، والعرش والكرسي وملء سائر الأقطار)

أجل أجل إنّها النّعل ، وما أدراك ما النّعل :

إنْ بَرَقَـــتْ تَرْتَـعِدُ العُرُوشُ   بَـــدِيهَةً وتُعْـــدَمُ الفُرُوشُ
تُراعُ مِـــنها سُـــلطَةُ الأنوارِ   فكيـــفَ بـــالآثارِ والأغْيارِ

نفيسة

وإنّ من لطائف التأويل ، ما لاحى لقلبي من معاني ، حول آية " فاخلع نعليك "

وذلك أنّ سيّدنا موسى الكليم عليه السلام أمر بخلع نعليه تكريما وتعظيما ، لبساط حضرة المناجاة ، وكذلك يكون الأمر على أمته ، فالأمر للمتبوع أمر للتابع .

وأمّا سيادة الحبيب ρ ، فإنّه كان يصلي بنعاله الشّريفة ، على بساط الكفاح بالمساجد والمجامع والحضرات .

وليس هذا المقصود فحسب ، لأنه ρ لا يقارن بسواه تحقيقا ، ولكنّ الأعجب في شأن أتباعه ، حيث سنّ لهم الصّلاة بالنّعال ، وماذلك إلّا بسرّ نسبتهم إليه ، فبأكرم الرسل كنا أكرم الأمم.

وهذا فيه من الكرامة له ρ والدّلال ، ما تحار فيه الألباب ، حيث أنّه سبحانه يتلطف حتّى بمن إنتسب إليه ، ويرفع عنهم كلفة الأدب ، من بعدما خلع عليهم خلعة الحب ، وهذا كما قيل " إذا التقت الأحباب سقطت الآداب " .

ومع ذلك فيجب علينا من جهة الأدب مع الحبيب ρ أن لانفعل ذلك إكراما له هو أولا ، لأنّها من خصائصه ، وإجلالا لحضرة الله تعالى ثانيا ، لأنّه ليس من الأدب أن تضع من قدر من تواضع إليك ، ولكنّ الأدب أن تزيده إجلالا وتعظيما ، فمابالك بحضرة الحق تعالى عنا بذاته وصفاته علوا كبيرا .

تنبيه

ليحذر الذين يشمئزّون من ذكر نعاله ρ فإنّ مجرد التقزّز من ذكرها ، أو من كلّ ما يتعلّق به ρ يعد من الكفران ، والعياذ بالله ورسوله ρ .

ولقد اتّفق عليه جمهور أهل السنّة والجماعة ، كما هو في كتبهم وشروحهم وتفاسيرهم ، وراجع إن شئت الشفا للقاضي عياض رحمه الله ، والسّيف المسلول للإمام السبكي رحمه الله .

و هذه عبارة ابن حجر الهيتمي في شرحه على الشمائل ، قال : " ومن كرِهَ شيئاً من النّبي ρ كفر " قلت : لأنّها من نواقض الإيمان .

وأقول للمنكر إسأل نفسك يامدّعي ، هل تشمئز من نعل من تعشقه ، إن لم نقل ومن وسخه وإساءته ؟ بالطبع لا .

فكيف تودّ من المومنين ، أن يكرهوا نعال حبيبهم ρ ، وهو أولى بهم حتّى من أنفسهم ، وما أراك وعيت حديث (لا يُؤمِنُ أحدُكم ، حتّى أكُونَ أحبَّ إليهِ : مِن ولَدِهِ ، ووالِدِهِ ، والنّاسِ أجمعين) "متفق عليه"

ولقد أكّد هذا المعنى الإمام الفاكهاني رحمه الله حيث قال ، حينما رأى مثال النّعال الشريفة :

ولو قيل لمجنون ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبار من تراب نعالها ... أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

وقلت في هذا المعنى :

فَسَـلْ مُـفْتِياتِ الهَوَى والفُتُـونْ   إذا ما بَـدَى النَّعـلُ ما سَيَكُونْ
ولا سِيَّمَا في النَّـوى والشُّجُونْ   يَقُلْـنَ فَـمَا يَـبْقَى إلاّ الجُنُــونْ
فَيَا لَيْتَها بالجَـــمَالِ تَفِيضْ
وسَـلْ قَـيسَ لَيلَى سُؤالًا قَرِيبْ   لَكَ الـدُّنيَا أمْ نَـعلُ لَيلَى نَصِيبْ
لَقَالَ سُـــؤالٌ عَجِيــبٌ غَرِيبْ   أيَـرْضَى المُحِـبُّ بِغَيرِ الحَبِيبْ
فَيَا لَيْتَها بالجَـــمَالِ تَفِيضْ

وقد تعترض وتقول : أنّ ذاك الإشمئزاز بقصد التورّع ، فأقول لك : إذا الله سبحانه أذن له بوطإ ، المساجد والمنابر والمحاضر ، بنعله الشريفة ، فما بقي لك ما تتورّع وتنزّه عنه الدّين ، فذاك حبيب الله Ψ ، والله يحب كلّ ما يتعلّق بحبيبه ρ فإيّاك أن تتدخل فيما بين الله Ψ وحبيبه ρ ،[تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ].

أولم ترى أنّ خلوف فم الصائف ، أطيب عند الله من ريح المسك ، لماذا ؟ لأنّه تقرب إلى الله Ψ حتّى أحبّه ، فلمّا أحبه ، صار يحب كلّ ما يصدر منه .

إذا فما بالك بحبيب الذّات العليّة ، بيد أنّ كلّ مايصدر منه ، أو ما يتعلّق به ، طهور زكيّ مقدّس ، أفلا ترى عندئذ : أنّ نعل الحبيب ρ أطيب عند الله Ψ من كلّ شيء ، العرش فمن دونه . فافهم .

نعلوت المنتهى

لا جرم أنّه مهما تطاولت عزائم الأرسال ، إلّا وشراك النّعلوت سماؤهم وعماؤهم ، فهي السقف وهم الأعتاب ، وهم الفرش وهي العرش ، وهم الرؤوس وهي التّاج ، وذاك من أول قدم إلى مالانهاية ولا غاية .

فما في إمكان فرد من الإمكان ، أن يتخطى مقامها الحرام ، ولو تتوّج بفائقات الحقائق الجبروتيّة ، ولكن تبقى النّعل هي السّلطان الأكبر ، الّذي يستوي على عرش الوجود .

فتلك الرّسل وهم سادة الحضائر ، فما بالك بوزرائهم ورعاياهم ، وكما أنّ حضرة النّعلوت هي نهاية المرسلين ، كذلك إنّ بداية الرّسل هي نهاية الأنبياء ، وهكذا كلّ مقام أعلى ، يكون فرشه عرش للمقام الذي دونه .
ولايجوز تخطّي الرّقاب بحال من الأحوال ، فكما أنّه لا يجوز للقطب أن يصير صحابيا ، لا يجوز للصحابي أن يصير نبيا ، وكذلك لايجوز للرسل ، أن يتخطوا مقام النّعال . فافهم .

وإنّ حضرة النّعلوت هنا يشار بها إلى البدهوت ، أي بداية القدم الجسماني ، وفي هذا زيادة تحقيق على ما حقّقه الإمام الكتاني قدس الله سره في ديوانته حيث قال : ولا نقول كما قال بعض النظّار: أنّ نهاية أرواح الأنبياء هي : ما بلغ إليه جسمه الشريف ، والروح من وراء ذلك . لا؛ لا، بل نهاية أرواحهم وذواتهم ، هي بداية لـه، وأول قدم ، وهي الاصطحاب التام والسلام.

نعلوت الحذاء

حيث أنّ النّعل لباس ، ذلك القدم العزيز وسبحته ، فهي لاتنفك حذوه الأثر بالأثر ، عرجة عرجة ، "وللأرض من كأس الكرام نصيب "، فليست النّعل منيرة بذاتها ، ولكنّها كالبدر ، تقتبس إنارتها وبهجتها ، من يوحِ القدموت السّبّوحي ، وتقتني أسرارها وأرقامها ، من جونة كنزيتها بلا زوال .
فلم تبرح منذ البداية ، ترضع وترتع من معين عين الكمالات ، فالقدم من سموها تتدّلى ، والنّعل بهمّتها تعرج وتتدّنى ، فبات الإعتناق ودام الإتحاد ، حتّى صار القدم الأمّيّ ، سمعها وبصرها ، ويدّها وقدمها ، وبالأحرى كلّها .
فلذلك قيل لرؤوس العزائم : يامن تطمحون إلى إقتفاء ذاك القدم الأعلى ، دونكم احذو بالنّعل ، ولكنِ التّاج بالشّراك ، وليست النّعل بالنّعل .
وما يدريكم يا ذوي العرفان ، ماكان يجري من ذات الجلالة والقداسة ، إلى هاته النّعال المحاذيّة ، حال التوجّه العياني ، مع الإستغراق الأناني ، على بساط الصّلات الصمدانيّة ، وهي له في ذاك المقام رداء .

فمن درى ماكان يلوح من تلكم الذات الأميّة ، من تجليّات سبّوحيّة لمن خلفه ، والنّعل أولى بهذا ، إذ هي الأقرب منه ، بل هي هناك : البرزخ القاسم لتلك التجلّيات ، على الصّحابة ومن تبعهم إلى يوم الدّين .

إذا فلا بدّ أن يتعبأ البرزخ ، بقدر ما يفرقه على من دونه ، وكيف وهي البرزخ لكلّ الأمّة فردا فردا ، وأنّى لنا بما في هذه الأمة الأمّيّة ، من أنوار وأسرار ، حتّى ندّعي الحيطة بمقام النّعلوت .

بل ومن يقدر مقامات الأنبياء والرّسل عليهم السلام ، التي هي بدورها برزخ لهم أيضا ، كما أشارت إليه صلاته بهم ρ في ليلة الإسراء ، بنعله الشّريف المنيف .

وقل للمشكّك في هذه الحقيقة ، ألم يخرج ρ من بيته ليلة أسري به منتعلا ؟ بلى ، وحاشاه أن يسافر حافيا ، ولم يثبت أنّه خلعها ببيت القدس ، بل ثبت ربط البراق عند الباب ، كما أنّه كان دوما يصلّي بنعله ρ ، بل يأمر أصحابه بذلك .

نعلوت التزكيّة

ألا إنّها الطيب والطبيب ، وإنّها النّور والطّهور ، فما حلّت بموضع ؛ ولاوطئت محلاّ ، إلّا وزكّته وقدّسته ، وذلك من بعد أن تقدّست هي ، بنور القدم العزيز ولاتزال .

فتبصّر بآثار تنزّلاتها على مستوياتها ، فتلك طيبة طابت وازدهت ، لمااستوت على فرشها فصار بركتها عرشا ، تشد إليه رحال الهمم والعزائم ، وصار غبارها ترياقا ، للأجساد والقلوب .

حبذا أرْضُــها الّتي قَدْ وَطَتْها   طابَ مشاها مِن قَذَى الأنْجاسِ
فهْيَ رَوضٌ لا بلْ كَثِيــبٌ تَدَلّى   يَنْجَلِي حينَ تَـنْجَلِي كلٌّ بـاس

ومن قبلها طابت مكّة المكرّمة ، والشّام المبارك ، وهاهو أحد تتوج منها بشهادة الحبيب ρ وشكره ، وذلك الجذع ضمن منها سعده ، فصار من المبشرين بالكثبان .

وهذه كلّها ماهي إلّا حجج عليك أيها الإنسان ، يامن شرّفك الله بالقلب والرّوح ، فاجعل مداركك هذه أعتابا لحضرة النعال ، لعلّها تستوي عليها ، فتتزكّى بها وتتقدّس وتطيب ، كما طابت تلك الجمادات ، فأنت بحقيقتك أولى بالإستمداد والإتحاد ، بسيّد الوجود ρ .

إستدراك

وكنت قد تداركت على بيت من البردة ، وإن كنت لا أساوي شسع الإمام البوصيري قدس الله سرّه ، ولكنّني بنيّة وأدب إن شاء الله تعالى ، لا بقصد التّحريف التّكراني ، وذلك عند قوله :

لاطيب يعدل تربا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم

فإنّ لفظة أعظمه هنا ، تحرج منها القلوب المتعلّقة بذاك الجناب الشّريف ، فغيّرتها بـ :

لاطيب يعدل تربا طاب من نعله   طوبى لمنتشق منه وملتثم

وقصدت بذلك تراب طيبة المنورة كلّه ، لا تراب الرّوضة فقط ، كما هو في القصيدة المباركة ، فهذا والله ورسوله ρ أعلم ، أحق في التّوقير والإجلال ، وإن كنت قد أبدلت ذلك من قبل بقولي " مسّ أقدامه " ، ولكنّني رأيت أنّ ذكر النّعال ، أبلغ في العرفان وأوقع في الوجدان .

ولقد سبقني في هذا الوجه من الإستدراكات ، جمهور المحققين من الفريقين ، وهو من واجبات نصرتنا لحضرة الحبيب ρ .

فقد غيّر الإمام النبهاني قدس الله سرّه مثل ذلك اللّفظ من القصيدة المشهورة :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم

وقصّة الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق في أحد زياراته للحبيب المصطفى وقف أمام المواجهة النبويّة في خشوع وتلا تلك الأبيات المشهورة : يا خير من دفنت ...

فما لبث أن سمع من قبل المواجهة الشريفة صوت سيّدنا ومولانا ρ يخاطبه معاتبا (فيما معناه) : وهل أنا ياولدي الآن أعظما مقبورة ؟!! هذا الأعرابي مدحني بما يليق بحاله , فهلا تنبهت - وأنت العالم -ومدحتني بما يليق بعلمك بي ؟!.

نعلوت الحشر

وإنّ من المعقود في القلوب بالضرورة ، أنّ سيّدنا الشّفيع ρ هو المعوّل عليه يوم الدّين ، من يوم النّشور إلى يوم الزّور الأعظم ، ولقد أشار ρ إلى هيمنته على العالمين ، بقوله : (وأنا الحاشر الذي يحشر النّاس على قدمي)

ووجه التحقيق في هذا أن نقول : الحاشر الذي يحشر العالمون ، تحت شراك نعله المحيطة ، لأنّ النّعل لباس لازم للأقدام ، وحشاه أن يكون في مثل تلك المحافل حافيا ، لاسيّما وأنّه ρ في ذلك اليوم ، هو السّلطان فلابدّ أن يكون منتعلا بالعظموت ، في يوم يحشر فيه النّاس حفاة عراة ، ولكنّه وهو عروس ذاك الموقف ، يكسى يومها من حلل التّكريم والإجلال ، كما جاء في الحديث قوله ρ : (أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأُكسى حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق ، يقوم ذلك المقام غيري) قلت والنّعل من الكسوة .

هذا في ظاهر الأمر ، أما في حقيقته ، فإنّ حديث الحشر ، يشير إلى هيمنوته وجبروته ، وهو ما أكّده بلفظ القَدم ، ليكون أبلغ في الإعجاز والقهر.

وإن قيل بأن القدم هنا ماهو إلّا كناية على الهيمنة ، نقول وهو عين ما قصدناه باستواء النّعال ، ولكن ما هذا إلّا تنزل منه ، فأنّى للممكنين من ذاك القدم الأعلى ، فيكفيهم سلطة نعلوته ، التي هي سبحة تنزلاته ، فهي برزخ سائر المهام يومئذ ، فمن أراد النّجاة في الدّارين فعليه بها ، فتلك واسطة مظاهر القدموت ، جمالا وجلالا وكمالا ، رحمةً للمومنين بل للعالمين ، ولعنةً على الكافرين ، وفتحا للمقربين .

أجل وليس هذا في الحشر فقط ، وإنّما هي الحاشرة للعالمين ، في كلّ آن وأين ، تمثل قدرة القدموت ، وسعة رحموته .

نعلوت المجد

ما النّعل من قبل التّشرّف بخدمة الأقدام المجيدة ؟ أليست إلّا مجرد جلد حيواني ؟

بلى ؛ ولكن هناك يكمن السّرّ البليغ ، فهذا جلد حيوان ميّت ، لمّا انتسب إلى أعتاب ملك الملوك ρ إرتفع قدره وعزّ شأنه ، وكيف لا وقد قال الحق سبحانه (ورفعنا لك ذكرك) .

أجل لمّا رفع ذكره ρ ، رفع ذكر كلّ من إتّصل به ، من البشر والأملاك والجنّ ، والأمكنة والأزمنة ، واللّباس والمتاع والدّواب ..

ولا جرم أنّ ربّه تعالى رفع له ذكره حقا ، فما حفظ لنا التّاريخ مدى ذهره ، سيرة وشمائل شخصيّة بالتّدقيق والتّفصيل ، كما حفظت لنا شؤونه ρ ، بل وحتّى كم من شيبة في لحيته الشريفة ، حتّى حفظت لنا نعله السويّة ، مدّة أربعة عشر قرن .

ومن رفع ذكره ρ أن صار مجرّد وصفنا ، لنعله اللّطيفة أو لدوابه الظريفة ، يعدّ علما نتقرّب به إلى الحقّ سبحانه ، ونتفاضل بحفظه ورواياته .

فلَهذا هو المجد والعزّ حقا ، والمقصود بذلك نحن معاشر الآدميّين ، فتلك جمادات وبهائم تسامت ، بفضل النسبة للجناب الفخيم ، فمابالك بذوي الألباب والقلوب والأرواح ..

نعلوت الختميّة

وبعد كلّ التنزلات تبقى حضرة النّعال هي الخاتمة ، وكأنّها لبنة تمام الكمالات الإمكانيّة ، فعن عماء الحقيقة ، تنزلت حضرة الروح ، وعنها تنزلت حضرة الجسد ، وعنه تنزلت سيّادة النعلوت .

أنا خاتمــةُ الــنُّزولِ المُجَسَّــــمْ ليس ما بعدي إلّا مِن إظهاري

وما ذلك إلّا لتقريب الإتّصال مابين العالمين ومحتدهم ρ ، إذما علّة التّنزل ، إلّا البرزخيّة في التّعلق والتّحقق ، فمن فنا فيها ، عرجت به إلى ملكوت الجسد ، ومنه إلى جبروت الرّوح ، ومنه إلى هاهوت الحقيقة ، وهذه هي العلّة الغائيّة للوجود .

وعلى هذا المنوال من التدريج ، تماشينا في منهجنا العرفاني ، وخير مثال على هذا " مولد الكنز " حيث قسّمناه على حسب تلك الحضائر الأربعة ، وهو بلسان الإشارة والتحقيق .

نعلوت العجز

لا ريب أنّ بداية القدم العلي ، هو غاية ما تطمح إليه عزائم الوحى ، وأنّ حضرة النّعلوت تمثّل سلطة ذاك البدهوت ، فلزم من تعاليها تعزّزها وقهرانها لمن دونها ، وهي بذاك المستوى غيهوبة معمّهة ، حتّى عن البصائر الجبروتيّة ، بله النواظر الملكوتيّة .

فلا جرم أنّها : آية الإعجاز وسلطة الإعزاز ، المهيمنة بعظموتها على سائر الأطوار ، والكلّ في كنهانها حيارى ، لعزّة ماضربت حولها من سبحات .

فتلك شواهد المشاهد ؛ في عموتها اعتمهت ، وهنالك مدارج المعارج ؛ مادون سلطانها تخلّفت ، و تيكم سوابق الحقائق بعاتيات صياصيها إصطلمت ، وأنّى بها وهي عرش قدم الإطلاق ، وشعار وطئة الرّجبوت ، فظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر .

تَحُــوطُها مَــحارِمٌ نَــواهي مِــن دُونِها مَراجِــمٌ دَواهي
وحَــولَها طَـلاسِمٌ رَواصِـدْ مِــن دُونِها حَــواسِمٌ صَوائِدْ
وتَحْــتَها قَـماقِــمٌ عَــوامي مِــن دُونِها طَـماطِـمٌ غَـوامي

وقَـبْـلَها مَـعـادِمٌ فَـواتِكْ مِـن دُونِها صَـوارِمٌ هَواتِكْ
سَـلِّمْ وَقِفْ إيّاكَ أنْ تُماري مـا النَّعْلُ مِـن سُلالَةِ الآثارِ

وإنّ هذا الرّقيم هو علّة هذه الحضرة ، فما المقصود بالنّعلوت : إلّا الإعجاز البديهي للإمكان ، وشعاره المنقوش على غرّة الدّهور :

ألا وإنّ الإعجاز النّعلوتي لانهاية لآياته ، كما لانهاية لكمالات محتده الأعلى ، فكأنّ لسان حالها يقول : أنا بداية كمالاته ، صورة ومعنى ، إجمالا وتفصيلا ، فمن يجاريني ؟ ، ومن يجاريها وهي محتد الكلّ في الكلّ .

وكذلك للإعجاز وجهة في التّعلّق ، كحجّة على المحبّين ، فكأنّه يقول : أوفوا بحقّ نعالي عليكم أولا، ثمّ ادّعوا واجب التّعلق بذاتي ، فأنتم لازلتم مقصّرين في البداية ، فكيف تدّعون النهاية ، وأنّى تقدر حضرة المولى ، حق قدره وإنّ إمداداته الحسيّة والمعنويّة ، لتترى علينا في كلّ لحظة ، وماهي إلّا محض منّة وجود .

والمتأمّل يرى أنّه لم يثبت عن ساداتنا الأصحاب عليهم الرضوان ، رغم ما تيسر لهم من تنزلاتها ، وخلعها عليهم ، وإرثهم لها ، أنّ أحدهم تجرّأ ولبسها ، لعلمهم أنّها لاقدّ لها ، ولا تحاذى من مخلوق أبدا .

φ التعلق بها .:.

لاشك أنّه يجب علينا تجاه نعل سيّدنا ρ حقوقا ، واجبة ونافلة ، كما يجب على العبيد مع ساداتهم ، فإنّ لكلّ ما يتعلق بالسّادة شأن عند مواليهم وأحبابهم ، ولاسيّما نعالهم ؛ لكونها الأكثر نزعا ، والأصغر شأنا ، ولذلك نرى الخدّام يسارعون في خدمتها ، إظهارا للعبودية والتذلّل والموالاة .

وهذا ما أدرجت عليه آدبنا الشّرعيّة ، في معاملتنا لذوي الفضل والشّرف ، وكما هو معلوم من أحوال طلاب العلم والمريدين ، سلفا وخلفا.

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنّ نعل سيّدنا ومولانا ρ أولى بذلك ، لما له علينا من منّة ، ولما له عند ربّه من مكانة ، وإنّ تعلقنا بها لشاهد حال ، على إخلاصنا في التّعلق بالحبيب ρ .

وسنعرّج هنا على بعض مايجب علينا من مقامات لها :

<u>1 مقام العشق :</u>

فلقد اتّفق أرباب الوجدان ، من أصحاب الجنون والأشجان ، أنّ من أحب أحدا ، أحبّ كلّ ما يتعلّق به ، ولا سيّما إن كان ذاك الشيء يدلّ عليه لزوما ، كلباسه ومتاعه وأبناءه ..
وإنّ قصّة مجنون ليلى مع الكلب لأغلظ حجّة على ذلك ، حينما رأى كلبا أسودا مدنّسا بالوحل ، فهرع إليه يقبله ويحسن إليه ، فلمّا عذلوه ، قال : رأيته ذات مرّة في حيّ ليلى ، فمافتنته عين الكلب ، ولكن العين التي رأت الكلب ، أو الغبار الّذي علق به ، من الأرض التي وطأتها نعال ليلى ، وهو الذي يقول :

أمر عـلى الديار ديار ليلى فأقبل ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

ولقد أحسن من أخذ هذا المعنى ، فقال :

وما حب النّعال شغفن قلبي ولكن حبّ من لبس النّعالا

فلذا يجب عليك أيها المحب ، يامن تسعى إلى وصال حبيبك ρ أن تتولّه بنعاله وتهيم ، فذلك أوفى وأشفى ، لاسيّما في حالة الفراق ، فعلّل بها فؤادك العليل ، حتّى تزول حجب الفصال ، ومن لم يجد ماء تيمّم بالترب .
بل حتّى ولو كنت في حالة اتصال ، فأكّد حبّك لسيّادته ρ بلثم شسعه ، ولعق شراكه ، كيف وأنّ الأشواق تزداد لهيبا بالتّلاق .
وكنت قد نصحت إخواني من المتعلّقين ، إذا جمعتهم بالحبيب ρ مشاهدة ، أن يسارعوا إلى تقبيل نعاله ، وإن أبى ذلك تنزّلا ρ.

ومن طلب الدّليل على عشق النّعال الحبيبة ، فقل له : إنّ الإستدلال للبداهة من السفاهة ، ومتى نصّ الشرع على أنّ الثلاثة أكبر من الواحد .
وقل لمن أنكر الوجوب : هو ليس واجبا عليك أنت ياجافي ، بل إنّ لزومه واجب على ذوي القلوب والوجدان ، الذين لا يحتجّون لذوقهم ، ولا يحتاجون فيه إلى برهان ، أولئك الذين قال فيهم ρ : " إستفت قلبك ، وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك "

أولا يكفي أنها لامست الجسد اللّطيف الشريف ، أوليست التي سقيت من عبيق ريحه الأنفح ، ولكن هيهات هيهات ، فلايشمها إلّا المتعلّقون ، ولا يشمها إلّا ذو حظّ عظيم .

فكما ما شمّ قميص سيّدنا يوسف υ إلّا أبوه الذي تفانى به غراما ، كذلك الحال في خلعة الحبيب ρ بل هو أشد من ذلك .

هَـذِهِ النّعلُ أينَ خلعةُ يُوسـفُ فَفُـؤادٌ لَمْ يَنْشَقِ الرِّيحَ يُوسِفُ

ففؤاد لم ينشق أريج شذاها ، الساري في ذرات الوجود ، ليؤسف حقا ، ولا غرو من هذا ، فإنّ ريح الجنّة يوجد من مسيرة خمسمائة سنة ، وماهي في التّحقيق إلّا أثر وطئة النّعل الأقدس الأنفس .
وهنا قد حضرتني قصة حقيقة حصلت لأحد العارفين ، وقد حكاه بعض المحبين من فلسطين ، عجّل الله بفرجها آمين ، بجاه سيّدنا الأمين ρ .
وذلك أنّه كانت هناك تحفة من تراب الحجرة الشريفة ، عند بعض المحبين ، وكان قد خزنها في بيته ، وبعد مدّة نسي مكانها ، وحصل أن كان أحد العارفين في ضيافته ، فاتكىء على مسند من المساند . وفجأة بدأ هذا العارف يمسح دموعه الغزيرة ، ويبكي وكأنه واقف أمام مقام الحبيب ρ بشكل أثار الحضور ، وظنوه به سقم !.
ثم قال : يا جماعة أنا أشم في هذا المسند رائحة الحبيب ؟! هناك رجعت الذاكرة للوراء بصاحب البيت ، وأخذ يستذكر فقام وفتح المسند ، وإذ به ذلك الأثر اللّطيف .

فاللّهم اشهد أنّنا بعدما ذقنا قطرة من التّعلق ، فرضت علينا مهجنا : التولّه والتذلّل بنعاله وآله ρ ، من دونما تكلف ولا تعلّم ولا احتجاج .

وصل به

وإن تقل أنّى لنا بها حتّى نتعلق بها ؟ أقول : يكفي التّعلق غيبا كما نتعلّق بصاحبها ρ ، وأمّا ذو الوجد فإنّه يهيم حتّى بصورتها أومثالها ، سيّما وإنّ صورتها صارت منشورة مشهورة اليوم ، فدونك إلثم وعانق وتمرّغ ، واتّبع كلّ مايمليه عليك وجدانك ، إن كنت من العالقين .

وكذلك إنّ عشقها درجات ومعارج ، ولايزال السالكون يتفانون في ودادها ، حتّى لايشهدونها إلّا هي في الوجود ، ولسان حالهم يشهد " أن لامحبوب إلّا النّعال " وهكذا إلى أن تنجلي لهم أنوارها من غياباتها ، فيشهدونها خيالا ، ثمّ يترقون إلى المنام ، ثمّ إلى المثال ، ثمّ إلى اليقظة وهذا هو الفتح ، ولانهاية للترقي فيها ، كما لانهاية لمدارج كنهها .

وما يدريكم يا ذوي الجلافة والجفاء ، ما يخالب وجدان أهل التّعلق والولاء ، من أذواق وأحاسيس وشعور ، والعشق ذو فنون وجنون وجشون ، وإن هذا من أغربها وأعجبها .

فهم إنّما تعلّقوا من بعدما شهدوا وعرفوا وذاقوا ، إذ أنّ نظرهم لم يتوقف على الجلد المدبوغ ، بل إلى ما يكمن في نواتها ، ويسري في ذرّاتها .

ومع كون قدرها في الوجود ، ما هو إلا أمر حكمي لا عيني ، أي حيثما حل وظهرρ يتجلى بنزلة نعلوتيّة ، وليست هنالك نعل مخصّصة ، لازمة لأقدامه المنزهة عن التقييد ، إلّا أنّك إذا تبصرت ياذا السريرة ، بتلك النّعال المنيرة ، التي تشرفت بخدمته في هذه الدّار ، تراها نورا محضا ، وسرا غضا .

ومن اليقينيّ عند أهل الشّهود ، أنّ أنوار الخصوص تبقى تسري في آثارهم ، إلى أن يرث الله الارض ومن عليها ، ويشهد لذلك قصة سيّدي ابن عربي قدس الله سره حينما نزل في بعض سياحاته بمغارة ، لحصل له حال حضور وانجذاب ، فاستكشف عن سرّ ذلك ، فعلم أنّ بعض الأولياء من السّلف ، تعبّد بها ذات مرّة ، فبقيت أنواره طيلة تلك القرون .

إذا كان الحال كذلك ، فما بال أنوار النيّر الذّاتي ρ الّتي تسري في آثاره ، أتراها تأفل ، سبحانه وتعالى عما يفترون .

إذا فلنعذر أهل الغرام والوله بنعاله الوسيمة ، بل لنعذلهم على تقصيرهم عمّا يجب لها من عشق واشتياق ، ودونك قس على حال المجانين ، بهوى الأمور الدنيّات .

فجلّنا رأى أوسمع ، إن لم نقل عايش وذاق هذ الحال ، من الخضوع والإشتياق إلى تقبيل نعال من يعشق ، سواء في المحبّة الربانيّة ، أو العاديّة ، أو الشّهوانيّة .

ولقد كذب في حبّه من لم يتذلّل بأعتاب أحبابه ، أو يشتاق إلى نيل ذلك ، فإن لم تكن من أهل الهوى فسأل به خبيرا .

ولنا من قصّة سيّدنا يعقوب υ في شفائه بقميص قرّة عينه سيّدنا يوسف υ، خير دليل وأوثق شاهد ، على التّعلق بالنّعال الساميّة .

هيهات هيهات ، فذلك قميص سيدنا يوسفυ، ولكن هذه نعل مجلى الجمال الذّاتي ، المقدّس عن النّظير ، فيا ترى كيف يكون حال العاشقين للحبيب ρ مع خلعته هذه .

وانظر إلى الإمام الشّافعي رحمه الله وهو من هو ، كيف يفعل مع قميص تلميذه الإمام أحمد رحمه الله ، وذلك فيما أورده ابن عساكر في تاريخه ، والسّبكي في الطبقات وغيرهم عن الرّبيع رحمه الله :

إستأذنت شيخي الشافعي ذات مرّة في سفر فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبد الله ، وائتني بالجواب .

قال الرّبيع فدخلت بغداد ومعي الكتاب ، فصادفت أحمد ابن حنبل في صلاة الصّبح ، فلمّا انصرف من المحراب سلّمت إليه الكتاب ، وقلت هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فقال لي نظرت فيه ؟ فقلت لا ، فكسر الختم وقرأ وتغرغرت عيناه ، فقلت له : أيش فيه أبا عبد الله فقال يذكر فيه أنه رأى النبي ρ في النوم فقال له اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم ، فيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة .

قال الربيع : فقلت له البشارة يا أبا عبد الله ، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده فأعطانيه ، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر وسلمته إلى الشافعي رحمه الله ، فقال أيش الذي أعطاك فقلت قميصه ، فقال الشافعي رحمه الله : ليس نفجعك به ، ولكن بُلّه وادفع إليّ الماء لأتبرك به .

2 مقام التّقديس :

ألا وإنّ من تعظيم الله تعالى ، تعظيم حبيبه ρ ، ومن تعظيم الحبيب ρ تعظيم كلّ ما يتعلّق به ، وهذا معلوم بالضّرورة المنطقيّة .

فوجب علينا تجاه نعله الشّريف ، كلّ ما يلزم من حقوق للجناب القدير ρ ومن إنتقص منها بأي صيغة كانت ، فقد باء بالكفران والعياذ بالله ورسوله ρ .

فالحذر الحذر ، والتّقوى التّقوى ، فإنّ هذا الجناب الشريف ، لَمِن أعزّ حرمات الله تعالى ومن أعظم شعائره { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } و { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }

ولإن كانت آثار المقربين السابقين ، من شعائر الله تعالى ، ، كما قال سبحانه { إنّ الصفا والمروة من شعائر الله } وهي من آثار السيّدة هاجر عليها السّلام ،فلا شكّ أنّ آثار الحبيب ρ أولى وأغلى ، وقس عليه مقام سيّدنا إبراهيم υ ، وحجر سيّدنا إسماعيلυ ، وهكذا ..

بل ماذكرها الحقّ سبحانه لنا ، إلّا لينبّهنا إلى شعائر نبينا الأعظم ρ فما العلّة من قصص النبيّين ، إلاّ التبصّر بمقام سيّد المرسلين ρ ، بل وماذُكِرَ صالحوهم ، إلّا لنتبصّر بصالحينا .

فمثلا ذكر القرآن ، طلب الرؤية ، لنتبصر بمقام الكفاح المعراجي ، وذكر خلع النّعل لنتبصر بإثبات النّعال الشريفة ، وهكذا كلّ كمالات الرّسل ، ماذكرت إلّا لنتبصر بمقام سيّدنا ρ .

وذكر أمّ سيّدنا موسى وعيسى عليهما السّلام إشارة إلى أمّ الحبيب ρ ، وذكر سيّدة نساء عالمها إشارة إلى سيّدة نساء العالمين عليها السّلام ، وذكر سيّدنا الخضر وذا القرنين عليهما السّلام إشارة إلى صالحي أمّتنا ، وذكر بني إسرائيل إشارة إلى بني المختار ρ ؛ فافهم .

وهكذا هو القرآن ، نزل بإشارة " إيّاك أعني واسمعي ياجاره " كما قاله مولانا جعفر الصّادق υ ، فما ذكر لنا فضائل أولئك ، حتّى نبقى معهم ، ولكن لنقيس بها فضائل عظمائنا نحن .

فصل

وممّا يجب علينا من الأدب مع سيادتها ، أن لانذكر إسمها مجرّدا ، بل لا بدّ من إضافة مايدل على التّوقير ، إمّاقبل الإسم كقولك مثلا : هذه حضرة النّعال ، أو من بعده كقولك : النّعال المجيدة أو الساميّة .. أو عليها السلام ، أوغير ذلك من ألفاظ التّقديس .

وهذا ممّا لاريب فيه ، فإنّ الفطرة السّليمة تعضّده ، بل صار من الأدب الثقافي السّائد اليوم ، حتّى عند غير المسلمين ، أن لا يذكروا شخصا إلّا بتخصّصه ، يقولون يادكتور، أو ياشيخ ، أويا مهندس ، ومن لم يكن له تخصّص ينادونه بالسيّد ، وذلك حفاظا على الإحترام الإجتماعي ، والشّرع يؤكد ذلك كما في حديث " ثلاث يصفّين لك ودّ أخيك ، تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . (الطبرانى ، والحاكم) .

هذا في سائر النّاس ، فمابالك بسيّد الوجود وسلطانه المحمود ρ ، الّذي أمرنا الباري سبحانه أن لاتناديه كغيره بقوله { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا }

فوجب علينا أن نعظّمه ما أمكن ، وأن نتفنّن ونتنفّل في ذلك ، شكرا وتودّدا لجنابه الحميم ، فلا نذكر شيئا خاصا به ، إلّا ونقدّسه قولا وحالا ، حتّى دوابه التي زكّاها بالرّكوب .

ولا بدع أن نقول لحضرة النّعال ، أو لسيّدنا يعفور عليه السّلام ، لأنّه حتّى وإن لم ندعوا نحن بذلك لهم ، فإنّه قد حصل لهم ، لمّا تشرّفوا بخدمة مظهر الرحموت والسلام .

ومن قال كيف تصل إليهم الرّحمة ، وهم غير عاقلين ؟

قل له : وكيف يسبحون الله تعالى إذا ؟ وما معنى قوله ρ إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخّر تسعا وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة (أحمد ، ومسلم)

بل كيف تصل إليهم اللّعنة ، ولا تصل إليهم الرحمة ، وقد جاء في الحديث (بينما رسول الله ρ يسير إذ لعن رجلٌ ناقته ، فقال ρ : أَخِّرْها عَنَّا فقد اسْتُجِيْبَ لك) (الخرائطى فى مساوئ الأخلاق)

ومن إستنكف وتقزّز من هذا ، فاليحذر من الكفر والعياذ بالله وحبيبه ρ فإنّه من كره شيئا منهρ فقد كفر ، كما قاله الحافظ الهيثمي .

بل قل له : إنّك وأمثالك وساداتك ، لاتساوون شعرة من ذيل سيّدنايعفور υ ، لأنّه خادم لسيّد الوجود ρ ، وأنتم عصاة آبقون من مولاكم ، فالدواب حيئذ أفضل منكم ، كما قال تعالى { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }

ولنا في هذا المعنى ، لطيفة وجدانيّة لم نسبق إليها ، وهاكها من كنوز أدب آل البيت :

غبطنـــا عفـــيرا عـــلى المســـتوى	وياحبـــــــذالكم المســـــــتوى
فيـــــاليتني كنــــــت ذيـــــلا له	لعـــلّى الدنـــوّ يـــداوي الجـــوى
أو انّي مـــــن ظهــــره شـــــعرة	لعـــلّى الوصـــال يزيـــل النّـــوى
فطـــــوبى وطــــوبى وطــــوبى له	فـــذلك غايـــة أهـــل الهـــوى
لقــــد حــــاز كل المــــنى والهنـــا	إذ ادّنى حـــتّى فـــنى فـــارتوى
فلـــــو أنّ مـــــاكان يحمــــله	عـــلى العـــرش في أوجـــه لهـــوى
فياللعجائــــــب مـــــاذا جـــــرى	تكـــبّر مـــن مـــدّه بالقـــوى
فدونكـــــه الجلـــــلى ياذا النّهـــــى	فعنـــد عفـــير يكـــون الدوا
هـــو الحِـــبّ والطّـــبّ ســـيّدنا	فـــا هـــو في جنســـه كالسّـــوى
ألم يـــــتزكى بنـــــور الهـــــدى	بـــلى إنّـــه للمعـــالي حـــوى
فيـــــا قلـــــبي هِمْ وتـــولّه بــــه	ولا تعبـــأن بالّذي قـــد غـــوى
وقـــل ياعفـــيراه جُـــدْ نـــزلة	فهـــذا فـــؤادي لـــكم مســـتوى

هذا ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فإنّنا في زمان حريّة المعتقدات ، فهذا يكفر بواحا ، وذاك يجسّم ويشبه ، والآخر يتجرأ على المقدسات ، فنحن أولى بإظهر معتقد التّحقيق حينئذ ، والحق أحق أن يقال .

وصل به

ومن لوازم تقديسها وتوقيرها ، أن نخشع ونخضع لعظمتها ، إذا ذكر إسمها أو شوهد رسمها ، كما كان حال السّلف ، مع كلّ آثاره ρ .
وكذلك من الأدب معها ، أن نجلّ تمثالها وصورتها ، بالوضع على الرؤوس ، وعلى الأعين وعلى الأفئدة ، وأن لا نتساهل في تناولها وإعطائها ، وأن نشاهد عليها عظمة الأصل ، في حال التّعامل مع مثالها .

إستئناس بالقيّاس

وإنّ من أملح القيّاسات في هذا الباب القيس على حديث " الجنّة تحت أقدام الأمّهات " أي مكان نعالهم ، فمن أراد الجنّة فليكن نعلا ، أو أرضا لنعل أمّه ، وهذا كنايّة على شدّة الخضوع للوالدين ، لما لهم علينا من حقوق ، وذلك لمّا كانوا سببا في دنيانا ، وفي تربيّة أجسامنا .
إذا فكيف يكون الحال ، مع من كان واسطة في نعمة الدّين ، الرّحمة للعالمين ، ومن هو مربّي النّفوس والقلوب والأرواح ، ومن هو باب دخولنا إلى ساحات الرّضوان والكثبان ..
ماذا نقول الجنّة تحت أقدامه الشريفة ρ هذا لا يكفي ، بل نقول إنّ الكثبان تحت شراك نعاله المقدّسة ، بل هو أكبر وأجدر .

3 مقام الخدمة :

خدمة النّعل وما أدراك ماهيه ، لهي من كنوز القربات الأنائيّة ، ومن أخص النّفحات الربانيّة ، هي مهنة المقربين من قدم ذلك الملك الأعظم ρ ، فلا تتسنّى إلّا لأهل المحاضر اللادنيّة ، من ذوي النبوّات والفتوحات النّعلوتيّة ، وإلّا فأنّى للمحجوبين من مكاحلة سبحاتها العزيزة .
أجل فإنّ نعال الملوك تيجان الرعيّة ، ولايتوج بها إلّا المقربون من الوزراء والبطانة ، وكيف بنعل ملك الملك والملكوت والجبروت ρ ، المكنونة المضنونة في غيابات جيوب القدموت .

فبخ بخ ، وطوبى طوبى ، وبشرى لمن تشرّف بخدمة ذيّاك العرش المجيد ، الذي تزكّى باستواء ذلكم القدم العظيم ، جعلنا الله منهم ، ولو من وراء حجاب ، آمين بجاهها عنده .

ألا وإنّ أعظم مايفتخر به الأكابر ، هو خدمة أعتاب الحضرة السياديّة ، ولو أنّها غنيّة عن الخلائق ، قياما بقيّوميّة الحق تعالى ، ولكنّها تنزّلت لنا لنعرج بها ، وما خدمته إلّا كحال عبادتنا لله سبحانه ، وهو غني عن عبادتنا .

ولكن الخلق في خدمتها درجات ، فالرّسل ثم الأمثل فالأمثل في الفتح ، فأهل الشهود يخدمونها عيانا ، وذوو الحجاب يخدمونها تقليدا ومثالا ، ومن لم يجد ماء تيمّم بالترب .

لئلا تقول لي وأين حضرتها منّا ، حتّى نخدمها ونتعلق بها ، فقد اتّفق أهل القلوب والألباب ، على التّعلق بآثار الأحباب تعلّلا ، بل على تمثيلها وتصويرها وتخيّلها ، كما فعل السّادة مع مثال النّعال الشّريف ، وما قصدهم إلا استحضار مشهد ، ذاك الجناب الأفخم .

فمن لم يتشرّف بخدمتها حقيقة ، فلا يفوته التّعلق بها صورة ، فإنّه بقدر التّعلّق الصّوريّ ، يكون التّحقق العيني ، فبعد الفتح تخدمها عيانا ، كما خدمها أولئك الأكابر .

مقام الفداء :

وإنّ من مقتضيات عشقها : أن نناضل عنها ، ونفديها بكلّ مانملك ، فالإنتصار للأحبّة ممّا يفرضه عليك الوجدان العامر ، ولذلك قال روحي لنعله الفداء " إستفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك "

قلت : وقس على هذا ، كلّ أحوال تعلّقنا بحضرة النّعال الرّشيقة ، فإنّ تلك الفرائض التي ألزمنا بها أنفسنا ، حتّى وإن لم تأتي فيها شواهد ظاهرة ، فإنّ الحال يوجبها علينا .

فأنت من بعدما تأتي بواجب المحبّة ، ويمتلؤ وجدانك غراما ، يصير فؤادك يملي عليك ، فرائض ونوافل في التّعلّق ،غير المعهودة في النّصوص ، وذلك معنى قوله روحي لنعله الفداء " إستفت قلبك وإن أفتوك ... الحديث "

قُلْ لِباغي الدَّليلِ ضَلْتَ سَبِيلًا وَجْـــدُنا بالأحْوالِ لا بالْمَـقالِ

وإنّ طريق السّلوك في هذا المقام ، اليوم ضيق نوعا ما ، إلّا على المفتوح عليهم بالشّهود ، وأمّا المحجوبين ؛ فالأمر ندب عليهم ، إلّا إذا ما حدث طارئ في الواقع ، فيجب على الكلّ الهبوب إلى نصرتها ، ولو بالقلب ؛ وذلك أضعف الإيمان .

كما وقع في زماننا من إستهزاء بعض الكفرة من الوهابيّة ، حيث ظهر على بعض شاشات الخزي والعار ، وأخذ يسخر من كتاب " فتح المتعال في مدح النّعال "، والمؤسف أنّ علماء أمّتنا ، لم يحرّكوا ساكنة جرّاء هذا .

فلماذا نلوم اليهود إذا ، ونحن الذي سننا لهم العدوان ، فأولئك مهما يكونون فهم ، على غير ملّتنا ، أمّا هؤلاء فيدّعون السنّة والجماعة ، ووالله لهم الكفرة الفجرة .

فعليك اللّعنة يا بن تيميّة ، وعليك سخط الجبّار يا بن عبد الوهاب ، ما الذي فعلتموه بأمّة الحبيبρ لقد مزّقتموها وفرّقتموها ، ووفّقتم إلى ما فشل فيه اليهود ، فكفى بكم دجاجلة وشياطينا .

يا أَسَفًا ضَــيَّعْتُمُ الأمــانَه　　ولَـم تُراعُــوا حُرمَــةَ الدِّيانَـه
هَجَــرتُمُ القــرآنَ يــا قُرّاءُ　　ماهَــذا دِيــنٌ إنّــمَا هُـراءُ
نَصَــرتُمُ السَّخافَـةَ التَيْمِيَّهْ　　على حِــسابِ الشِّرعَـةِ الأُمِّيَّهْ
شَرَّعْتُمُ العُــدوانَ لِليهـــودِ　　بِمَا اجْتَهَــدتُم فِيهِ مِن جُحُودِ
قدِ اجْتَهَدتُمْ في أساليبِ العِدَى　　فما تَركــتُم لِلشّياطِــينِ يـدَا

مقام الزيارة :

والزيارة كغيرها من الأحوال الوجدانيّة ، التي لا تخضع إلى مقاييس ؛ العقول والمنقول ، مصداقا لقول مولانا الحبيب ρ " من وجد سعة ولم يزرني ، فقد جفاني " فلم يقل فقد عصاني ، بل قال جفاني ، لأن الجفاء يشير إلى أحوال المحبّة ، والزيّارة من لوازمها وشروطها ، كما قال الشّاعر :

زر من هويت وإن شطت بك الدار　　وحال من دونه حجــب و أستار
لا يمنعــك بعــدٌ عــن زيــارته　　إنّ المحــبَّ لمــن يهـواه زوّار

فأنت إذا أحببت شخصا ما ، لا تحتاج في زيارته إلى دليل ، بل تجد قلبك مصرّا على ذلك ، ولو خالفك فيه الثّقلان . فحيثما اشتهى القلب ، فالأعضاء تسارع :

أرى الرجل قد تسعى إلى من تحبه　　وما الرجل إلا حيث يسعى بها القلب

إذا فلا لوم على عشّاق شمس الجمال ρ أن يتشوّقوا إلى زيارته ، وأن يبذلوا الغالي والنّفيس في تحصيلها ، لاسيّما وقد أوجبها الشّرع الحكيم .

فاليوم ولمّا لم تتيسّر لنا زيارة النّعال الشّريفة ، فلنعلّل وجداننا بزيارة أعتابها الطيّبة ، التي ماطابت إلّا بوطآنها .

فدونك أيها المريد إجعل مقصودك من الزيّارة ، زيارة موطئ حضرة النّعال ، وهذه النيّة أرقى وأوفى ، لما فيها من الأدب مع الجناب الشّريف ρ .

وأمّا من لم يتسنّى له ذلك ، فلا يعجز عن زيارتها بالشّهود ، فيتخيّلها وكأنّه تحتها ، وحبذا لو كانت عنده صورتها ؛ لتقرب له المشهد ، وعسى أن تجود يوما ؛ برفع حجابها .

ويحق أن تنشد حينها :

في حــالة البعــد روحي كنــت أرسـلها　　تقبّــل الأرض عـــنّي وهي نائبتــي

وهـــذه نفحـــة الوصـــال قـــد عطفـــت فـــانزل نعـــالك كي تـــروى بهـــا مهجـــتي

والحق أن تعربد صادحا :

يا من تعاليت في مـــعـيّة الأحـــد إن غبت عن بصري ما غبت عن مشهدي
فانزل عـــليّ نـــعالك لأجـــعـلـها وردي ومسـجـــد مهـــجـــتي إلى الأبـد

ويقول الشيخ أحمد رضا خان القادري ؛ في كتابه "أبرّ المقال في قبلة الإجلال":
"ومن فوائد ذلك أن يزور الأمثال ، من لم يتمكن من زيارة العين ، ويشاهدها مشتاقا ويلثمها ويزداد فيها حبا وشوقا ، وقد استنابوا مثال النعل عن النعل ، وجعلوا من الإكرام والاحترام ما للمنوب عنه ، وذكروا له خواصاً وبركات بشهادة التّجربة الصحيحة...

مقام التوسل :

إنّ التّوسل المختلف فيه بين العوام ، هو الواجب عند الخواص ، ليقينهم أنّه ρ الواسطة العظمى في الدّارين ، وأنّه باب الله اللاّزم للعالمين .
ومن المعلوم عند المحققين ، أنّ التّوسل أو الإستغاثة ، تستلزم الخضوع بالأعتاب ، والتذلّل لجناب الأحباب ، ومن هنا إستنبط أهل الوجدان ، فرضيّة التعلّق بالنّعال ، وموالاة الآل .
وإنّ التّوسط بهذا الحال ، أبلغ من أن نقتحم حضرته ρ مباشرة .
ولهذا المقام أوجه ثلاثة :

1) أن تطلب بها حضرته ρ بجاهها ، أو أن تستغيث بها هي مباشرة ، وتهتف باسمها في المهات .
2) أن تجعلها واسطة في التّعلّق بالجناب الشّريف ، أي تتعلّق بها لتوكد شدّة تعلقك بمولاها ρ .
3) أن تجعلها واسطة في شهود كمالات صاحبها ρ ، وذلك عندما تتعرّف على حقيقتها ، وتشهد لها الكمال ، ولسان حال هذا المقام ، يقول : هذا بالنّعل كيف بالأقدام .

والمهمّ أنّه حتّى ولو لم يتوسّل الخلق بها ، فإنّها برزخهم وواسطتهم بالجناب الأفخم ρ لكون البرايا تحت هيمنتها رمّة .

وصل به

وإنّ هذا المقام هو الأشهر ، لاسيّما عند المتقدّمين ، حيث كانوا يتوسلون بمثالها الشريف ، في كلّ ما يهمهم ، دنيًا وأخرى .

قال في الفتح : و من بعض ما ذكر في فضلها ، وجرب من نفعها وبركتها ، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد وكان شيخا صالحا ورعا ، قال : حذوت هذا المثال لبعض الطلبة ، فجاءني يوما فقال لي: رأيت البارحة من بركة هذه النّعل عجبا ، أصاب زوجي وجع شديد ، كاد يهلكها ، فجعلت النّعل في موضع الوجع وقلت : اللّهم أرني بركة هذا النّعل ، فشفاها الله للحين .

و قال الشيخ ابن الحاج: قال محمّد أبو القاسم بن محمّد : وممّا جرب من بركته ، أنَّ من أمسكه عنده متبركا به ، كان له أمانا من بغي البغاة ، وغلبة العداة ، وحرز من كلّ شيطان مارد ، وعين كل حاسد ، وإنْ أمسكته المرأة الحامل بيمينها ، وقد اشتدّ عليها الطّلق ، تيسر عليها أمرها ، بحول الله وقوته.

قال في الفتح : ورأيت في بعض تماثيل النّعل الكريمة ، مكتوبا بطرفها الشّريف ما نصه:

مثـــــال نعــــل الرســـــول	خـــــذه بجـــــن القبـــــول
ففضـــــله لـــــيس يحـــــصى	لدفـــــــع كل مهـــــــول

و رأيت مكتوبا بدائرتها ما نصه : ما كان هذا المثال الكريم في دار فسرقت ، ولا في سفينة فغرقت، وفيه خواص عجيبة. اهـ

ذكر مولاي محمد بن الطيب القادري الفاسي رحمه الله في السبع المثاني :

وقال لي بعض أشياخنا أنّه رأى النّعل التي بدار الأشراف الحسينيين الصقلّيين القاطنين بعدوة فاس ، فتبرك بها ومسح بها على أعلى بدنه ، وتوسل بها في قضاء حوائجه ، قال فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها .

قال الشيخ : ولا يقال مافائدة مثل هذه التماثيل ، بل إنّ النعل ليس بتافه ، بل هو أعظم الذّخائر ، وما زال النّاس يغتبطون بمثل البرد والقلنسوات للتبرك بها ممن ترجى بركتهم ، فما بالك ماكان من سيّد الأولين والآخرين ρ ، فما زالت عند الصحابة رضي الله عنهم حوائجه وآثاره ρ محفوظة للتبرك بها .

كما كان قدحه الشّريف ، عند سيّدنا أنس رضي الله عنه ، وهو من عود له حلقة من حديد ، فأراد سيّدنا أنس رضي الله عنه أن يدبّجه بحلقة من ذهب ، فقال له سيّدنا أبو طلحة رضي الله عنه ، لا تغيّر شيئا صنعه سيّدنا رسول الله ρ ، واشتري من ميراث إبنه النّضر بن أنس رضي الله عنه بثمانمائة ألف ، وعن الإمام البخاري رضي الله عنه أنّه رآه بالبصرة وشرب منه . اهـ

قال وفي عام أربعة عشر ومائة وألف ، شدّد السّلطان مولانا إسماعيل بن الشّريف الحسني ، في المغرم على أهل فاس ، فطلب أهل فاس من الشّرفاء الحسينيين أن يعطوهم النّعل النّبوي ، يستشفعون به إلى السّلطان ، فحمله بعض الأشراف ودخلوا على السّلطان ، فعفا عنهم السّلطان ، وأحسن إليهم أيّما إحسان ، وأخذ بالنّعل العظيم وأدخله إلى داره بقصد التبرك ، وبنى قبّة على المكان الذي تشرّف بها في داره ، وهي إلى الآن تسمّى قبّة النّعل ، وبقي النّعل المكرّم عنده مدّة ثم ردّه إليهم . اهـ

فيقول الشيخ البريلوي " بدر الأنوار في آداب الآثار ":

من يوجد عنده صورة النّعل يحفظ من ظلم الظالمين ، وشر الشّياطين ، وحسد الحاسدين ، وإن أمسكتها المرأة بيدها اليمنى في مخاضها ، سهلت عليها الولادة، ومن حفظها عنده والتزمها ، عظم في أعين الخلق ، وحصلت له زيارة الروضة المقدّسة ، أو زيارة الحبيب ρ في منامه، وإن احتفظها العساكر لا يهزمون ، والقوافل لا ينهبون، وإن وضعت في السّفن لا تغرق ، وفي الأموال لا تسرق، وأيّة حاجة يتوسّل بها تقضى، ولأيّة نيّة تعلّق توفي، ومواضع المرض والوجع لو وضعت عليها تشفى، ومن المصائب والآلام المهلكة تنجي .

قلت وقد ذكر أصحاب التراجم والتاريخ ، توسلات كثيرة بحضرة النّعال الراقيّة ، على لسان علماء من كل الطّوائف والعقائد والطّرق ... من فقهاء ، ومحدثين ، ومفسرين ، وأدباء ، ومؤرخين ، وكتاب دواوين .. اللّهم إلّا الشرذمة الوهابيّة ، فمالهم في هذا المجال سبيل ، لأنّهم أشدّ النّاس كرها لهذا الحبيب ρ إقتداء بسادتهم اليهود .

بلاغ :

فدونك ياسالك الطريق ، إعقد نيّة الإرادة للنّعال العظمى ، فكفى بك شرفا أن تضاف إلى نعل سيّد الوجود ρ وتلقب بمريد النّعال ، فذلك فخر تطمح إليه السرائر النبويّة .

وهذه النيّة هي شرط في : القبول والدّخول والوصول ، وإن لم يعلنها الصّادقون ممن قبلنا ، إلّا أنّ ألسنة أحوالهم ، بل وأرواح مقاماتهم ، كانت ولا زالت تجهر بها في أصقاع الملكوت ، من أول قدم إلى مالانهاية ، وقلت مترجما عنهم بالنيابة :

مريد النّعال

مُـرادِي مِـنَ الدّارَيـنِ نَعْـلُك سَـيِّدِي ... وِدادِي ومَجْـدِي سُـؤدَدِي وتَعَبُّـدي
أُمَجِّـدُها وَحْـدِي يَقِينًـا بِمُهْجَـتِي ... ويَكْفُـرُ بالأغْيـارِ مـا دُونهَـا وَجْـدِي

أحوال التّعلّق بالنّعلوت

تعلق ساداتنا الملائكة بجنابها:

ألا وعلاقة الأملاك بسيّدهم وممدّهم ρ لمن المغيّبات عن الكثير منّا ، ولكن عند المحققين فالأمر عندهم جليّ ، لكونهم رفقاء لهم في عالم الغيب .

بل إنّه من أخص مهام الملائكة ، عبوديّة الحق تعالى والتّعلق بحبيبه ρ ، وكيف لا وهذا سيّدنا جبريلυ ، وهو سيّدهم وإمامهم ، كان ولا زال خادما للأعتاب السيّاديّة .

بل ولازلنا نسمع من العارفين المكاشفين ، ممن لهم قدم في الحضائر الغيبيّة ، تلقيبهم سيّدنا جبريل υ بخادم النّعل الشّريف ، ولا ندري أهذا له نصّ ظاهر يعضّده أم لا ، المهم أنّه ثابت بطريق الشّهود والعيان . ويقول بعضهم في هذا المعنى :

يقولون لمْ لا تمتدح سيد الورى وتطنب في أوصافهِ وامتداحِهِ
فقلتُ لهم : جبريلُ خادم نعله ولستُ وشعري ريشة في جناحِهِ

وإنّ في السيّر بعض الإشارات إلى خدمة الأملاك وتعلّقهم بمحتدهم ρ ، ولعلى مايشير إلى مرادنا نحن ، هو حديث " إمشوا أمامي ، خلوا ظهري للملائكة " (ابن سعد) فإنّ ضمنه نفائس من العرفان .

تعلّق ساداتنا الصحابة بها:

قلت وبالجملة فإنّ ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم كلّهم كانوا خدما وعبيدا لحضرة الحبيب ρ . حتى ولو لم يلقبوا بذلك ، بل إنّهم كلّهم يودّ لقب الخدّمة ، أكثر من الصّحبة ، إلّا أنّ الشّارع الحكيم ρ تنزّل إلى ذلك .

فما من من فرد من ساداتنا الصّحابة رضي الله عنهم إلّا وتجد له ، شؤونا وأحوالا في خدمة ذلك الجناب الأعظم ρ .

بل وقلّما تجد صحابيا أو صحابيّة ، إلّا ولها شأن مع نعاله الحميمة ρ ، حتّى ولو لم تأتي بذلك السّير ، فذلك قد ندركه بالإستنباط قياسا :

فكما أنّ سيّدنا ابن مسعودτ تمكن من خدمتها ، فإنّ في مقدور أيّ منهم ذلك ، وعلى الأقل التشوّق والتّشوف إلى ذلك ، فإنّهم كلّهم كانوا محبّين وموقرين ومتعلقين به ρ كما كان هوτ .
وإنّ المتتبع للسّيرة يرى أنّها لم تعم كلّ جوانب حياتهم ، بل إنّها تركّز على المهمّات والنّوادر ، أمّا البديهيّات والمستكثرات ، فقد يتغافلون عن روايتها ، وخدمة ساداتنا الصّحابة للحبيب ρ لكثرتها ولضرورتها ، كانت كأنّها أمر مسلم له ، عند كل مسلم .
وإلّا فإن كانت صحبتهم له ρ في حلّه وترحاله لايخدمونه فيها ، فإنّ ذاك تقصير منهم وحاشاهم ، ولذا فإنّه من نفى مقام الخدمة عنهم رضي الله عنهم ، فقد إنتقصهم ، وما مدحهم ولا قدرهم حقّ قدرهم .
وعليه فلو رويت لنا كلّ أحوال ساداتنا الصّحابة رضي الله عنهم مع النّعال الودودة ، ظاهرهم وباطنهم ، لملئت لنا منها أسفار ، ولكن اللّبيب تكفيه الإشارة .

غَبَطْنَــــا صَحابَتَهــــا زُمَّـــةً عــلى مــا تَسـَنَّى لَهُـمْ ثَمَّـــةً
فَمِـــن قَـــدْرِها أُوْرِثُـــوا حُرْمَـــةً وصـــانَ لَهُـــم جاهُهـــا ذِمَّـــةً
فَبُـــشْرى لَنَـــا بِنِعــالِ المَجِيْـــدْ

خدمه ρ من الأصحاب .

فمنهم: سيّدنا أنس بن مالك τ ، والسيّدة هند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان رضي الله عنهن ، وربيعة بن كعب الأسلمىτ، وكان سيدنا عبد الله بن مسعود τ صاحب نعليه الشريفتين ، إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم، وكان سيّدنا عقبة بن عامر الجهنىτ صاحب بغلته الودودة ، يقود به فى الأسفار، وسيّدنا بلال المؤذنτ ، وسيّدنا سعد مولى سيدنا أبي بكر الصديقτ ، وسيدنا ذو مخمرτ ابن أخى النّجاشيّ ، وسيّدنا بكير بن سراح الليثى τ ، وسيدنا أبو ذر الغفارىτ ، وسيدنا الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي τ ، وسيدنا مهاجر مولى السيّدة أم سلمة رضي الله عنها، وسيّدنا أبو السجع τ .. وغيرهم كما في " تهذيب الاسماء للإمام النووي "

وأمّا من تتوّجوا بلقب خدمة النّعال الشّريفة فهما إثنان ، أولا :

خاصف النّعل υ

سيّدنا ومولانا عليυ ومن لا يعرفه ، أمير المؤمنين ، ومولى الأمّيّين ، ويعسوب المتقين ، وأخو الحبيبρ ، وتوأم القرآن ، وباب مدينة العلم .. ، وكلّ ماوراء ذلك من ألقاب .

ولكنّ الحكيم العليم ρ سماه بخاصف النّعل ، لقب نحسبه هيّنا ، وهو عند الله عظيم ، وكيف لا : وقد تتوج به في معرض المدح والإفتخار ، في حال كانت رؤوس الأصحاب تشرب لخلعه ، كما في حديث سيّدنا أبي سعيد قال : كنّا نمشي مع النبيّ ρ ، فانقطع شسع نعله ، فتناولها عليّ يصلحها ، ثم مشى ، فقال : إنّ منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، قيل أبو بكر فقال لا ، قيل عمر فقال لا ، ولكنّه خاصف النّعل ـ يعنى عليّا ـ " رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه، وأبو نعيم ، وسعيد بن منصور وابن السكن والدارقطني وابن أبي شيبة والديلمي والخطيب والترمذي وابن جرير والضياء المقدسي ويحيى بن سعيد في الإيضاح والهيثمي في الزوائد "

وقال في موطن آخر " والله يا معشر قريش لتقيمنّ الصّلاة ولتؤتنّ الزّكاة أو لأبعثنّ عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدّين ، أنا أو خاصف النّعل " رواه الحاكم في صحيحه .

قلت : وإنّ هذا الحديث الشريف ، برغم صحّته وشهرته في السنن ، إلّا أنّه مهمّش تماما عن ساحاتنا العلميّة ، سلفا وخلفا ، وهذا مؤسف للغاية .

وهو ممّا يؤخذ على الشيخ المقريّ رحمه الله ، مع ما أجاد به في كتابه " فتح المتعال " إلّا أنّه ذهل عن لبنة التّمام فيه ، وهي حديث خاصف النّعلυ .

فذلكة هذا الرّقيم

وكأنّه ρ يقول هنا : لا يحمل هذا الدّين عنّي إلّا من خدم نعلي ، أو لايرث القرآن العظيم عنّي إلّا من خدم نعلي ، أو قل بالأحرى : لا يحمل سرّي إلّا من خدم نعلي .

وانظر كيف عدل عن تسميّته بعليّ ، ولكنّه لقبه بالخدمة ، وكأنّه يقول : أنّ لقب الخدمة لنعلي ، أرقى له من تسميته بالعلو ، أو أنّه ما اعتلى إلّا بخدمة نعلي العليّة .

أجل هذا الّذي تفانى في خدمة نعليه ρ ، هو الذي تشرّف بالصّعود على منكبيه ρ ، وإليك هذا النّص الغريب :

عن سيّدناعليυ قال : انطلقت أنا والنبيّ ρ حتى أتينا الكعبة فقال لي ρ : إجلس - وصعد على منكبيّ ، فذهبت لأنهض به ، فرأى منّي ضعفا ، فنزل وجلس لي ρ وقال : إصعد على منكبيّ فصعدت على منكبيه ، فنهض بي فإنه يخيل إليّ أنّي لو شئت لنلت أفق السّماء ، حتّى صعدت على البيت ، وعليه تمثال صفر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ، وبين يديه ومن خلفه ورسول الله ρ يقول : هيه هيه ، وأنا أعالجه حتّى استمكنت منه ، فقال لي ρ : إقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير .. الحديث (أحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه)

وأيضا : معلوم منه ρ أنّه كان يخصف نعله بنفسه ، حتّى أنّه أبى على الصحابيّ الجليل ، الذي طلب منه أن يصلحها له ذات مرّة ، ولكنّه كانت مهنة لسيّدنا خاصف النّعل υ ، والإشارة في هذا ، أنّ حضرة النّعل لا يخصفها إلّا هو ρ أو من كان منه كنفسه ، كما جاء في حديث التّبليغ ، فانظر إلى منزلة تلك النّعال المرموقة .
وكذلك يشيرρ بخصف النّعل ، إلى القيّام بشؤون الخلافة التنزليّة ، ظاهرا وباطنا ، لأنّ حضرة النّعل تشير إلى آخر تنزلاته ρ ، وخصفها هو رعايتها حاضرا ، والمنافحة عنها من بعده ، وكذلك كان الحال من مولانا عليّ υ ومن ذريته إلى يوم الدّين .

قلت : وكم في قرآن هذا الحديث ، من كنوز مرقمات ، لايفقهها إلّا العالمون .

ألا فَـــــتِلْكُمُ هِيَ السَّـــــــبِيلُ وخاصِـــفُ النَّعْــلِ لهـــا دَلِيـــلُ
بِخِدْمَـــةِ النَّعْــلِ ارْتَقَـــى الرِّجـــالُ حيٌّ عـــلى الوِّصـــالِ يا أشـْــبالُ

حامل النعلين τ

إنّه سيّدنا إبن مسعود τ ، ذاك الصحابيّ الأبيّ ، الذي يؤثر عنه أنّه حامل القرآن، ووعاء الحديث ، ومدرسة الفقه ، ولكن ماسرّ رفعته ؟
أجل فإنّه لولا حمله للنّعال الحميدة ، لما تأهّل لحمل تلك الأمانة الكبرى ، فلما لا نلقبه إذا بالعمل الذي رفعه ومجده ؟
وهو الذي يؤثؤ عنه أنّه كان صاحب النّعلين الشّريفتين ، وذلك فيما أخرجه ابن سعد عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله بن مسعود τ يُلبس سيّدنا رسول اللهρ نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه ، نزع نعليه فأدخلها في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد سيّدنا رسول الله ρ أن يقوم ألبسه نعليه، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة .
وكان τ من أجود الناس ثوباً ، وأطيبهم ريحاً تعظيماً لنّعل سيّدنارسول الله ρ إذا حملها . اهـ
وأخرج ابن عساكر عن سيّدنا عمر τ أنّه قال في حق سيّدنا ابن مسعودτ : عن أمر ما .. هو أحق النّاس بذلك ، كان صاحب السّواك والوساد والنّعلين ، ولم يكن له ضرع ولا زرع ، وكان يشهد إذا غبنا ، ويدخل إذا حجبنا .
أقول : فأيّ شرف هذا ، وأيّ مكانة ورتبة تلك ، فلقد سعد بها روحي لشسعه الفداء .

وروى الهيثمي و الطيالسي وابن سعد وغيرهم أنّ سيّدنا النجاشي ـ ملك الحبشة τ ـ قال لمن هاجر إليه من الصحابة :

"مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنّه رسول الله ρ ، وأنه الذى بشر به المسيح υ ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتّى أقبل نعليه " وفي رواية " ولوددت أنّي عنده فاحمل نعليه " وفي رواية .. وَأُوَضِّئُهُ ".

ومن الموافقات : أنّ النّجاشيّ أهدى لسيّد الورى ρ خفّين أسودين ساذجين، قلت : ولعلّها إشارة منه إلى هذا ، أي كأنّه يقول ، هذا أنا ، بكلّي لك نعل فطأني .

وممّا أتحفني به بعض المحبين ، أنّ سيّدنا ابن مسعود τ ما استلهم خدمة النّعل الشّريف ، إلّا من الملك النجاشيّ ، وذلك بعدما سمعها بأذنه منه ، بل عايشها بوجدانه ، لأنّه كان ممّن وفدوا عليه .

فصل

ومن تشرّفوا بخدمة النّعال الساميّة أيضا ، سيّدنا أيمنτ ، وذلك فيما رواه الطبرانيّ عن أبي ميسرة قال: كان أيمنτ على مطهرة النبي صلى الله عليه و سلم ونعليه .

وروى الهيثمي في زوائد المسند عَنْ سيّدنا أَبِي أُمَامَةَ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي فِي شِدَّةِ حَرٍّ انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ بِشِسْعٍ فَوَضَعَهُ فِي نَعْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: لَوْ تَعْلَمُ مَا حَمَلْتَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ρ لَمْ يَغْلُ مَا حَمَلْتَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ρ .

وأخرج البزّار عن سيّدناعامر بن ربيعة τ قال: خرجت مع النبي ρ إلى المسجد فانقطع شِسْعه، فأخذت نعله لأصلحها، فأخذها من يدي وقال:«إنها أَثَرة ولا أحب الأثرة» أي فيها تميز على أصحابك ، فيغارون منك ، لأنهم كلّهم متشوّفون إليها .

وأخرج مسلم عن سيّدنا أبي هريرة τ قال قال ρ : «يا أبا هريرة ــ وأعطاني نعليه ــ فقال: إذهب بنعليّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

فانظر كيف جعلها ρ كالختم والميثاق ، على صدق رسالته ، وكيف جعلها كالدّليل والشّاهد في التّبشير بالجنّة ، وكأنّه يقول بنعلي هذه ، بخدمتكم وخضوعكم لها ، حقّت لكم الجنان .

وفي أمره لسيّدنا أبي هريرة τ بحملها ، وهو من هو ، قدرا ودرجة ، إشارة منه إلى مكانتها وقدرها الرّفيع ، حيث أنّ الصحابة هم أرباب الحضرة من هذه الأمّة .

وكذا فيه إيحاء إلى سرّها المكنون ، حيث أنّ العرب كانت تتقزز وتستنكف عن النّعال ، لما كانوا عليه من العزّة ، ومع ذلك أمره أن يحملها ، ليقول أنّها أهل لأن تتوج بها رؤس الملوك والأملاك .
وكذلك فيها دليل على التشبث والتعلّق بها ، حيث أنّه كانت للصحابة منزلة في قلب الحبيب ρ ولم يكن يرضى بانتقاص حتّى الموالي منهم ، ومع ذلك أمر أحد المقربين منه بحمل نعله الشّريفة ، فكأنّه يقول ρ : هي سرّ من أسراري ، ولا أودعها إلّا عند المقربين منّي .

وروى البيهقي وغيره ، أنّ سيّدنا ومولانا ρ قال ذات مرّة لغلام من الأنصار : يا بني ناولني نعلي فقال الغلام : دعني أنا أنعلك يارسول الله ρ ، فقال ρ شأنك فافعله ، ثمّ قال ρ اللّهم إنّ عبدك يستحبب إليك فأحبه اهـ
ونكتفي من دلالات هذا الرّمز ، بإشارة واحدة وهي : أنّ التّعلق بالنّعال الشّريفة ، هو وسيلة لرضوان الله تعالى ومحبته ، وذلك الفضل الذي أكّده ρ بدعائه ، ليس مقصورا على الصحابي ، بل هو لكل من تحبّب إلى الله سبحانه بخدمة نعل حبيبه ρ .

تعلّق المحبين بالنّعلوت :

وهذا الباب واسع جدّا ، لوفرة وتكاثر الأمّة ، وشدّة تعلّقها بحبيبها ρ ، فلا تكاد تجد مؤمنا حقّا ، إلّا وتجد له تعلّقا بسيّادة النّعال الشّريفة ، حتّى في هذا الزّمان البئيس ، ومهما إشتدّ عدوان الوهابية الملعونين ، إلّا أنّ الأمّة ، أمّة خير وبركة .
ومن مظاهر تعلق السّلف الصالح ، بحضرة النعال الشّريفة ، أنّك لا تكاد تجد مسندا في الحديث ، ولا كتابا في السّيرة أو الشمائل أو الخصائص ، إلّا وتجد فيه بابا مخصصا لوصفها ، وكفى بهذا إهتماما .
بل وكان التّابعون يسألون ساداتنا الصّحابة عنها ، فهذا سيّدنا قتادة كما عند الترمذي يققول : قلت لأنس بن مالك τ كيف كان نعل سيّدنا رسول الله ρ قال : لهما قبالان . اهـ

ومن ذلك ما روي عن إمام دار الهجرة τ لمّا لم ينتعل بطيبة المشرفة ، خشية أن يطأ بنعله موضعًا وطأته النّعل الشّريفة .
وجاء في الديباج المذهب في ترجمة سراج الدين عمر الفاكهاني شارح الرّسالة قال : وفي رحلته إلى دمشق ، قصد زيارة نعل سيّدنا رسول الله ρ والتي بدار الحديث الأشرفية ، فلمّا أبصر تمثال

النّعال المطهرة ، أغمي عليه ساعة ، فلما أفاق حَسَر عن رأسه ، وجعل يقبله ويمرغ وجهه عليه ، ودموعه تسيل وأنشد :

ولـو قيـل لمجنـون لـيلى ووصـلها تريـــد أم الدنيــا ومــا في زواياهــا
لقــال غبــار مــن تــراب نعالهــا أحــب إلى نفــسي وأشــفى لبلواهــا

وجاء في سير اعلام النبلاء في ترجمة الصحابي سيدنا شداد بن اوس ابن ثابت رض الله عنه وشداد ، هو ابن أخي حسان بن ثابت ، شاعر سيدنا رسول الله ρ وكانت النّعل الشريفة ، خلّفها شداد عند ولده ، فصارت إلى محمد بن شداد ; فلما أن رأت أخته خزرج ما نزل به وبأهله، جاءت، فأخذت فرد النّعلين وقالت : يا أخي، ليس لك نسل، وقد رزقت ولدا، وهذه مكرمة رسول الله ρ أحب أن تشرك فيها ولدي، فأخذتها منه.
وكان ذلك في أول أوان الرجفة، فمكثت النعل عندها حتى أدرك أولادها فلما جاء المهدي إلى بيت المقدس، أتوه بها، وعرفوه نسبها من شداد، فعرف ذلك، وقبله، وأجاز كل واحد منهما بألف دينار، وأمر لكل واحد منهما بضيعة، وبعث إلى محمد بن شداد، فأتي به يحمل لزمانته، فسأله عن خبر النعل، فصدق مقالة الرجلين، فقال له المهدي :ائتني بالاخرى ، فبكى، وناشده، الله، فرق له، وخلاها عنده . اهـ

ولله در الإمام المقري رحمه الله وهو قطب المتعلقين بالنّعل الأقدس ، فكتابه الفتح لم يألف مثله في الدنيا ، ولقد أقر به عيون المحبين ، وأثار وجدان تعلقهم ،كما أنه أرغم به أنوف السّفهاء ، وشوى به قلوبهم غيظا وحقدا .
ولم يكتفي بذاك المؤلف العظيم ، بل تجده في مؤلفات أخرى يستطرد في مدحها ، كما في كتاب "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" ، مع أنّه في ترجمة لسان الدين الخطيب ، و كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض وهذا مثال من الكتاب الأخير :
وكان المصنف يتحدث عن الأديب ابن الآبار وبعد كلام طويل ، بدأ في الكلام على النّعل الشّريف فقال : استطراد لمّا قيل في نعل النبي ρ :
قلت: وإذ جرى ذكر النعل النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فلا بد أنَّ نورد جملة مما قيل في مثالها على جهة التبرك، والتّوصل بصاحبها إلى الله سبحانه، أنَّ يفرج عنا بجاهه كرب الدنيا

والآخرة، وأنَّ يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة، وظفروا بالمقام الأسنى، وفازوا بالزيادة والحسنى.

وقال بعدها : قلت: وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النّعل الكريمة ، وكيف لا وحق على كل مؤمن أنْ يفلي لمشاهدته الفلا ، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا ، وتوسل بصاحبها إلى الله الكريم زلفى ، ولثم ثراها لثما ، وأزاح به عن نفسه حوبا وإثما ، وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بمن لبسها فلم يك إلى غابر الدهر محتاجا.

ورأيت لفتة لطيفة من الإمام علي القاري 1014هـ) في شرحه للشّفا ، أنّه حينما وصل إلى قول المؤلف "ويخصف نعله .." إستطرد إستطرادا ظريفا ، يدل على تعلّقه بهذه النّعل الجميلة ، فقال :

(ويخصف نعله) بكسر الصاد أي يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه قوله سبحانه وتعالى وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ أي يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخزر أو الربط أو اللّصق ومن أحسن ما قيل في مثال نعله ρ :

أمــرغ في المثــال بيــاض شــيبي   لمـــا عقـــد النــــبي له قبـــالا
ومــا حـــب المثــال يشــوق قلــبي   ولكــن حـــب مـــن لـــبس النعـالا

وذكر أبياتا ثمّ قال : أقول وأنا في هذا الحال ، أقبل خيال المثال تعظيما لنبي ذي الجلال ρ .

ويقول الإمام أحمد رضا خان القادري في كتابه "أبرّ المقال في قبلة الإجلال":

وإن الأرفع والأعلى والأجلى من هذا ، أنّ علماء الشريعة والأئمة المعتمدين طبقة عن طبقة عن الشرق والغرب، من العرب والعجم ، كانوا يصورون النّعال المطهرة والروضة المعطرة ، لسيد البشرρ ويمثلونها ويسطرونها في الكتب ، ويقبلونها ويضعونها على العيون والرؤوس ، وكانوا يأمرون به ، وكانوا يتوسلون بها في دفع الأمراض وحصول الأغراض ، ويتحصلون بها عظيم البركات وجليل المنافع"

وقال الحافظ السّخاوي في الاجوبة المرضية : وروينا في جزء " تمثال النّعال " لابن عساكر ؛ أن مثال النّعال الشّريف ، إذا أمسكته الحامل بيمينها وقد اشتدّ عليها الطّلق ، تيسر أمرها بحول الله وقوته .

وقال الحافظ العراقيّ في «ألفيّة السّيرة النّبويّة» على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام:

ونعـــــله الكريـــــة المصـــــونه   طـــوبى لمـــن مـــسّ بهـــا جبينـــه

وكان السلطان العثماني أحمد الأول، يحمل صورة لأثر القدم النبويّ الشريف داخل قفطانه ، فإذا ضاقت به تكاليف الريّاسة ، وحاقت به دواهي السيّاسة ، يلجأ إليه مستشفعا متوسّلا .

وحكي عنه أنّه خرج في إحدى الليالي خفية إلى جناح الأمانات المقدسة بقصر طوب قابي... فمسك بنعل الحبيب ρ وضمه إلى صدره ثم قال بلوعة ووجد :

ليتني أحمل نعلك الشريف دائماً على رأسي كالتاج ..
يا صاحب النعل الكريم، يا وردة حديقة الأنبياء ..
ليتني أمسح وجهي دائماً على أثر قدمك يا وردة الورود..

قالوا وكان لهذا السّلطان حال عظيم في التّعلق ، فهو الّذي يقول مانصّه بالعربيّة :

فما عاد الفؤاد يتحمل فراقك ..
وما عاد اللسان يتحرك بسواك ..
غدا حبي عشقاً ..
فأبكاني أنا الفقير، حتى نفدت دموع قلبي ..
وما بقيت فيه دمعة، كمثل يعقوب عليه السلام.

وقال ابن رشيد لما حللت بدمشق، ودخلت دار الحديث الأشرفيه، إستهللت برؤية رسم النّعل الكريمة، نعل المصطفى ρ فلمّا لثمتها، حضرتني هذه الأبيات:

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمد ... فياسعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفى الغليل فزادني ... فيا عجباً زاد الظما عند مورد
فلله ذاك اللثم فهو ألذ من ... لما شفة لميا وخد مورد
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً ... بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما ... يحب ويرضى ربنا لمحمد

وحكوا عن الإمام المحدث الرحالة أبي عبد الله محمّد بن جابر الوادي آش ، أنّه لمّا رأى تمثال النّعل الكريمة ـ بدار الحديث ـ قبّله ثمّ أنشد :

دار الحديث الأشرفية للشفا ... فيها رأت عيناي نعل المصطفى
ولثمته قنعت وقلت يا ... نفس أنعمي أكفاك قال لي: كفى
لله أوقات وصلت بها المنى ... من بعد طيبة ما أجل وأشرفا

لك يا دمشــق عــلى الــبلاد فضيلة　　أيامــك الأعيــاد لازمهــا الصــفا
و لــكم بجـيرون جــررت ولم أخـف　　ذيـلا وبـرح هـواى فيهـا مـا اختفـى

قال لسان الدين بن الخطيب في نفح الطيب :

فمن النّساء المشهورات بالأندلس، أمّ السّعد بنت عصام الحميري ، من أهل قرطبة، تعرف بسعدونة، ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما، كما حكاه ابن الأبار في ترجمتها من التكملة.

وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي ρ تكملة لقول غيرها ما صورته :

ســـألثم التّمثـــال إذ لم أجـــد　　للــثم نعــل المصــطفى مــن ســبيل
لعلـــني أحظـــى بتقبـــيله في　　جنّــة الفـــردوس أســـنى مقيـــل
في ظـــل طـــوبى ســـاكناً آمنـــاً　　أســـقى بـــأكواس مـــن السلســـبيل
وأمســـح القلـــب بـــه عـــله　　يســكن مــا جــاش بــه مــن غليــل
فطالمـــا استشـــفى بـــأطلال مـــن　　يهـــواه أهـــل الحـــب في كل جيـــل

ومن حدث بدار الحديث الأشرفيّة : الإمام ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن جهيل, قرأ عليه الإمام محمد بن يعقوب الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط " صحيح مسلم" في ثلاثة أيام تجاه نعل الحبيب ρ التي أوقفها السّلطان الأشرف بها .

وذكر الامام المقري رحمه الله :

في سبب تأليفه للفتح قصّة وهي أنه لما جمعته ببعض المشارقة جلسة ، وتداولوا فيها فضائل النّعال المقدسة ،قال : قلت إنّي أحفظ للمغاربة فيها أكثر من مائة قافية ، فاستنكروا هذا فعزمت على رسالة تكون حجة داحظة ..

وقد كتب الامام المقري كتابه فتح المتعال في مدح النعال ، عند الرّأس الشريف وذلك في خمسة عشر يوم الاولى من رمضان عام ثلاث وثلاثين وألف ـ وذلك بعدما ألّفه ـ وقال كنت أكتب كل يوم من الضحى إلى الظهر .

وبالمناسبة أورد هنا قصة للتّعلق بنعال أحد ورثته ρ وهو القطب مولاي التهامي الوزّاني قدس الله سرّه الذي كان على طريقة والده وجده من كثرة الصّلاة على سيّدنا رسول الله ρ .

وجده هو مولانا عبد الله الشريف قدس الله سرّه وهو أول من نزل بوزّان من هؤلاء السّادات.

كان القطب التهامي قدس الله سرّه أيام طفولته يخدم جده قدس الله سرّه ، فكان يحمله المشاق حملًا له على

مكارم الأخلاق، وكان يلازمه في الحضر والسفر، كثير التعظيم له، وكان إذا أراد الصلاة أتاه بالوضوء، ووقف على رأسه حتى يفرغ فيقدم له نعليه ليلبسهما.

فبينما هو واقف ذات يوم على رأسه والنعل بيده، إذ حضر له أن نعل القطب لا تحمل كذلك فجعلها تحت إبطه، ثم بعد أيام حضر له أنه ينبغي لها أن توضع على القلب ففعل ذلك أياما، ثم حضر له أنه لا ينبغي لها إلا أن توضع على الرأس ففعل ذلك مدة.

وكان إذا فرغ جده من الوضوء وأراد أن يرفع رأسه، أزالها بسرعة حتى لا يراه. فذهل مرة، فرآه والنّعل على رأسه فقال له: ما هذا؟

فقال: يا سيدي، لو كان عندي موضع أعلى من الرأس لجعلتها عليه.

فدعا له، وقال: اللهم نفعه مني كما انتفعت الأرض من السماء ، وأعاد له الدعاء بذلك مرارا، فكان من أمره ما كان . اهـ

مظاهر التّعلق في زماننا :

وما أحسن مانراه لبعض المحبين اليوم ، ممن يشاركون في منتديات الشّبكة العالمية ـ الأنترنت ـ من تلقبهم بخدمة النّعل الشّريف ، فمنهم من تسمى بخادم نعال المصطفى ρ ، ومنهم من تسمى بخادم النّعل الشريف ، ومنهم خادم نعل رسول الله ρ ... فهذه بارقة أمل ، في زمن طغت فيه السخافة التيميّة على العالم .

وكذلك نرى بعض الفرق الإنشاديّة ، يجعلون شعارهم مثال النعل اللّطيف ، كما هو حال الإخوة أبو شعر بارك الله فيهم ، والمنشد منصور زعيتر حفظه الله ، وغيرهم .. فالحمد لله الذي عصم نور حبيبه ρ من الأفول .

بل صار هذا شعار جملة من المشائخ الكمّل ، حيث يتوجون به عمائمهم ،ويدبجون به صدورهم ، كما رأينا ذلك من سيدي العارف بالله ناظم الدين الحقاني ، وسيدي الحبيب عمر بن حفيظ .. وغيرهم قدس الله أسرارهم .

قلت : وإنّ من حسنات هذا الزمان ، ما اخترعته بعض الشركات العربيّة ، من نسيج لقبعات تحمل فوقها صورة النّعل الشّريفة ، وكثر اليوم مرتديها من أهل المحبة ، وخصوصا بالشّام المبارك ، وهي تباع أيضا في المحلات التركيّة ، التي بجانب المسجد النبوي ، كما قيل.

و قد قرأت أيضا أنّ كتاب " فتح المتعال في مدح النعال" يدرس الآن في كليّة الامام مالك بدبي على لسان الدكتور عيسى المانع حفظه الله .

ولقد تصفّحت في بعض الأخبار : أنّ وزارة الأوقاف في أقليم البنجاب الشرقي من باكستان، أعلنت عن سرقة نعل شريفة ، يقال بأنّها كانت لحضرته الحبيب ρ ، وذلك من مسجد "بادشاهي" في وسط مدينة لاهور عاصمة البنجاب ، وما أن نشر هذا الخبر في جميع الصحف الباكستانية ، حتى خرجت الملايين من المسلمين ، إلى الشّوارع والجوامع في البنجاب ، والمدن الباكستانية الأخرى ، وهي تصرخ وتبكي وتلطم على وجوهها بقسوة .

ومما جعل النّاس تتفاعل ، بشكل أكبر مع هذه المأساة ، هوالتحريض اليومي والمستمر، من قبل خطباء الجوامع، وعلماء المسلمين ، ووسائل الأعلام هناك ، ولا غرو فالأعاجم أشدّ تعلّقا .

بل ولقد خصّصت وزارة الأوقاف الباكستانية مبلغا كبيرا ، كمكافأة لمن يعثر، أويبلغ عن مكان (النّعل الشّريف) .

وقد طالعت في بعض المنتديات على الإنترنت ، لمحب لقب نفسه بـ " نعل الرسول " فاعترض عليه أولئك المنافقون ، فأجاب قائلا :

قد راسلني صديق لي بطريق غير مباشر ، أنه يعترض على اسمي (نعل الرسول) ويطالبني بتغييره بحجة أنه يحمل ذلة لي ، وأنّ سيّدنارسول الله ρ لا يرضى للمؤمن إلا العزّة .

فأقول له : إعلم يا أخي ويا كلّ من يعترض على اسمي ، أنّه إذا كنت تعترض على اسمي وأنت ترى أنه شرف كبير لي أن أكون نعلا لرسول الله ρ وأنني لا أستحق هذا الشرف , فأنت محق .

ولكنني طمعت (واثقا من كرم النبي ρ) في أن أنتسب إليه ولم أجد في نفسي شرفا أن أكون خادما له ، ولاحتّى أن أكون نعلا له ، لكنني غامرت واستخرت الله فوفقني لذلك .

أما إن كان اعتراضك لأنّك ترى أن ذلك انتقاص من إنسانيتي وذلة لي ، كما تزعم ، فاعلم يا أخي أنك للأسف لم تعرف قدر رسول الله ρ الذي قال عن نفسه (لا يعرف قدري إلا ربي) واعلم أنه ما من إنسان على ظهر البسيطة يستحق مهما علا شأنه ، أن يكون ترابا يسير عليه سيّدنا رسول الله ρ ، وقدكان بعض الصحابة يقبل قدم رسول الله ρ ومنهم من لحس بصاقه الشريف ، ولم يعترض عليه النبي ρ هذا مع رؤيتهم له وتمتعهم بالنّظر الي وجهه الشريف ، فما بالك برجل مثلي لا ولن يبلغ اصبع في قدم صحابي من أصحاب رسول الله ρ .

فإنك يا أخي إن كنت ترى أن ذلك نقص لي فإني أراه شرفا كبيرا لا أرقى إليه ، وإن كنت ترى غير ذلك فأعد فهمك لقدر سيدنا النبي ρ وأيضا فهمك لقدر نفسك بالقياس لسيّدنا ρ وقد قالها أحمد شوقي وتمناها من قبلي ، وها أنا أردده معه ثانيّة:

وأردت خلـع نعـل رجـلك هيبـة فـأتى النـدا أن لا تخلعـن نعـلاك
يا ليتـني نعـل في رجـلك سـيدي وطئـت بـه أرضـا إلى مـولاك

حامل النّعلين قدس الله سرّه

وفي هذا الزمن الحالك بالظلمات التّيميّة ، تشرق من سماء بيت النبوّة والفتوّة ، شمسٌ ذاتُ جمال وجلال ، وهو الغوث الختم سيّدي صلاح الدين القوصي الحسيني المصري قدس الله سره وصدق سيّدنا ومولانا الشيّخ الجيلاني قدس الله سره إذ يقول :

أفلت شموس الأوّلين وشمسنا أبدا على فلك العلى لا تغرب

فهذا الشيخ هو الذي كان يلقّب في الحضرة ، بحامل النّعلين الشّريفتين ، ولقد حكى لنا ذلك في كثير من مشاهدته ، التي رمّزها في أشعاره العديدة ، ومنها :

كـدت أطـير وأرقـص وجـدا وفـي بـين شـفاه محمـد
مـذهولا والله لـشرف توجنيـه حنـان محمـد
فنزلـت أقبـل كفيـه وأتعلـق بنعـال محمـد

وقال في ديوان الغريق :

رجـائى فيـك أن أمـسى لمـوطئ رجلـكم نعـلا
ولـو ذاق الذى أعـنى وأدرك مقصـدى .. وعـلا
لأدرك أن نعلـكم سـما فى القـدس للأعـلى
ولم يـك قـاب قوسـين ولم يحجبـه فتـدلى !!

وقال في ديوان الحقيق :

أنا خـادم "النعلـين" بـل إنى أسـير الخدمـة
أنا خـادم الصـحب الكـرام وكل آل العـترة

وقال يشير إلى بعض فتوحاته :

مـن تحـت لـواء محامـده دومـا مثـواي ولي وطـن
لا أبعـد عـن نعـل حبيـبي أبـدا كالشـعرة في البـدن

وقال متوسلا في ألفيته :

أطلقـــــــــني يارب إليـــــــه	وعلقـــــني بنعـــــال محمـــــــد

عبد النّعال عفا الله عنه

أقول وأنا أسوأ المحبين حالا ، وأهون الخدّام مقاما ، أنّني عبد للنّعال ولا فخر ، أفديها بمهجتي وروحي ولا فخر ، وأخدمها الدّهر بكلّ كلّي ولا فخر ، وأعشقها وأتفانى فيها جنونا ولافخر ، فأنا نعم الخلف لخير سّلف ، أولئك الذين تعلّقوا بها ، وأوقفوا وجودهم عليها .

وإنّنا نحن أهل البيت ، أولى بها ولا فخر ، وراثة من جدّنا خاصف النّعل υ ، وكيف لا وهي نعل حبيبنا وسيّدنا وولي أمرنا ρ فنحن الأحق بإرثها حسّا ومعنى ، وأحق بفدائها وخدمتها وعشقها ، ولاءً وشكرا لأصلنا الكريم ρ .

هـــذا قلـــبي لك نعـــل فاســـتوي	عـــلّه ياجـــدّي مــــنكم يرتـــوي
مــن أنا مــا قلـبي مــن ذاك القـدم	والمعــــــالي بالنّعـــــال ترعـــــوي
حبّـــذا النّعـــل كفـــاني وصـــلها	ومـــا أدراني عـــلى مـــا تحتـــوي
جونـــة القـــدس ومشـــكاة الهـــدى	مـــن عـــلى كلّ المعـــاني تنطـــوي
مـــن يـــروم العـــزم منهـــا لحظـــة	مـــن بهـــا الأمـــلاك طـــرّا تهتـــوي
مـــن تعمّـــت عنّـــا في جيـــب العـــما	مـــن لهـــا في مـــدرج الغـــرب دوي
ليتـــــني كنـــــت شراكا أوثـــــرى	ليتهـــا لــــو في فــــؤادي تــــنزوي
أنا عبــــــــد لك يا نعـــــــل الأنا	لـــيس يثنيـــني عـــن العشـــق غـــوي
صمّ سمعـــي وعمـــت عيـــني فلـــن	أروي إلّا عــــن أســــانيد الــــروي
ســـندي يا نعـــل موصـــول بـــكم	مـــنّي حـــتّى إلى جـــدّي العلـــوي

وإيّاك أيها المريد أن ترتاب في إضافة العبوديّة لسيادة النّعل ، فإنّ الشّرع لايأبى هذا ، ولا اللّغة تنفيه ، فقد اتّفق أهل العلم على أنّ إضافة الرّبّ والعبد نسبيّة ، قد تضاف إلى الحقّ سبحانه بمقتضى ألوهيته ، كما تضاف إلى الخلق بمقتضى عبوديتهم .

فكما يجوز أن نقول هذا ربّ الدّار ، وهذا عبد فلان ، يجوز لنا أن نقول ، هذا عبد النّعال ، والنّعل ربّة فلان ، وإذا كان سيّدنا يوسفυ قال في كافر : إنّه ربّي أحسن مثواي ، فإنّ نعل سيّدنا ومولاناρ أولى .

ولقد أدرجت الأمّة المحمّديّة المباركة ، على تسميّة العبوديّة له ρ ، ولم يصدّها عن تعلّقها لغط الجاحدين المارقين ، وقد أثبتُّ في كتابي " جامع أحوال التّعلق " جملة ممّن تسموا بذلك من أهل العلم والصّلاح ، فضلا عن سائر النّاس . فمنهم مثلا :

الشيخ عبد النبي بن أحمد بن السيد علاء الدين البدري السيد الحسيب النسيب .
عبد الرسول العطار المكي شيخ الشيخ الكتاني.
عبد النبي المغربي العالم المشهور .
الشيخ عبد النبي النابلسي.
الشيخ عبد احمد السورتي القاضي .
الشيخ عبد النبي الكشميري الحنفي ترجم له صحاب الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام .
الشيخ عبد النبي بن المكي الزواوي المغربي رحمه الله.
الشيخ المفتي احمد رضا خان البريلوي الحنفي ، لقب نفسه بعبد المصطفى ρ .
وقد جاء في بعض أشعاره يخاطب نفسه :

يا رضـــا مـــالي أراك خائفـــا لك الأمــان فأنــت عبــد المصــطفى

بل لقد تعدّ ذلك منهم حتّى لساداتنا أهل البيت عليهم السّلام ، فمثلا :
السيد غلام الجيلاني الرامبوري الشّريف الهندي .
الشيخ غلام الجيلاني اللاهوري الحكيم .
الشيخ غلام الحسين الاورنك آبادي ، وهو من ذرية الشيخ الجيلاني قدس الله سره ومن أحواله أنه كان يصلي على الحبيب ρ كلّ يوم عشرة آلاف مرة .
الشيخ تراب علي الدهلوي صاحب الهلالين على الجلالين .
وجئت أنا أخيرا ، لأعلن عبوديّتي لنعل الحبيب ρ ، ولآل بيته العظام عليهم السّلام حتّى وإن لم يسمني بها أبي ، فإنّي أوجبتها لقبا على نفسي ، لأنادى بها يوم الحشر أمام العالمين ، ولا فخر .

المنن النّعلوتيّة

وممّا منّ الله به عليّ : أنّني صرت داعيا إلى التّعلّق والتّحقق بها ، في زمن صدّ فيه حتّى التّعلق بالذّات الشّريفة ، فضلا عن آثارها .

ومّا منّ الله به عليّ : أنّ شهود جلالها لايكاد ينفك عن خاطري ، سيّما وأنّ صورتها اللّطيفة معلّقة في غرفتي ، وعندي في مكتبتي وفي حاسوبي .. ومن قبل هذا هي في وجداني ، بل وفي سريرتي .

ومّا منّ الله به عليّ : أنّي قبّلت صورتها الحبيبة ، أكثر من عشرة آلاف مرّة ، ولا أزال أضمّها لصدري ، وأتوج بفخامتها رأسي .

ومّا منّ الله به عليّ : أنّني مدحتها بأزيد من ألف بيت ، بلسان التّحقيق والعرفان ، وبحال التّعلّق والوجدان ، وإنّي أوقفت حياتي الرّخيصة ، على مدحها وخدمتها ..

ومّا منّ الله به عليّ : إعمار مجالسنا التّعلّقيّة الولائيّة ، بمدح وتمجيد سيّادتها ، بأطرب الألحان ، وأبدع الأوزان ..

ومّا منّ الله به عليّ : عقدي لنيّة الإرادة والسّلوك إليها ، ومن نحن حتّى نتّصل بحضرة الحبيب ρ ولكن تكفينا نعال المنتهى غاية .

ومّا منّ الله به عليّ : رجائي من الحقّ سبحانه وتعالى بجاه حبيبه ρ ، أن يجعل خاتمتي إعتناقا لها ، وأن لايقبض روحي إلّا على لثمها ، وان يقبرني فيها ، ويحشرني تحت وطأتها ؛ بجاه البتول وأبنائها الكرام عليهم السلام .

تعلّق الجمادات بها :

وإنّ من الإشارات التي يستلمحها ذوو البصائر ، ويستروحها أولو الأذواق ، أن حنين الجذع كان لفراق حنانها ، لما كان مستواها طيلة تلك العهدة الوصالية ، فلما حانت لحظة البين عسر عليه الفطام ، فأنى من فرط الشّوق وحنى ، وحق له أكثر من ذلك ، وكيف لا وأرباب الوحوت ، كانوا ولازالوا وسيزالون رضعا ، من سلسبيل منهلها الفياض سرمدا.

ولا ريب في هذا حيث أنّ النّعال الطاهرة ، كانت تعتلي المنبر كما في الصحاح وإن أقرب ما يلامس الجذع ، من حضرة الحبيب ρ هو نعله الشّريف ، إذا فهي كانت سبب شجون وجنون الجذع من قريب أو من بعيد .

وتَفَـانَى بِعِشقِهـا الجِـذعُ حتّى أنّى مِـن فَرْقِهـا وجـاءَ التَّوَاسِي
سرُّهـا حتّى في الجلامِدِ نافِذْ حُسنُهَا يُسْبِي سائِرَ الأَجْنـاس
واهـاً واهـاً على أُولي الألبابِ فالجَمـاداتُ حُجَـةُ الإِحسـاسِ

بل وذلك العرش المجيد ، كذلك طالما ترجّاها ، فظفر بها ليلة المعراج ، وتحقق بالوطئة الرّحموتيّة ، وصار لها مستوى ، ولا غرو في ذلك فإنّ الحبيب ρ عرج به وهو بلباسه ، والنّعل من جملة الألبسة ، وهي الأقرب في الوطآن .

فلو قيل للعرش العلى مالذي ترجى   لقـال مـــناي أن أكــــون ترابا
لعـــلى النّــعال حــينمَا تتـــنزل   أُكـــون لها فرشا تعالت جـــنابا

وهذا أحد وهو جبل قاسي ، ولكن لمّا استوت عليه نعل الرحموت ، رقّ وجدانه لوعة واشتياقا ، لخامره من ألطافها وجمالها ما خامره ، حتّى اضطرب من فرط الهيام ، فخشي عليه أن يتصدّع بركانا وزلزالا، فاستوت عليه بوطئة الرّهبوت ، مزجا واعتدالا " أثبت أحد " فكظم وجده ، وتحقق بالبقاء بعد صدمات الفناء ، فطوبى وطوبى له " أحد جبل يحبنا ونحبه "

جودي يا نعلَ المصطفى بالدواسِ   إنْ أَبَيْتِ السّماحَ لـي بالبَواسِ
أُحُـــدٌ   نالَهـــا   فرِحَّ هِيـاماً   سِحْرُها هَزْهَزَ الجبـــالَ الرّواسِي
سَلْهُ يُنبِيكَ عن عَجِيبٍ غَرِيبٍ   ماالذي خامَرَ الحَصَى أيُّ كاسِ

فصل

وهذه نماذج من أحوال المحبين مع آثار أحبابهم ، لتكون حجّة علينا معاشر المسلمين ، في علاقتنا بالحبيب ρ .

فمنها ما حكاه ياقوت في كتاب معجم الأدباء قال : أنّ الشيخ إبراهيم الحربي زار ذات يوم القاضي إسماعيل بن إسحاق ، فلما دخل عليه خلع نعليه، فلفهما القاضي في منديل دبيقي وجعلهما في كمه، وجرى بينهما بحث كثير، فلما قام إبراهيم التمس نعليه، فأخرج القاضي النعل من كمه، فقال إبراهيم: غفر الله لك كما أكرمت العلم؛ فلما مات القاضي رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال أجيبت فيّ دعوة إبراهيم الحربي.

وفي وفيات الأعيان لابن خلكان : أنّه كانت لديك الجن ـ الشاعر ـ جارية يهواها فاتهمها بغلامه ، فقتلها ثم ندم على ذلك ، فأكثر من التغزل فيها فمن قوله :

فوحـــق نعليهـــا ومـــا وطـــىء الحـــصى   شيء أعـــز عـــلي مـــن نعليهـــا
مـــا كان قـــتلي لهـــا لأني لم أكـــن   أبــــكي إذا ســـقط الغبـــار عليهـــا

لكـــن بخلـــت عـــلى ســـواي بحبهـــا وأنفـــت مـــن نظـــر الغـــلام إليهـــا

وفي وفيات الأعيان أيضا " أنّ المأمون كان قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو ، فلما كان يوما أراد الفراء ،أن ينهض إلى بعض حوائجه ، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمه ، فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا فقدماها ، فرفع ذلك الخبر إلى المأمون ، فوجه إلى الفراء فاستدعاه فلما دخل عليه ، قال : من أعز الناس قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين ، قال بلى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، فقال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريعة حرصا عليها ، وقد روي عن ابن عباسτ أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما ، حين خرجا من عنده ، فقال له بعض من حضر في ذلك ، فقال له : أسكت يا جاهل ، لا يعرف الفضل لأهل الفضل ، إلا ذوو الفضل .

فقال له المأمون لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك عتبا وألزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ، ولقد ظهرت لي مخيلة الفراسة بفعلهما ، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما . اهـ

مبحث في تعلّق المحبين بآثار الحبيب ρ:

ألا وإنّ من أجهل الجهل ، وأسفه السّفاهة ، ما أثاره أولئك الملاعين الأراذل [5]، من أنّ التبرك بالآثار النبويّة الشّريفة ، شرك أو كفر أو إبتداع .

فنقول للمؤمنين : متّى كانت محبّة الحبيب ρ شرك ، ومتّى كان توقيره كفر ، أوليس مقصودنامن تقبيل آثاره وتقديسها ، هو التّعلق بجناب صاحبها الكريم ρ ، ألم يقل المجنون :

أمـــرّ عـــلى الديار ديار لـــيلى فأقبـــل ذا الجـــدارا وذا الجـــدارا
ومـــا حـــبّ الديار شـــغفن قلـــبي ولكـــن حـــبّ مـــن ســـكن الديارا

أو لم يؤمنوا بالنّصوص الصّريحة في هذا ، إن كانوا مومنين ؟ فحذاري أيها المؤمن ودعك من أولئك ، وأقرء إن شئت هذه الأدلّة :

[5] - أعني الوهابية السّفهاء الخبثاء ، عبّاد ابن تيميّة ، وذيول ابن عبد الوهاب ..!!!

فقد روى البخاري في باب غزوة الطائف (أن النبي ρ دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومج فيه ثم قال لسيّدنا بلال وأبي موسى : أشربا منه وأفرغا على وجوهكما ، ونحوركما وأبشرا)

وروى البخاري عن سيّدنا ابن مسعود τ : (كنا مع رسول الله ρ في سفر... فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حيّ على الطّهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ρ)

وروى مسلم عن سيّدناأنس قال: (لما رمى رسول الله ρ الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ، ثم ناوله الشق الأيسر فقال: احلق فحلقه، فأعطاه أبا طلحة ، فقال: أقسمه بين النّاس)

كما روى مسلم عن سيّدتنا أسماء بنت سيّدناأبي بكرτ: (هذه جبة رسول الله ρ كانت عند عائشة حتى قبضت، وكان النبي ρ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها)

وروى البخاري عن السيّدة أم عطية τ قالت: (توفيت بنت النبي ρ فقال لنا: "اغسلنها...فإذا فرغتن فآذنني" فلما فرغنا آذناه، فنزع من حقوه إزاره ، وقال: "أشعرنها إياه") والشعار ما يباشر الجسد .

وروى البخاري عن سيّدنا جابرτ قال : "أتى النبي ρ عبد الله بن أبي بعدما دفن ، فأخرجه فنفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه"

وروى البخاري عن سيّدنا سهل τ (أن امرأة جاءت النبيّ ρ ببردة منسوجة... فأخذها النبيّ ρ محتاجاً إليها، فخرج إلينا، وإنها إزاره، فحسنها فلان، فقال: أكسنيها ما أحسنها! قال القوم: ما أحسنت... قال: إنّي والله ما سألته لألبسها، إنّما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه).

وقد مج الحبيب ρ في بئر زمزم ، كما رواه الإمام أحمد في مسنده .

وروى البخاري عن موسى بن عقبة قال: (رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها، ويحدث أن أباه τ كان يصلّي فيها، وأنه رأى النبيّ ρ يصلّي في تلك الأمكنة)

كما روى الشيخان عن عتبان بن مالك: "...وددت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ρ : سأفعل ـ إن شاء الله ـ قال عتبان : فغدا رسول الله ρ وأبو بكر حين ارتفع النهار...ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ρ فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلّم"

وروى مثله النّسائي عن سيّدنا أنسτ " أنّ السيّدة أم سليم سألت سيّدنا رسول الله ρ أن يأتيها فيصلي في بيتها، فتتخذه مصلى، فأتاها..." الحديث.

وروى الطبراني في الأوسط، ووثّقه الهيثمي في مجمع الزوائد : أنه ρ (كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه ، يرجو بركة أيدي المسلمين)

وصحّ عن أمّنا أمّ سلمة رضي الله عنها أنها تحتفظ من شعر النبيّ ρ في جلجل لها (يشبه القارورة يحفظ به ما يراد صيانته) فكان إذا أصاب أحداً من الصّحابة عين أو أذى ، أرسل إليها إناء فيه ماء ، فجعلت الشعرات في الماء ، ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً ، للإستشفاء والتبرك به .

وروى البخاري في الأدب المفرد أنّ ثابتا قال لسيّدنا أنس ψ : أمسست النبي ρ بيدك ؟ قال : نعم ، فقبلها.

وروى الترمذي بسنده عن كبشة ψ قالت : دخل عليّ رسول الله ρ فشرب من قربة معلقة قائمة فقمت إلى فيها فقطعته.

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عبد الرحمن بن رزين قال : مررنا بالربذة فقيل لنا : ههنا سلمة بن الأكوع ψ فأتيناه فسلمنا عليه فأخرج يده فقال : بايعت بهاتين نبي الله ρ ، فأخرج له كفاً كأنها كف بعير ، فقمنا اليها فقبلناها .

وروى البخاري في الصحيح عن عون عن أبيه أبي جحيفةψ قال في آخر حديث طويل : (فقام النّاس وجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم ـ يعني الحبيب ρ - قال فأخذت بيده ووضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثّلج ، وأطيب رائحة من المسك).

وروى الحاكم في مستدركه : أن سيّدنا أبا محذورψ كانت له قَصّة في مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض ، فقالوا له ألا تحلقها فقال : إنّ رسول الله ρ مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت .

وروى ابن هشام عن سيّدنا أبي أيوب الأنصاريψ يحدث عن ايام رسول الله ρ لما نزل في بيته فقال : (كنا نضع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة) .

وروى البخاري في الصحيح عن ابي بردة قال : قدمت المدينة فلقيني عبد الله بن سلامψ فقال لي : انطلق إلى المنزل فأسقيك من قدح شرب فيه النبي ρ فانطلقت معه فسقاني وأطعمني تمراً وصليت في

مسجده .

وفي الصحيح أنّ سيّدنا عبد الله بن عمر ψ يلمس منبر النبي ρ ويتبرك به .

وفي صحيح مسلم وشمائل الترمذي : أنه ρ كان إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه إلا غمس يده الشريفة فيه ، وربما كان ذلك في الغداة الباردة فيغمس يده في الماء ولا يردهم خائبين .

وأخرج البخاري عن سيّدنا أبي جحيفة ψ قال : خرج علينا رسول الله ρ بالهاجرة ، فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل ماء وضوءه ، فيتمسحون بها .

وروي عن سيّدنا السّائب بن يزيد ψ قال : ذهبت بي خالتي إلى الرّسول ρ فقالت : يا رسول الله : إنّ ابن اختي وجع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه .

وروى مسلم عن سيّدنا أنس ψ قال : رأيت رسول الله ρ والحلّاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا وفي يد رجل .

وروى أهل السيّر أنّ سيّدنا خالد بن الوليد ψ فقد قلنسوته في أحد المعارك ، فقاتل أشد القتال حتى استعادها ثم سئل فقال : إنها تحوي شعرتين من شعر سيّدنا رسول الله ρ ، وبهما كنت أتبرك وانتصر .

وقد ذكر ابن كثير أنّ شعار المسلمين في معركة اليمامة كان (وامحمداه) وكانت القيادة يومها لسيّدنا خالد بن الوليد ψ ومعلوم أنّ هذه المعركة قد وقعت بعد انتقال سيّدنا رسول الله ρ فهل كان يخفى على الصحابة حكم ندائهم ومشروعية صنيعهم ؟ ».

وقد روى ابن أبي شيبة في المصنف عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال : رأيت نفرا من أصحاب النبيّ ρ إذا خلا لهم المسجد ، قاموا إلى رمانة المنبر فمسحوها ودعوا . قال : وكان يزيد بن قسيط التابعي يفعل ذلك .

وروى الإمام أحمد والحاكم عن داود بن أبي صالح قال : « أقبل مروان فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال : أتدري ما تصنع ؟

قال : نعم فأقبل عليه ، فإذا هو أبو أيوب الأنصاري τ .

فقال : نعم جئت رسول الله ρ ولم آت الحجر » .

ثمّ قال له سمعت سيّدنارسول الله ρ يقول " إبكوا على الدين إذا وليه غير أهله ، ولا تبكوا عليه إذا وليه أهله "

وكما جاء عن الإمام أحمد في آخر مسائل ابنه عبد الله: (رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ρ، فيضعها على فيه يقبلها، وأحسب أني قد رأيته يضعها على رأسه، أو عينيه، فغمسها في الماء ثم شربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ρ فغسلها في حب الماء ثم شرب فيها، ورأيته غير مرة يشرب من ماء زمزم، يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه).

كما روى البخاري عن ابن سيرين قال: (قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ρ فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها).

كما ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك: أن الإمام مالكاً أهدى أفراساً وبغالاً للشافعي، فقال الشافعي: (دع لنفسك دابة تركبها، فقال: أنا أستحي أن أطأ تربة نبي الله ρ بحافر دابة).

وقال الإمام النووي في المجموع : (ويستحب أن يزور المشاهد التي بالمدينة، وهي نحو ثلاثين موضعاً يعرفها أهل المدينة، فيقصد ما قدر عليه منها، وكذلك يأتي الآبار التي كان سيّدنا رسول الله ρ يتوضأ منها، أو يغتسل، وهي سبع آبار، فيتوضأ منها ويشرب).

قلت : ولنكتفي بهذا القدر المبارك ، وإلّا فالنّصوص في هذا كثيرة جدّا ، وهي مبسوطة في كتب السنن والتراجم ، فالنقرإ السير بروح التّعلق ، ولاندع إيماننا عرضة للمنافقين .

الفتوحات النّعلوتيّة

ولّما كانت حضرة النّعلوت ، هي الواسطة في الإمدادات والبرزخ في الصّلات ، لزم على من رام الدّخول أن يتمرّغ بأعتابها أوّلا ، لعلّه أن يفنى في جنابها ، فيفتح له في شهودها ومعرفتها ، بعدما يتحقق بها ، ويصير نعالا صرفا ، يجوز له حينئذ الإتّصال ، بحرم القدم الأعلى .
وعليه فإنّه من أبى الخضوع للنّعال ، فإنّه لا شكّ محروم محجوب ، وماشمّ رائحة السّلوك ، فضلا عن ذوق الفتح .
وإنّ فتوحات النّعلوت عديدة ، ولكنّنا سنحصرها في أربعة أقسام :

1 معرفتها [

تعدّ حقيقة النّعال من الأسرار الأنائيّة ، التي لا تباح إلّا للمقربين من أهل الإحسان ، وذلك بعدما تنقشع عن قلوبهم ، غشاوة النّفوس والعقول ، ستتأهّل بصائرهم لإدراك كنهها ، وعندها سيفصح صاع يوسف عمّا يواري .

وإنّ أول قدم يضعه السّالك ؛ في التّعرف على كنهها ، لايكون إلّا من بعد الفتح ، كما أنّه لا منتهى للتأوّج ، في بطنانها البدهوتي .

وفي هذا إشارة إلى عجز ذوي المعارج ، عن إدراك بديهة القدم الأميّ ، فكيف بمنتهاه الأعمهيّ ، الذي لازال يغور في سريرة الذّات أزلا .

فَأنّى بِـهِ حَيــثُ كُـمُّ الغُيُـوبْ وحَيثُ غياباتِ كَهْفِ الجُيُوبْ
وحيثُ مَتاهاتِ طَمْسِ الغُرُوبْ فَمَن يَنْحُـوا مَهْمَهَا لَن يَؤُوبْ
ألَا إنهَّا دَرْجُ غَيـبِ الغُيُـوبْ

3 شتّهودها]

لاجرم أنّ من لازم الشيء يعطى حكمه ، وإنّ سيّادة النّعال لما لاطت ، بذاك القدم الغيهبيّ ، صُبغت على ماهو عليه ، من اللّطافة ، والتّجريد ، والعماء ، والسمو ، والعظمة ...

فلذلك كان مشهدها من المشاهد الأعمهيّة ، التي تغيب حتّى عن أهل الغيب ؛ في مناظرهم ، حيث أنّها ملازمة لخدمة القدموت ، وأنّى بكفاح ذلكم القدم الحرام .

فبات لا يتسنّى منظرها ، إلّا للّذي تأهل لشهود حضرة القدم ، وهي عندئذ السّبحة العزيزة ، التي تذود الأضداد عن الإرصاد ، والبرزخ اللّطيف الذي يوحّد الأحباب بالأقدام .

فطــوبى لمــن شــام النّعــال وشمّهــا	ألا إنّهــا مــن سرّ سرّ المواهــب
وهيهــات مــا وصــل النّعــال بهــيّن	ولكنّهــا مــن غيــب غيــب الغياهــب

فأولئك هزابر الكهوف اللاهوتيّة ، يعكفون على الأعتاب ، يرتجون أن تلوح بارقة من يوح شسعها ، وذلك إذا ما تنزّلت ، وعلى رؤوسهم استوت ، وإلّا لتأزّلت النّعال في الجيوب .

ويا ثُـرى ولَـوْ تَـرى مـا يَجْـرِي بالمُنْتَهـى حيـثُ النّعـالُ تَـسْري
تَـرى المُقَـرَّبِينَ كالجَـواري وكلُّهـم يَسْـعى إلى الجِـوارِ
تَـراهُمْ وَقْفًـا عـلى الأعْتـابِ يَرْجُـونَ كَشْـفَ غُمَّـةِ الحِجـابِ
يَرجُونهـا جِـدًّا عـلى الدَّوامِ كـذلِكُم حَقيقَـةُ الخُـدَّامِ

وإذا كان نور المومن العاصي ، إذا كُشف أطبق الآفاق ، ونور المومن الطائع ، إذا كُشف يكاد يعبد من دون الله تعالى ، لما هو عليه الإنسان من وراثة محمّديّة ، فمابالك إذا بنور النّعلوت ، إذا كُشف ، فما سيحدث ياترى .

3 التحقّق بها]

وإنّه من بعد السّلوك في الواجب ، ثمّ التنفّل في التّعلّق بالنّعال الأميّة ، سنفنى فيها ونبقى بها ، أي نتحقّق بأنيّتها النّعلائيّة ، لنكون لها مظهرا ومثالا ، كما كانت للأقدام ولازالت .

وغاية هذا التّحقق ، التّأهل للفتح بالأقدام السيّاديّة ، لأنّه لاشهود ولا معرفة ولا استمداد ، من تلكم الأقدام ، إلّا بمدارك نعلوتيّة ، حيث أنّ النّعل هي الأقرب من الأقدام .

هُـــداها وإلاّ فالجـــالِي مَضَـــلَّةٌ ولـــو أنّهـــا غَيْـــبٌ ولكنَّهـــا تَهـــدِي
عَماهـــا وإلّا لا سَرِيـــرَةَ تَخْـــتَلِي ولـوْ دَقَّـتِ الأرْقـامُ عَـنْ حِيطَـةِ الحَـدِّ
سـَـناها وإلّا لا لَطِيفَـــةَ تَـــنْجَلِي ولـوْ شَـعَّتِ الأنْـوارُ غَيْرُهـا لا تُبْـدِي
أناهَـــا وإلاّ فـــالفُتُوحُ مَلَابِـــسٌ ولـو كانـتِ الأقْطـابُ في قَبْضَـةِ اليَّـدِ

فأولئك الذي تشرّفوا ، بالفتوحات القيدموتيّة ، ما نالوها إلّا من بعد أن صاروا نعالا لها ، مطروحة على أعتابها ، وإنّ أولاهم فتحا ، أسهلهم وطئا ، وهم العازمون ثمّ الأمثل فالأمثل ..

4 إمداد اها]

وأمّا إمدادها : فيشمل كلّ فتح ، لم يدخل تحت الأقسام الأولى ، وهو الأوسع فتحا ، لأنّه يحوي كلّ ما تتوسّط فيه ، حضرة النّعال من إمداد ، ولو كان فتحا بالله ورسوله ρ .

كمثل الوحيّ للأنبياء ، والإلهام للأولياء ... فإنّهم لولا تعلّقهم بالنّعال الشّريفة ، لماذاقوا قطرة من كاسات البدايات ، فضلا بحور عن النهايات .

وقس على ذلك حال من دونهم ، حيث أنّ حضرة النّعلوت ، هي مفتاح الرّحموت ، وُجودا وَجودا إلى الآباد ، وستنجلي حقيقة ذلك يوم القيّامة ، على الحشر والجنان والكثبان .

جامع الفتوحات النّعلوتيّة

{ ميراث النّعلوت }

ألا إنّ ميراثه ρ لم يكن دنيويّا ، حتى يورث كميراث غيره ، لأنّ متاعه كان أخرويا ربانيّا ، فحتّى ولو بقيت سيّادة النّعال ، ظاهرة بين الخلق ، إلّا أنّ سرّها غيب يسري في نواميس الحضائر ، يرثها أهل بيته ρ ، ثمّ الأقرب فالأقرب ..

ولهذا اختصّ سيّدنا عليّ υ بها ، فورثها وورث عنها سرّها ، الذي شهدت به الرّسالة " إنّ منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، .. ثمّ قال : إنّه خاصف النّعل "

نعم هذا هو الإرث المحمّدي ، الذي أشار إليه حديث الثّقلين ، ولكن بماذا ورث أهل البيت ، سرّ القرآن ؟

أليس بتعلّقهم بالنّعل الشّريف ، حتّى صاروا مظاهرا لها في الوجود ، وهاهو المشهد العلويّ ، يحقق لنا هذا :

حدثني روحي ، قال حدثنا روح القدس ، قال سألت مولانا خاصف النعال υ عن سر إرثه ، فقال وما أطال : هي نفحات أريج ذيّاك الشسع الأزكى ، لما عطّست مشام روحي الأنفس ، براحها العتيق ، لمّا كلمني بل شرفني ، سيدي بل حبيبي ، بخصفها بل بخصفي بها ، فكنت بل لازالت ، أضمها بل أكنها ، ما بين جوانحي ، بل بين سرّي وروحي ، فمن حينها فنيت فيها ، وما بقيت ، بل بقيت لي سمعا وبصرا ولسانا ، بل قلبا وروحا ، بل أخفى ، وبالأحرى هي وما أنا ، وما أنا إلاّ هي ، وما أدراك ماهيه ، حضرة ناهيه .

أقول : " وهذا الحديث مما انفرد به روحي عن أجداده الأشراف عليهم السلام " وكان كثيرا ما ينشد :

أنا إبـــن خاصـــف نعـــل العـــلا	أنا إبـــن مـــن بالشرـــاك عـــلا
أنا إبـــن مـــن هـــام حـــتّى الفنـــا	سجـــــودا بأعتــــاب ذاك الفنـــــا
عـــــــليّ عـــــــليّ بهامتهـــــــا	ومـــــا طـــــــار إلاّ بهمتهـــــــا

{ المظهريّة النّعلوتيّة }

كما أنّ لكل قدم غيبيّ ، مظهر شهاديّ يمثّله ، فإنّ سلطة النّعال تجلّت على الإمكان ، بمظهريّة أهلها من الوارثين ، رسلا وأنبياء وأملاكا وصالحين .

فبقدر التّحقق بأنيّتها ، والتّدبّج بصبغتها الحقائيّة ، يكون الظّهور المثالي ، والترجمان الحالي ، ولكن السّر لاينفك مستورا ، ضمن عروق النّور .

ولله درّ شيخنا وسيّدنا الجيلانيυ حيث صدع بمظهريتها ، قائلا على رؤوس الأشهاد " قدمي هذه على رقبة كلّ وليّ لله " فخضع الكلّ له وأذعنوا ساجدين .

وحقّ له أن يقول ذلك ، وهو حائذ ترجمان عن سلطان النّعلوت ، المهيمنة على أطوار الوجود ، وهو الذي كان يقول "كلّ وليّ على قدم نبي ، وأنا على قدم جدّي ρ ، وكان بعض الصالحين سأل سيّدنا ومولانا الحبيب ρ عن ذلك فقال له ρ : " صدق الشّيخ عبد القادر ، وكيف لا وهو القطب ، وأنا أرعاه "

وهاهو سيّدي صلاح الدين القوصى ، وهو من الأغواث الحسينيّين ، يعبر عن تحقّقه بالأنيّة النّعلانيّة ، في كثير من خمرياته ، ومنها :

أنا لا أحـــــسّ ســـــوى أنّي نعلـــــكم	شرفـــا تلاصـــق طينـــتي قـــدماكا

ومنها :

أيـــن حللـــتَ كنـــتُ النّعـــل	والقـــــــدمان لي صـــــــــدرا

{ الخلعة النّعلوتيّة }

ليت شعري إن كانت خرق العارفين بالله Ψ ،تكسوك بنفائس الفتوحات ، ولطائف التجليات، فما البال بخلعة مشكاة الأنوار، ومعدن الأسرارρ ، ألا وإنّ كلّ خلعة على قدر خالعها. فالعارفون ثم الأعلى فالأعلى ، وأمّا خلع سيّد الوجود ، وممتد المدود ρ ، فهي الجامعة والخاتمة .

فطوبى طوبى ، لمن حلّت عليه نُسيمات وصالها ، يقظة أومثالا أومناما ، فتلك الخلعة من أخص النّفحات العينيّة ، ففيها من الفتوحات ما لايوصف ولايكيف ، وكيف لاوهي نسيج وحدها ، بقد من دنى فتدلّى مستويا عليها .

فلقد تشرّف بها ثلّة من ساداتنا الصّحابة منهم : سيّدنا خاصف النّعلυ وسيّدنا ابن مسعودτ ، وسيّدنا جعشم الخيرτ وكان من أهل البيعة ، فقد كساه الحبيب ρ قميصه ونعليه وأعطاه من شعره .

ولا يزال أهل الحقّ يتشرفون بخلعها ، وهي مخصوصة بالأكابر أهل التّحقيق والشّهود ، فسأل بهباتها خبيرا إن ألفيته ، وهاهو سيدي القوصي قدس الله سرّه ، يشير إلى ذلك :

قلـت : شـهدت .. وأشـهد دومـا   أني منـــــــذ قـــــــديم أزل
فى أحضـــــــان رســـــول الله   أراني منـــــه كأســـــفل نعـــــل

أهدانيــــــــــه رســــــــول الله فأغنــــاني عــــن كل الأهــــل
وبــــه زرت "المــــلأ الأعــــلى و"السّــــدرة" تهمــــي كالطــــل

{ الإستواء النّعلوتي }

وكما أنّ النّعل كانت ولازالت ، عرشا لاستواء النّزلة النموذجيّة ، كذلك صار لها من بعد أن بلغت أشدّها واستوت ، تحققا بالسّلطة الأخمصيّة ، فكانت بذلك برزخا لها ، في إستواءاتها وتنزلاتها .

فلا زالت تستوي تنزلا ، على قوابل أهل الحضائر اللاهوتيّة ، لترضعهم من أسرار ذاكم القدم الصمّدانيّ الكبير .

وما من ذي فتح ، إلّا ويصير عرشا لاستواءاتها ، ولسان حالها يقول " ماوسعني عرش ولا فرش ، ولكن وسعني قلب عبدي المتعلق "

فَنَــوا بِها فَأَصْبَحُــوا مَـجالي إذا اسْـــتَوتْ فَهُمْ لَهَا مَدالي
ألا فَـــتِلْـكُمُ هِـيَ السَّـبِيلُ وخاصِـــفُ النَّـعْلِ لها دَلِيلُ
بِخِـــدْمَةِ النَّعْلِ ارْتَقَى الرِّجالُ حيَّ عـلى الـوِّصالِ يا أَشْبالُ

فتلك حقا من لها الحكم والتّصريف في دولة الغيب ، حتّى ولو لم يشهدها المفتوح عليه ، لضعف بصيرته ، أو لكثرة الوسائط والبرازخ ، ما بينها وبينه ، ولسان حالها يقول " شراكي هذا على رقبّة كلّ رسول"

{ المخدع النّعلوتي }

ألا وإنّ من أسر الأسرار في ذلك ، أنّ الأغواث يكون موضعهم من بعد تولي القطابانيّة الكبرى ، تحت شراك النّعال الأعمهيّة ، وذلك وراثة وتمثيلا لمقام ساداتهم من النبيين وأهل البيت والأصحاب ، لأنّ الأولى بهذا المقام ، هم أولوا العزم من الرّسل ثم الأولى فالأولى ، والغوث لمّا كان بدوره يمثّلهم جميعا ، تحقّق به نيابة وخلافة .

وما ذاك إلّا ليكون أقرب من عين الإمدادات ، حيث أنّه هو قطب إفاضات تنزلاتها على الأكوان ، فماسمي غوثا إلّا لإغاثته لنا ، وما سمي قطبا إلّا لإفاضته علينا ، فهو إذا كبرزخ ما بيننا وبينها تعالت .

وما يدريك حالئذ ، مايسري منها إلى الغوث ، من ألطاف تجليات ، وما يعرج منه إليها ، من معاني القربات ، فهيهات إنها أسرار تقطع من دونها ، أعناق الأقطاب والأبدال .

ولا ينافي هذا ماذكره السيد الكتاني قدس الله سرّه أنّ الأفراد مقامهم في جيبه p ، لأنّ ذلك لهم بحسب الدّلال والإكرام ، أمّا هذا فهو ما عليه الحال على الدّوام ، وإلّا فمن يدّعي أن يتخطى سلطة النّعال العظمى ، أو من يستنكف عن أن يخضع لوطأتها ، المهيمنة على أطوار العالمين .

{ حظيرة النّعلوت }

بل إنّ من البديهيّ في التّحقيق والعرفان ، أنّ الوجود كلّه يدور في فلكوت الكينونة المحمّديّة ρ وإنّ كثيرا من الخلق لا يشعرون ، وإليها الإشارة بقوله سبحانه " وإن من شيء إلّا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم " فتبصّر بقوله " بحمده " ، وتمعن في قوله " تفقهون " .

ألا وإنّ حضرة جمع العالمين على ربّهم ، هي حظيرة النّعلوت ، فعندها مشهد الإحسان ، ولدنها سيكون منظر الكثبان ، فهي الملغز عنها عند القوم بالحضرة ، التي تجمع المبتدى بالمنتهى .

حتّى ولو أنّهم كما أسلفت ، يطوفون في عماء الذّات السيّاديّة ، والغاية إلى سرّها الأناني ، إلّا أنه تبقى حضرة النّعال تعالت ، هي الجامع والمأوى ،كما أنّ المبتدي والمنتهي ، كلّهم يجتمعون على الكعبة ، ومشاهدهم تختلف ، وكذلك كما أنّ سكناهم ستكون في الجنّة ، ومقاماتهم تتفاوت ، كذلك هو الحال في حظيرة النّعلوت ، فهي كعبة توجّههم وفردوس تربعهم ، ومنها يعرجون إلى رحاب الذّات ، حيث لا حدود ولا منتهى .

ولهذا فإنّ قولنا هذا ، لا يتضارب مع ما قاله سيّدي القوصي قدس الله سرّه ، من أنّ البيت المعمور في الحقيقة ، هو القلب المحمّدي الطليق ، وأنّ أهل المعالي يطوفون به
قلت وهذا الذي كنّا نقصده في إشاراتنا ، بأنّ الكثبان تحت ظلال النّعال ، أو أنّها من طلع غبار الشّراك ، كما في :

فيَــا أهــلَ الــوَلاءِ فَخْــرًا وبِــشْرًا	ظَلْـــتُمْ سَرْمَـــدًا بِعيـــدِ الوِّصـــالِ
ويَا أهْـــلَ الجَفـــا أَعِـــدُّوا بَــدِيلًا	فَظِـــلالُ الكَثِيـــبِ تَحـــتَ النِّعـــالِ

{ خواتم النّعلوت }

ولمّا كانت حظرة النّعل ، خاتمة للنّزول الجسدي ، صار سرّها في خلائفها ، من بعد أن تسامت إلى الرّفيق الأعلى ، ولها في كلّ زمان مظهريّة فرديّة جامعة ، وهي كالخاتمة عنها .
ولا تتسنّى هذه الختميّة إلّا لأهل البيت عليهم السّلام وخصوصا الأغواث منهم ، إبتداء من سيّدنا خاصف النعل υ وانتهاء بمولانا المهدي υ .
وعلى ذلك ترجم سيّدنا وشيخنا الجيلاني υ حيث قال" قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله " فهو حينذاك خاتم الأولياء ، وما قالها إلّا بعد أن تحقق بختميتها .

وكذلك سيّدي القوصي قدس الله سرّه وهو الذي يلقب في الحضرة " بحامل النّعلين " ، وقد أفصح عن ختميّته بعد أن تتوج بالغوثيّة ، وقال أنّه رأى الإمام المهدي υ في بعض المشاهد ، وجعله نائبا عنه في المهدويّة والختميّة ، وأمره أن يسلمها لمن بعده ، وهكذا حتّى تصل إليه υ . وقد أشار إلى ذلك في رموزه :

ألم يقـــــل " الرســـــــول " لنــــــا	ارقبـــــوا فى أهلنـــــا قمـــــراً !!
بــــــآل " محمـــــــــد " أبــــــدو	بنـــــــورى .. طالعـــــاً بــــــدراً
بنــــا بـــــدء الهـــــدى .. وبنــــا	ســــــيختم ربنــــــا الأمــــــرا

ولاشكّ عند أهل الحق ، ولاسيّما أسود المخادع ، أنّ الإمام المهدي υ هو خاتم الأولياء على الإطلاق ، كما أنّ لكل زمان خاتم ، فإنّ للخواتم أولئك خاتم جامع ، ألا وهو مولانا المهدي υ ، وسيتنزّل بسرّ النّعلوت جهارا .

ترصيع

وأختم هذا الباب بهذه النماذج ، من المشاهد القوصيّة الهائلة ، التي إنتقيتها من دواوينه الجمّة :

يقول في ديوان العشيق :

وفي فــــلك "الرســــول "أدُورُ   تحـــتَ النعـــلِ مســـــتترا
كظـــــــل بان في المـــــرآة   لاصـــــق لوجهــــا صُـــــوَرا
وأيــن حللـــتَ.. كنـــتُ النعـلَ   والقـــــدمانِ لي صَـــــدرا

ويقول في ديوان الرحيق :

مــن يــوم قيــل ألســـت روحي   تحـــت ظِـــلِّـكَ في الفَــــلَك
أنا "حامــل النعلــين" جـــوداً   مِنْــكَ قـــولاً مــــن فَمِــك

ويقول في ديوان "العقيق"

على نعل الرّسول وضعت خدي   ورأسي وارثا قـــدما دعــتـــني

ويقول في أيضا :

أنا في "الــبرزخ" تحــت نعـــال   حبيـــبي "أحمــــد".. لا أتلعـــثم
منذ"ألســــــت"أنا فى سجـــــدة   روح تحـــت العـــرش تســــلم

مـــن ســـــاعتها .. لم أتحـــــرك   أو أخطـــــو شــــبرا بقــــدم

وقال في ديوان الوثيق:

أســـعد أني .. تحــت نعـــالك   يطـــرب روحي هــــذا الغـــنم
أنـــت كفـــيلي انـــت حبيـــبي   لـــيس ســــواكم لي مغنـــم
ولا أرجـــــــــو ســــــــوي أن   أكـــون العبــــد تحـــت قـــدم

وقال قدس الله سرّه :

مـــــن بـــــدء تكـــــويني   ذرا بـــــــــــلا طـــــــــين
لمــــــا أجبـــــت "بــــلى   والنــــــــور يحـــــــويني
أمســــــــكت بالنعلــــــين   في يـــــــسراى ويميـــــــنى
وضممـــــــــتهم حبّـــــــــا   بالعـــــــين وجبيـــــــنى

ويقول قدس الله سرّه :

أنا حامــــــــل النّعلــــــــين	ملتصـــــــقا بنعـــــل نبينــــــا
ولــــــــــكل نعـــــــلٍ سِرُّه	مـــــا النّعـــــل مثـــل نعالنــــا

ويقول قدس الله سرّه :

مِـــن تحـــتِ لـــواءِ محامِـــدِه   دومـــاً مثـــواي و لي وطـــني
لا أبْعُـــدُ عــــن "نعْـــلِ"حبيبي   أبَـــداً كالشَّـــعرَةِ في البـــدنِ
فتكـــون بغُســــلي مَطْهَـــرةٌ   و السَــترُ بطيَّـــاتِ الكَفَـــنِ
و تكـــون أنـــيسي في قـــبْري   و الســـائقُ في الحـــشرِ لِسَـكَني

ويقول قدس الله سرّه :

كـــدت أطـــير وأرقـــص وجـــدا   وفـــي بـــين شـــفاه محمـــد
مــــــذهولا والله لـــــشرف   توجنيـــــه حنـــان محمــــد
فنزلـــــت أقبـــــل كفيـــه   وأتعلـــــق بنعـــال محمــــد

ويقول قدس الله سرّه :

مـن يـوم قيـل ألسـت كان حسـابنا   والله جــل عــلى الوجــود البــاق
ولزمــت نعـل "محمـد" قيـل إنتبـه   صـــعب عليـــك المرتقــى و الــراق

قلـــــت اتركــــوني عنــــــده أنا لا أدري أبـــدا بغــير "محمـــد" تـــرياقي

ديوان المحامد .:. والمدائحφ

المحامد النّعلوتيّة

ومن تلك اللّطائف التي نثرتها ، في تمجيد النّعال المرموقة ، هذه البديعة الوديعة التي وسمتها بـ " نقوش النّعال "

نقش القدم

أنقطةٌ مِن سُجوفِ العماءِ انْفلقَتْ ، أمْ دُرّةٌ مِن صُدُوفِ الكنوزِ انْفَتَقَتْ ، تعالى قدَمِ الأنا إذا ادَّلى ، فلهُ الهَيمنَةُ والكِبرياءُ في الآزالِ والنّزالِ .

وما يُدريكَ مِمّا كانَ ، ولا متى كان ، ولا أين كان ، ولا أين يكون ، ولا فيما سيكون ، فمن يُدريك مَن يَكُونُ ..

كان مِن طَلْقَةِ الهاهُوتِ حيثُ لا كُن ولا يكون ، وهو الآنَ على ما عليه كان ، ولا إمكانُ ، وإلى الأبدِ سَيظلّ في الآحاد ، فما يُدريك حالَئِذٍ مَن يكونُ ..

البَحثُ والجردُ والمحالُ والإعدامُ ، حضائرٌ مَحظورةٌ مَحذُورةٌ ، تَغْرُبُ في عَـينٍ عامِيّةٍ ، وتَغيبُ في سُرّةٍ غامِيّةٍ ، مالها مِن سبيلٍ ولا مِن دليلٍ ، مهامِهُ التّيهِ ، وكَوائِنُ الضّلالِ ، وَجَبَ جُنُونُها ، وتحَتَّمَ كُفْرانُها .

ألَا إنَّ قُصورَ الوُجوبِ ، حرامٌ إلّا على اليَتيمِ الأُمّيِّ ، إلّا على مُهجةِ الذّاتِ ، إلّا على إنسانِ عَينِها ، إلّا على الحبيبِ ، وليس إلّا الحبيبُ ..

حــارَ دَرْكُ العَــزْمِ في لَيــلِ العَمَــا لَــيسَ إلّا العَجــزُ يُـدرَى والعَمَــى
ولازالَ الوَصْــلُ في دَمْــسِ السَّــحَرْ خاليًــا حيــثُ صَــلَواتُ السَّــمَرْ
حيــثُ أنَّ المُنتَهَــى عنــدَ النِّعــالْ وهْيَ عَــرْشٌ لاســْتِواءِ الْمُتَعــالْ
حيــثُ قــالَ الشِّسْــعُ لِلعِرفــانِ مَــهْ فَخَلِيــقٌ أنَّــنِي أَنْهَــى بِصَــهْ

نقش الكنه

وإنْ سالَ سائِلٌ بِكُنْهِ النَّعَلُوتِ ، فإنّها المُبتدَى لَكِنَّها المُنتهى .
فهِي حضرةُ النِّعالِ : إبْنةُ سُلْطَةِ الأقدامِ ، حَفيدَةُ جلالَةِ الجَسَدُوتِ .
وُلِدَتْ يَومَ النَّزلةِ الأُخرى ، عندَ سِدرةِ المُنتهى ، في شهرِ الرّبيعِ عامَ الأنوارِ ، في قبَّةِ القَداسَةِ ، ولازالتْ تَرْضَعُ مِن مَعينِ الحمدِ ، وتَتَرَعْرَعُ في حَضانَةِ الأعتابِ ، حتّى إذا بَلَغَتْ أُشُدَّها واسْتَوتْ ، تَزَوَّجَتْ مِن القَدَمِ الأقْدَسِ ، فأَنْجَبَتْ له رَيحانَتَينِ ، وما أدراك مَن هُما العَزْمُ والوَحى .
وبعدما أدَّتِ الأمانَةَ إلى أهلِها ، إنْتَقلَتْ إلى الرَّفِيقِ الأعلى ، قابَ قَوسَينِ أوْ أَدْنى ، فعَلَيها الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ما تَخَلَّتْ تَتدنّى أوْ تَجلّتْ تَتَدَلّى .

نَشْــهَدُ أنّهــا الّــتي تَجَلَّــتْ بالمَــشْرِقَينِ بَعــدما تَخَلَّــتْ
كانَــتْ ولاتَــزالُ كالهُيُــولى لِكَونِنــا مُنــذُ الدُّهُــورِ الأُولى
كأنّهــا الهَبَــاءُ لِلــتَّجَلِّي إيْــهِ وتِــلكَ مُســتَوى التَــدَلِّي
هَــيمَنَ مُلكُهــا عــلى الــبرايا مِــنَ البِدايَــةِ إلى النّهــايا

نقش الحسن

زهرةٌ يَعشَقُها الخليلُ ، وسُبحةٌ يَخْطُبُها الكَلِيمُ ، ودُرَّةٌ يَغْبِطُها المسيحُ ..
فَسَلْ عنها الكُروبِيُّون ما خَطبُهُم في الهُيّامِ , مَنذَا الّذي سَلَبَهُم ألبابَهَم ؟
وسلِ الكَظِيمَ يعقوبَ ما سِرُّ أسَفِهِ وشُجُونِهِ ؟
وسَلْ إمرأةَ العَزيزِ وصُوَيْحِباتِها ، مَن بِهِنّ مَن تَيَّمهُنّ ؟
فكَمْ أفاضَتْ بهجتُها مِن وِجدانٍ ، وكَمْ أثارَتْ دُعْجَتُها مِن أشجانٍ ، وكَمْ أنارتْ غُرّتُها مِن غُيُوبٍ ، وكَمْ أراعتْ عِزَّتُها مِن عُروشٍ ، وكَمْ تسامَتْ بِهِمَّتِها مِن بُروجٍ ، وكَمْ توارَتْ في مُهْجَتِها مِن خُدُورٍ ..

عَجَباً لِمن لم يَسْتَنشِقْ عَبِيرَ الأعتابِ ، كيفَ يَسْعَدُ ويَعيشُ ، بلِ العَجَبُ مِمّن تَعَطّسَتْ مَشامُ وِجدانِهِ بأرِيجِ الوِصالِ ، كيفَ يَبقى على قيدِ الحيّاةِ ، فكيفَ لا يَنجَذِبُ بكلياتهِ إلى مِغناطِيسِ تِلك المفاتِنِ غرامًا .

كُــؤُوسٌ وأُنــسٌ حُبُــورٌ حُضُــورْ وُصُـــولٌ وبَسْـــطٌ سُرُورٌ ونُــــورْ
رَبِيــعٌ وعُــرسٌ عُطُــورٌ زُهُــورْ عُيُــونٌ وَحُسْــنٌ خُــدُورٌ خُمُــورْ
جَمَـــالُ النِّعَـــالِ لَطِيـــفٌ أَنِـــيْسْ

فطُوبى طُوبى ، لِمن تَخَمّرَ بِجمالِها ويابُشراهُ ، وَوَيلٌ لِمن تَجَرَّعَ مِن فِصالِها وياعَزاهُ ، إنهّا الحسنُ فأينَ الغَرامُ ، إنّها الجمالُ فأينَ الهُيّامُ ، إنّها اللّطافةُ فأينَ الصّبابةُ ، إنّها الملاحَةُ فأين الخلابَةُ ، إنّها الفِردَوْسُ فأَينَ الأَشْواقُ ، إنّها الحُورُ فأينَ العُشّاقُ ، إنّها ليلى فأين الجُنُونُ ، إنّها القَمِيصُ فأَينَ الشُّجُونُ ، إنّها هُوَ فأين أنا ، إنّها أنا فأينَ نَحنُ .

نقش الجبروت

إن قلت : عرش ، قالت : هو فرشي ؛ أوقلت : كرسيٌّ قالت : هو عتبتي ؛ أو قلت : حجاب ، قالت : هو خماري ؛ أو قلت : سدرة ، قالت : هي ظلالي ؛ أو قلت : كثيب ، قالت : هو غباري ؛ أو قلت : فردوس ، قالت هو فضلتي ؛ أو قلت : جحيم قالت : هو رمادي ؛ فيا سبحان أناها ، عزّ منتهاها .

فالنّور النّور إن كنت من الشّاهدين ، والسّرّ السّرّ إن كنت من العارجين ، والكنز الكنز إن كنت من الواصلين ؛ فهاهي النّعل قد ادّلت ، فيا معشر العشّاق هل من مجيب .

فــلا الــسِّرَ يُــدنِيها ولا النُّــورَ يُجلِيهـا ولا الســُّبحَ تُفنِيهــا ولا الدَّهــرَ يُبلِيهـا
أَلَيســت بِوَصــلِ العــينِ تَرْفُــلُ تالُيهـا تَقَـــدَّسَ مَــــن بالأَحمَدِيَّـــةِ يُعلِيهـــا
فَـــا هيَ إلّا مِـــنْ جــــلالَةِ جاهِــــهِ

إنّ في تلك اليّاقوتة المكنونة ، لآيات للوالجين ، فحيثما انتهوا إلى باب من قصرها ، تصدّى لهم حجاب من خدرها ، فظنوا أن لا دخول ولا وصول ، ولكن العجز عن الإدراك ، عين الإدراك ، فحيث لا سبيل سواها ، لزم الخضوع لها ، فكيف لا وهي المنتهى .

نقش التّوحيد

قلْ لِمن ما في الإمكانِ ، وقلْ مِمّنْ ما في الوُجُودِ ، وقلْ عَن مَن ما في البَرَايا ، فسَيقولُونَ للنّعالِ ، فأنّى يُوفَكُون .

وإنْ سَألْتُكُم عمَّ تَعْشقُونَ ، أَلَهُم أنوارٌ يَدَّثِرُونَ بها ، أمْ لهم أسرارٌ يَتَزَمّلُونَ بها ، أمْ لَهم كُنُوزٌ يَتَدَبَّجُونَ بها ، أم لَهم أقدامٌ يَتَتَوَّجُون بها ، كلّا وتِرِلْيُونَ لا .

فالتَأْتُوا بِبَدِيلٍ أوْ مَثِيلٍ لَها ، وسَتَسْجدُ قُلُوبُنا لهُ ، ولكِنَّها الشَّمسُ والآفاقُ بُدُورُ ، فَمَهْمَا إتّسعَتِ العُيونُ فالحواجِبُ فَوقَها ، وكلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفِرا .

هُـداها وإلاّ فالجـالِي مَضَـلَّةٌ ولو أنّها غَيْـبٌ ولَـكنّها تَهـدِي
عَـاها وإلّا لا سَرِيـرَةَ تَخْـتَلِي ولوْ دَقَّـتِ الأَرْقامُ عَنْ حِيطَةِ الحَدِّ
سَـناها وإلّا لا لَطِيْـفَةَ تَنْجَلِي ولوْ شَـعَّتِ الأنْوارُ غَيرُها لا تُبْدِي
أنـاهَا وإلاّ فالفُتُـوحُ مَـلَابِـسٌ ولو كانـتِ الأقْطابُ في قَبْضَةِ اليَّدِ
هِيَ الحُسْنُ لا لَوْمٌ على مَن يُرِيدُها هِيَ الوَصْلُ مِن بَيْنُونَةِ الصَّدِّ والضِّدِّ

نقش العجز

سالَ سائِلٌ بِقُطبِ العجائِبِ وفَلَكِ الغَرائِبِ ، فقلتُ : اسْأَلْ بِهِ خَبيرًا .

سلْ بهِ الحُجُبَ والسُّبُحاتِ السُّبُوحِيَّةَ ، وسَلِ الرّقّا والسُّقُوفَ العُلى ، وسلْ بِهِ السِّدرَةَ وعُروشَ الإستِواءِ ، وسلْ قافًا والمَعْمُورَ والمُحِيطَ ، لعلّهم يَعْلَمُونَ .

فِتِلكَ الشّمسُ لولا الغُروبُ ، وهِيَ البَدْرُ لولا الخُسُوفُ ، وهي البَحْرُ لولا النّفادُ ، وهي الفِرْدَوسُ بل هي منبعُهُ ، وهي الكَثِيبُ بل هي عينُهُ ، حقًّا هيَ الوَسِيلَةُ العُظمى .

فسبحانَ سِرِّها الأقدَسِ الأَلْبَسِ ، الّذي تَضِلُّ خُبراءُ الغُيُوبِ في مَهامِهِ بَوادِيهِ ، والّذي تَعْجِزُ بصائِرُ الشُّهُودِ ، عَن كفاحِ إشْراقاتِ مَجالِيهِ ، والّذي تَحارُ مَدارِكُ الإطلاقِ عنْ الحيطَةِ والهَيْمَنَةِ بِمعالِيهِ ، والّذي تَقْصُر بَوارِقُ مَعارِجِ المدارِجِ ، عن بُلُوغِ غايَتِهِ ، والإسْتِواءِ على مَناهِيهِ ..

أَوَلا يَكـفي في الـنّعالِ ويَشفي أنّهـا لـلأقـــدامِ تلك ابْتِداءُ
ومــا يُدْرِينا مـــا هيَ الأقـدامُ ليس يُجـدي هـنا النُّهى والدَّهاءُ
فـاسْألوا المُـنتهى عـنِ التّعلّوتِ لَـيقـولَــنَّ إنّهـا الإنْتِهـــاءُ

نقش التتويج

عيَّرُوني بِعِشْقِها ، وقالوا ما هيَ إلّا نعالُ ؛ فقلْتُ وما ضابِطُ الوِجدانُ عِندَكُم ؟

فقالُوا الجمالُ ؛ فقلْتُ : هِيَ هالَةُ بَدْرِهِ .

فقالُوا والكمالُ ؛ فقلْتُ : هيَ عَرْشُ اسْتِواءِهِ .

فقالوا والحياةُ ؛ قلتُ : ومايَنْفَعِ البهائِمَ شُعُورُها .
ثمّ قالوا والحِجا ؛ فقلتُ : وما يَنْفَعِ الكُفّارَ عُقُولُها ، أوَلَيسَ شِسْعُ نَعْلِ المؤمِنِ أفضلُ مِن كلِّ مَن في النّارِ ؛ فما البالُ بِشِسْعِ نعلِ الحبيب ρ ، أليسَتْ بأفضلَ مِن أهالي الكَثِيبِ ، بلى بلى بلى .. فلا جَرَمَ أنّها الوَسِيلَةُ وَكفى .

لَئِن ذُقتَ ما ذُقناهُ ماكنتَ ناكِرًا لَصِرتَ على الأعتابِ مِثلِي مُجاهِرًا
وظَلْتَ بِصَهْباءِ النِّعالِ مُخامِــرًا فتَغْـدُوا وتُـمْسِي ثامِـلًا ومُـسامِرًا
وتَجْنَى جُنونًا لا يُــقارَنُ بالبَلَهِ

نقش الغاية

فكفانَا بها شَرفًا يِاأمَّتي ولا فَخْرَ ، فتِيهُوا بها واشطَحُوا ولا فَخْرَ ، و قولُوا إنّنا عَبِيدُ النّعالِ ولا فَخرَ ، وإنّما العِزّةُ بالمولى ، والفَرَحُ بفَضْلِ اللهِ وبرحمَتِهِ .
فاللّهمّ لَكَ الحمدُ على نُزُولِها ، اللّهمّ وافْتَحْ لنا باسْتِواءِها ، اللّهمّ واقْبِضْنا على غرامِها ، واحْشُرنا اللّهمّ على أقدامِها ، اللّهمّ وإنّنا لا نَرضى بها بدِيلًا ، في الدّنيا ولا في الآخِرةِ ، ولا في الفِردَوسِ ولا في الكُثبانِ .

كلُّ قـيسٍ له بِلَيـــلاهُ عِـــيدُ ولنا بالنّعالِ عـــيدٌ سَـعِيدُ
ما نَرى العيدَ إلّا أُنسُ الوّصالِ لَثْمَـــةٌ للنّعالِ عُـرسٌ وعِيدُ
فيا بُؤسًا لِلعِيدِ إنْ طالَ حَوْلًا عِيـــدُنا بالنّعالِ دَوْمًا جَدِيدُ

المشاهد النّعلويّة

وهي من جنس مقامات بديع الزمان ، إلّا أنها بلسان الإشارة والتحقيق :

المنظر النوني

حدثنا القلم المكنون المصون * بسنده المتصل عن النون ذات الفنون * حديثا قديما ، وعاه يوم كان نديما *يوم لايوم ولا خطاب يومى * فقالت ومن الكتمان استقالت * كنت ومابنت بل صرت * ذات حضرة في حظيرة أقدسية * تحار في مناظرها نواظر النظائر الهندسية * من إنوار أنوارها السبحانية * وإزهار أزهارها السبحاتية * وما أفقنا من غمرات سكرات حميّاها * حتى نادى المنادي

من مكان قريب * يامعشر العشاق هل من مجيب * فهلّم حيّ على كفاح نعال الحبيب * حيّ على خندريس كأس الكثيب ..
فقاموا وقالوا * وصاحوا وباحوا * لبيك يانعلاه لبيك * لبيك ياأملاه وسعديك * لبيك مالنا سواك لبيك * لبيك والخير كله من يديك .
فطاشت الألباب * واشرئبت الأرواح * وحدقت الأرجاء * وصار الجو كله أفئدة وعيونا وآذانا * فما أن لاح بهيج بليج محيّاها خلف الحجاب * حتى خرت له الأحباب بالأعتاب سجدا وبكيّا .
فلمّا رفعوا صدعوا * الله أكبر الله أكبر * ماهذا أثر ولا خبر * إن هذا إلا ناموس قدموس .

هذا بالشِّـــسْعِ كيفَ بالأقْدام ... حيثُ سِحْرُ الهوى وخمرُ الجَمالِ
حَيثُ مَنْهى النُّهى وعَقْلُ العَزائِمِ ... والبَـــوادِي مَـــتاهَةُ الأَرْسالِ
فيَا أهلَ الوَلاءِ فَــخْرًا وبِشْرًا ... ظَلْتُمْ سَرْمَـــدًا بِعِيدِ الوِّصالِ
ويَا أهْلَ الجَـفا أَعِـــدُّوا بَدِيلًا ... فَظِـلالُ الكَثِيبِ تَحْـتَ النِّعالِ

قلت " والحديث قد بلغ حد التواتر عند الملإ الأعلى "

المنظر العرشي

سمعت أبي الفرش ، يقول سألت جديّ العرش * عن علة الإضطراب وسبب السكون * فأخذته رجفة من حنين التذكار * فأطرق مليا ، ثم صدح منشدا :

سمــت روحي نحــو النعــل تخطــب وصــلها ... فليتهـــا ترضـــاني خـــديما ومـــن أنا
ألا رشـــفة تفنيـــني فيهـــا مـــسرمدا ... لأبقـــى نعـــالا للحبيـــب بـــلا أنا
فمـــا خطـــبي والأمـــلاك تســـعى لوصــلها ... فســـبحان مـــن باتـــت تحـــرم بالأنا

كنا وبساط نقطة الباء المحميّة منطويا * في ربيع الإتحاد نستقي كل حين ونشرب في رغد وهناء * والسعد يغشانا والعين ترعانا * فلما آن إبان البسط ونصبت الميم * برحت بنا أشجان الفراق ..
ولم أفق من غلبة حال الفطام * حينما فصلت عن البطنان الأمي * أن ارتجت مفاصلي ، وسقطت شرفات من جبهتي * فطفقت أهيم بين ذرات هباء الهيولى * علّني أتشبث بمنفذ يؤوب بي إلى حجر أمي * حيثما المنهل النّوني الرّحمن الرّحيم * ولكن هيهات هيهات ..
فصحت ونحت وبالغرام بحت * حتى لقبت بالمجنون من فرط الشّجون * فعندها انبلج فرج تجلي الرحموت * لجاء التّواسي والتّعليل بالإستواء * فوالذي شفتي بأعتابه * ما إن قارب شعاع أنوار

شراك نعاله ، مستوى هامتي * حتّى هدئت أمواج الصّبابة ، أنسا بالوصال * فغدوت أرتشف من ثدي شسعها * وإلى الآن لها الحمد لا زلت في حضانتها رضيعا .
قال الرواي : " والحديث صحيح على شرط الوحيين "

المنظر المعموري

حدثنا الأقصى* قال حدثنا البيت الحرام * عن البيت المعمور* أنّه سئل عن سرّ خدره المستور * فأعرض ثم عرّض قائلا :* أعن سرّ سرّي تسألني * عن صميم قلبي ولبابة لبي * لقد سألت عن عظيم * إلّا من وفّقه الحق بالتّعلق بالأعتاب .
ألا فذلك منبع النّفحات * ومنهل الصّلات * ومركز مدار إقبال الأقطار * من لولاه ما ضجّت الحجيج في الأرض ولا في السماوات * ولا في العروش ولا في .. ولا في .. * ذاك جذّاب أزمّة الرّقائق إلى ساحات الكثيب * من حيث لا يعلمون .
قال فقيل له أفصح بالصريح * ودعنا من التّلميح والتّلويح * فصاح بالسّائل مغضبا * أفي النّعال شكّ يا أهل الإمكان * مالكم تدّعون قاصرون * وفي أنفسكم أفلا تبصرون .
فمن هو السّرّ * ومن هو النّور* وماهي الحضرة إذا * فهي الأفق المبين الأعلى * هي سماء المنتهى* المدبّجة بوشاح كواكب الإعجاز والجبروت .

هيَ البابُ بلْ سِدرَةُ المنتهَى فهَاتِيكَ لِلوَصْلِ مُعتمدي
وتِـلكَ وَسِيلَتُنا لِلأنـا ومِعـراجُنا كيْما نَتَحِدِي
وَوِجْهَتُنـا تِـلكَ قِبلَتُنا نُصَلِّي لها عَلَّنا نَهْتَدِي
ونَشْهَدُ أنْ لاسِواها الهُدى لِنَجْلُوا بها أيَّما مَشْهَدِ
لَقَدْ ضَجَّتِ الرُّسلُ مِن فَوقِنا فكيفَ بِنا نحنُ لا نَقْتَدِي

قلت : "وهذا الحديث مرسل ، كما هو مقرر عند أهل الحضور"

المنظر الحجابي

أنبئنا الطّور والبحر المسجور كلاهما قالا * أنبئنا السّقف المرفوع قال * كنت ذات ليلة في ضيافة الحجب * وكان بودّي أن تروّحني ، بفاكهة من بستان عجائبها * ولكن أحجمتُ رهبة من جبروتها *

وهكذا ونحن في ربيع السّمر نرتع ❋ حتّى إذا استوى بنا مركب السّحر ❋ وأخذت حميّا ذكر الأحباب بالألباب ❋ شطحتْ بلسان السّكر ، قائلة :

أنا حجــــب السّــــتر مــــن ذا يعــلم   أنا حجــــب الــــسّر سري طلســـــم
أنا حجــــب النّــــور مــــن ذا يفهــم   أنا حجــــب الكـــنز صــدري طمطــم
أنا حجــــب الوجــــه مــــن ذا يقــدم   أنا حجــــب الخــــدر ظهــــري حــرم
أنا شســــــع النّعــــل فيــــه أرقم   أنا لا أدري أنا لا أعـــــــــــــــلم

فاسترقت السّمع ، واكتنزت السّر متلبّسا ❋ فلما أفاقت ، إستفسرتها ❋ فاستنكرت وهمّت بي ❋ فاستجرت بذمة نعال الوجاهة ❋ فاضطربت وسكنت ❋ وألحت على الأمانة والكتمان ❋ ورجعت بالنّدامة على نفسها ألّا تعود .

وقال الحافظ عليه السلام : "وللحديث شاهد في الصّحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى "

المنظر الأُحدي

وبه إليه قال حدثنا جبل ق ❋ قال قام فينا أحد خطيبا ❋ يوم ذكرى التّجلّي الأنفس ❋ فذكّر وعلّق ❋ ثم استغرق ❋ فنطق بضمير وجدانه مفصحا :

هل أتاكم نبأ الإستواء ❋ إبّان تنزل الطّود الأقدس على صفيح مهجتي ❋ فأخذني من لذيذ وصال نعلوته بسط واستئناس❋ لايوصف بلسان ولا يكيف بجنان ❋ فهزّني نشو الغرام هزّة ❋ أشرفت بها على شرفات العرش❋ بل على مراقي الرّقّا ❋ بل على جيوب الحجب ❋ حيث فنيت فاتّحدت ❋ حتّى صرت لها كالشّسع ❋ فكنت من القدم العزيز ، قاب قوسين أو أدنى ❋ فأوحى إلى عبده ما أوحى ❋ ما كذب الفؤاد ما رأى .

ولا زلت أموج ، في لجوج الرّفيق الأعلى❋ حتّى كدت أخرق أسوار القدرة ❋ من سطوة زمهرير تجلي الجمال ❋ فعندها استوى بقدم البقاء الرهبوتيّ ❋ وقال يانار كوني بردا وسلاما ..

جودي يا نعلَ المصطفى بالدواسِ   إنْ أبَيتِ السّماحَ لـي بالبَواسِ
أُحُــدٌ نالَهـــا فرجَّ هِياماً   سِحرُها هَزهَزَ الجبـــالَ الرّواسِي
سَلْهُ يُنبِيكَ عن عَجِيبٍ غَرِيبٍ   ماالذي خامَرَ الحَصَى أيُّ كاسِ

قلت : " وهذا الحديث صحيح بغيره ، فقد أخرجه كبار الحفاظ في مسانيدهم الروحانية "

المنظر الهيولاني

أخبرتنا العنقاء * قالت أخبرنا الهباء * قال سألنا الهيولى عن أمّها * ولم نكن قد أدركناها * فتعجبت من جهلنا بنسبها * وهي بنت الكرم والأصول * وقالت ورأس أمي ، لولا ما بيننا من الرّحم لما أخبرتكم * أوفي النّعال شكّ ، وهي جدّتكم الكبرى * سلوا رقائقكم وحقائقكم * سلوا كلّ ذرّة وكلّ نواة في الوجود ، عنها .

هِيَ الشّمسُ بالأدْراجِ يَسْطَعُ نُورُها وبالقَدَمِ الأعْلى تَغَسَّقَ غَورُها
وبالدَّورَةِ الأُولى تَبَهْرَجَ نَورُها وبالخَلوةِ الأدْنى تَقَدَّس طَورُها
تَكِنُّ كُونًا في غَياهِبِ هُوّةٍ

هي أمّي عليها السّلام ، ما أرأفها بي وما ألطفها * حملت بي طول الدّهر ، وإلى الآن ما وضعتني * أبت إلّا أن ترضعني ، وتحضنني في غيابات بطنانها الأمّيّ * لكي يكون السقي عنديّا أحديّا أبديّا .
فلما بلغت حقيقيتي أشدّها * نفخت فيها من روحها * فحملتُ بالوجود إجمالا * ثمّ نفخت فيها نفخة أخرى * فهي التي لايزال يتولد بها الإمكان تفصيلا * فتلك أمكم حقّا حقّا * وما أنا لها إلاّ كالوعاء * فحيّ على الفناء بفناء أعتابها سرمدا .
والحديث كما قال أهل الشهود " عجيب غريب "

المنظر الحجري

حدثنا الأفق الأعلى * قال حدثتنا القبّة البرزخيّة العلياء * قالت حدثتنا القبة الخضراء * قالت سمعت الحجرة الشريفة الزّهراء * تحكي عن ليلة عرسها *والبهجة تبرق على محيّاها * وسلسبيل دموع الحنين يتهاطل على خدها الأسيل * وهي تقول :
آه ..آه.. آه .. * إنّها السّعادة والسيّادة * إنّه المجد والسّؤدد * وما كنت قبلها بشيء * ماكنت إلاّ نسيا منسيّا * حتّى شاءت الأقدار الإجتبائية* أن تخطب للعرش النّعلوتيّ فرشا * يكون له زوجا وخادما مطيعا .
فنادى منادي المشيئة بنساء الحيّ * فأهرعت إلى الأعتاب سابقة * أركع وأسجد ، علني أن أكون أنا* فقال وما أعجلك عن قومك ياهذه * فقلت هم أولاء على أثري * وعجلت إليك حبّي لترضى * فتبسم راضيا بالقبول .

إن تـــبصّرت موطـــأ النّعـــل حقّـــا ســـتراه مـــن الغـــرام شـــفاها
أو جباهـــا رجـــت مـــن الذل جاهـــا أو قلـــوبا بـــه تـــروم شـــفاها

فلما حزت قصب السّباق ، وأذن لي بالقبول * قامت على تجهيزي ، أمي البطحاء ، وجدّتي العلياء * وأكثرن من نصيحتي ووصيتي * بحسن الخدمة ، والقيام بالمقام * ثم أدخلنني عليه في ليلة الإثنين * عام الهجرة المباركة * ومن ليلتها الميمونة ، وقع الإتّحاد بشريك حياتي * وحبيب روحي * الشّسع الأعظم ، والسّلطان الأفخم ، عليه الصلاة والسلام .

ألا ليـــت شـــعري هـــل أبيـــتن ســـاجدا أمـــرغ وجهـــي في غبـــار ترابهـــا
بطابـــة حيـــث النعـــل طـــاب نســـيمها لعـــلي أحظـــى مـــن عبيـــق رحابهـــا

والحديث متفق عليه " في بطون القرأين "

المنظر الجذعي

حدثتنا العصا الموسويّة * قالت حدثنا القميص اليوسفيّ * قال خدمت الجذع اللّطيف ثمانية حجج * على أن يحدثني بحديث الأنين والحنين * وما كنت له عبدا فحسب * بل كنت مريدا متعلقا * فلمّا قضيت الأجل* خطّ لي حرفا من أرقام سرّه المكنون * به تنفّست الصّعداء.

قال وهو الصّحابيّ الحجّة * كنت في غابات الإهمال * هائمًا في حضيض الكفران * ولكن الفطرة كانت تنادي ، بإرهاصات المواصلات الأولى * حتّى إذا جاء الفتح * ودخلت حضرة الأعتاب* ونصبت ميادين السباق * فزت برتبة القطبانية العظمى* لِما كنتُ عليه من الإرادة * فتُوِّجتُ بوسام خدمة النّعال القدوسة * فصرت لها حذاء في المحافل والمحاضر * ولا تسأل عمّ كان يسري ويجري من ثدي شراكها * إلى عروق مهجتي من ألطاف .

هَـذِهِ النّعلُ أينَ خِرْقَةُ يُوسِـفُ فَفُـؤادٌ لَمْ يَنْشَـقِ الرِّيـحَ يُـوسِفُ
يُوسُفُ الحسـنِ هـامَ فِيها فَتاها وزُلَيْخـا بِهـا تَنـاسَـتْ فَتاهـا

وحقِّ نورِها * لإنّ ليوث تلك الحضائر ترمقني غبطة * وتشرئبُّ بأعناق هممها إلى مكانتي شغفا * وهكذا، وأنا أعرج في الفناء * حتّى إذا كدت أن أذوب لطافةً * ويتحد الفرع بأصله * وليس ذا بالذي يتأتى في ذي * فأذن لي في الانتقال إلى عالم القدرة * ولقد سمع من حضر لحظة الختام * أنين

النّزع ، فظنوا أنّه الفطام * ولكن هيهات ، إنّه الوّصل الأبديّ والفيض السّرمديّ * حيث تجلّت عليّ الذّات الأميّة بضمة * فارقت بها حسّي * وطارت بها روحي إلى حجر أمّها والسلام .
قلت : " وهذا الحديث مشهور المتن والإسناد ، عند جمهور المتحققين "

المنظر الكثيبي

حدثنا الفردوس عن الكوثر* قال سألت منبعي الكثيب عن هيولى كثبانه * التي أضحت عرشا للإستواءات الكفاحية * وباتت خدرا للمسامرات السبوحية * فأجابني بديهة :
ويسك ، ماهي إلا آثار نقع كنوز الأسرار * من بريق توهج سنابك الشّراك * إذا ما ادّنى وهو بالرّفيق الأعلى * حيث لاحيث ولا أرض ولا سماء * ولا هواء ولا ماء * ولا زال صدف يمها ، يجود على بر روحي * بنفائس ذرات هبابها الأزهر سرمدا * ولكن بشرط خدمة الأعتاب * [للذين أحسنوا الحسنى وزياده]

سـألوني مـن ذا تكـون ومـاذا		قلـت مـا تـرى غـير ذاك ياهـذا
لا جـمال في الكـون إلاّ النّعـال		فـما بعـد الحبيـب إلاّ الضـلال

قلت : "ولي طرق عدّة في رواية هذا الحديث ، من غير طريق الكوثر ، ذكرتها في غير هذا المسند الغريب "

المنظر الرّقاّوي

حدثتنا الكرسيُّ * قال سمعت سدرة المنتهى تقول * سألت الرّقّا عن سرّه الذي به عنا ارتقى * فالتفت شمالا * وقال هل فيكم من غريب * فقلنا لا * فأوصد الباب ، وبلع المغلاق * ثمّ كشف عن نقابه قائلا :
كنت مدلّلا من بين إخوتي * في حجور المعيّة الشسعيّة * حتّى إذا حال الفطام * برحت بي صوارف النّوى * فظللت الدّهر هائما في المهامه والصّفوح * لعلى نسمة من نفحات عبير حيّها تفوح .
وبينا أنا ذات ليلة في مناحي ، شجوانا ولهانا * إذ سمعت رجّة وضجّة * تلوح شطر الجانب الغربيّ * فاسترقت واسترهصت الأخبار * فقيل حيّهل إنها ليلة العرس المعراجيّ * زفّت أعراسها ، على أهل الأفق المبين * فهلمّوا إلى مهرجانها .

فما أن لاحت بوارق وهيج غبار الشّراك الأوحى * حتى انجذبت كلّيّاتي نحوها * كالمغناطيس للحديد بل كالصفة للذات * فالتّفت السّاق بالسّاق * وتحقّقت بالإتّحاد والإعتناق * وأخذت مواثيق الأمان من الفراق * وها أنا ذا حمدا وشكرا لها * إلى أبد الآباد ، أتفوّق في أوج المعارج * بلا غاية ولا منتهى * والفضل لها ، لا لي أنا .

فأزجُوكَ نادِينِي دَوامًا بِعَبدِها فلا عِزَّ لي إلّا بِفاخِرِ مَجدِها
فإنّيَ لا أَنْفَكُّ صَبّاً بِوُدِّها مَدى الدّهرِ وِجْداني يَدِينِ بِوَجْدِها
ولو كنتُ في نارِ الجَوى والتَّأَوُّهِ

قلت : "والحديث وإن إنفرد به الكرسيّ ، لكن صححه جمع من خدمة الأعتاب "

المنظر العلوي

حدثني روحي* قال حدثنا روح القدس *قال سألت مولانا خاصف النّعال عليه السّلام * عن سرّ إرثه ، فقال وما أطال * هي نفحات أريج ذيّاك الشسع الأزكى * لما عطّست مشام روحي الأنفس براحها العتيق* لمّا كلّفني بل شرّفني * سيدي بل حبيبي * بخصفها بل بخصفي بها * فكنت بل لازالت * أضمها بل أكنّها * ما بين جوانحي * بل بين سرّي وروحي * فمن حينها فنيت فيها ، وما بقيت * بل صارت لي سمعا وبصرا ولسانا * بل قلبا وروحا ، بل أخفى* وبالأحرى هي وما أنا * وما أنا إلاّ هي * وما أدراك ماهيه ، حضرة ناهيه .

أقول : " وهذا الحديث مما انفرد به روحي ، عن أجداده الأشراف عليهم السلام " وكان كثيرا ما ينشد :

أنا إبـن خاصـف نعـل العـلا أنا إبـن مـن بالـشّراك عـلا
أنا إبـن مـن هـام حـتّى الفنـا سجـودا بأعتـاب ذاك الفنـا
عـلـيّ عـلـيّ بهامتهـا ومـا طـار إلاّ بهمتهـا

المنظر الإعجازي

حدثني قلبي وأطرق * قال حدثني روحي وأطرق * قال حدثني سرّي وأطرق * قال سألت سيّدي ومحتذي النّعل الأقدس * عن حقيقة أمره * فأطرق برهة كالخجلان المتعجب * ثمّ رفع فأحدق بي كالحيران المتهيب * ثمّ أشار وما أفصح * ثمّ هيهت لي ونصح * قال : فزدته إلحاحا واستفهاما *

فنهنه ، ثم صهصه ، ومهمه ٭ قال : فاستغثت له ٭ فعندها قام ، وقال ٭ قل النّعال من سرّ ربّي ٭ ثم طار عني وغاب ...

دون النّعـــال تقطــع الآمـــال   وعنــد ذاك يحمــد الضّــلال
المنتهــى تلــكم تلــكم العــا   مـه مـه أعـزمي فـالوحوت قـد عمـى

والحديث مسلسل صحيح وهو ، آخر ما رويته من العوالي في المعالي ، والسّلام .

****

*****

***

*

ومن ذلك أيضا كأس المنتهى ، وهو كأس من مولد "كؤوس الحبيب ρ " :

كأس المنتهى

إقدس بعرشٍ كان مستوى الإستواء ، لقدم الهيمنة الذاتية + واعجب به رفرفا لقدم الآزال ، في عروج البارقات الأنانية + إلى حنادس جيوب أفق اللاتعين ، في مجال سبيل صلة العين + تزج بها في مخابئ حقيقة اليقين ، عند حجور قصور أوأدنى ...

واغرب بها نزلة هي الأعلى + ودلو هو الأدنى + وبداية هي المنتهى ...

واروح بها راح شهود ، على مزاج أولي المقاعد العزمية + فهي الكأس والشراب ، والسكر والصحو + إذ لابقاء ولا ارتقاء ، إلا بعد الفناء بمدام سلافتها ..

وابصر بها قاب قوسين البصائر ، عند سدرة منتهى العزائم + إذ يغشى القدم ما يغشى ، فغشاها من سبحات الإعجاز ماغشى .

ومن الآزال انتصبت تسد الآفاق الجبروتية + كسحاب غيث هطال يعجب الأسرار إمدادها +

وزُيّنت سماء المنتهى بزينة الحقائق + وارتصدت بالشواهب ، للسوارق الموارق + حفظا من الأغيار ،وهدى للأنوار والأسرار ..

واخضرت الأرجاء ، بهبوب نسيم ربيعها + واستروحت الأرواح ، من أريج رياحينها وريّانها + فيها أنهار من أنوار العين + وأنهار من أسرار التحقق + وأنهار من لوائح الشهود + وأنهار من مزيج الحيرة والإعجاز ..

وفيها كثب مرفوعة ، وخلع مرقومة ، ورفارف مجذوبة + وفيها ما يُجيّش الأرواح ، ويطيّش الألباب + ولهم فيها من كل النّفحات ..

فعين وعيان ، وحق وعرفان .. + فهذا الرواح ولا راح ولا أقداح + وهذا الشذى فأين العنبر والمسك الأذفر ..

فناهيك بها سر النّبأ العظيم ، الذي فيه يختصم الملأ الأعلى ، ويختلف الملأ الأدلى + ورفرف العروج إلى قاب قوسين أوأدنى + فهي سدرة المنتهى ، ومن غبارها جنة المأوى ..

فأين من وسيم بهاء حسنها ، جمال يوسف والحور والولدان والقصور + والرياض والحياض ، والأنوار والأزهار ...

وأين من غلاء نفاستها + كنوز الجواهر ، والدرر ، واللآلئ +والسندس ، والإستبرق ، والإبريز + واليواقيت ، والزبرجد ، والزّمرذ ...

وأين من وهيج عزة قداستها + جلال سقر ، ولظى ، والزمهرير + وغمرات السّام ، وحرارة السّبحات + وأهوال القبر ، والحشر ، والقيامه...

وأين من صبغة براعة طراز هيئتها+ كمال العروش ،والكراسي ،والألواح ، والأقلام + والكعبة والبيت المعمور، والرقا ، والهباء ، وسدرة المنتهى...

وأين من باد إرتقاء شسعها + جد أهل العزائم ، والوحي + والمعراج ، والرفرف ، والإسراء ، والبراق والمنتهى +وأين الكرب ، والهيّام + وأين الصّحب ، والأغواث ، والأفراد ، والأقطاب .. فهيهات هيهات

وإن تعجب فعجب قولهم ، هي نعل !

فقلت هيّا نعلوا.

وجاؤ يهرعون إليّ .. ولا تسأل من قبل ماكانوا ..

فقالوا مالك ؟

فقلت هي مالي .
قالوا بك داء ؟!
فقلت هيّ الدواء
فقالوا الدّليل ؟
قلت القميص .
فقالوا ماسمعنا بهذا ؟!
فقلت : لو أراد الله بهم خيرا لأسمعهم .
قالوا وما تقول للفقيهِ ؟
قلت أتقيهِ
فقالوا اتق الله !
فقلت بجمالها .
فقالوا هذا هوى ؟!
قلت صدقتم ، بل لقد صار جوى .
فقالوا بؤت باللّعن ..
فقلت لذي الملام ، ليتك أبدلت النّون باللام .
وقالوا أنت في النّار ..
قلت من حرقة شوقها .
فقالوا ألا تنتهي ؟!
فقلت هي المنتهى .
فنعوني وما ودعوني ..
فياليتني لمّا خاصمني الجاهلون قلت سلاما .
حنانيك يا نون الشجون والجنون + حنانيك ياريّان الوجدان + حنانيك ياحميّا المحيّا +
حنانيك يا هلال الوصال + حنانيك يا عيون الشهود + حنانيك ياراح الأرواح +
حنانيك ياصبا الصّبابة + حنانيك يابسمة الوجود + حنانيك يابهجة القلوب +
حنانيك والمنتهى إليك + حنانيك والمعول عليك + حنانيك بالروح نفديك ..

****

*****

***

*

ومن ذلك هذه العيّنة ، من شروق العين :

وترى النِّعالَ تَحْسِبُها سَافِلَةً ☼ وهِيَ تَأْوُجُ أَوْجَ الحُرُوفِ في السُّقُوفِ بِلا وُقُوفِ ☼ فِتِلكَ بُراقُ الأقدامِ الذَّاتِيّةِ ، وما أَدْراكَ مَا الأَقْدامُ ☼ ..فآمِن غَيْبًا وقُلْ سَلامٌ ..
فإذا إشْرَأَبّتْ أعْناقُ سَوابِقِ الهِمَمِ العَزْمِيَّةِ ☼ شَوْقًا وتَوْقًا ، لِمُحاذاتِ تلكَ النِّعالِ الأُنْمُوذُجِيَّةِ الزُّجاجِيَّةِ ☼ هَتَفَتْ بِها مَعامِعُ مَهامِهِ طلائِعِ غُبارِها ☼ أَلَمْ أَقُل لَكَ إنّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبرًا ☼ هَيهاتَ هَيهاتَ وكيفَ تَصْبِرُ ، عَلى مَالم تُحِطْ بِهِ خُبرًا ☼ ولكنِ الْزَمِي الأعتابَ ☼ وإلّا فَهذا فِراقٌ بَيْني وبَيْنِك...

النّعالَ خَيرٌ أمّا تَهْوُونَ وما تَشْتَهُونَ ☼ أَمَّن أَيْنَعَ الأزهارَ ، ومَن أَنْبَعَ الأنهارَ ☼ ومَن أَشْرَقَ الآفاقَ ، ومَن أَغْدَقَ الأَرْزاقَ ☼ أُمِدٌّ مَعَ القاسِمِ المُمِدِّ ☼ تَعالى وتَقَدَّسَ عَنِ الشَّرِيكِ والنِّدِّ ☼ أَمَّن هذا الّذي يَرْزُقُكُم ، إنّما اللهُ المُعطِي وأنا القاسِمُ ..

فإنْ تَولّوا عَنِ الإلتِزامِ بِمُعانقةِ أعتابِ نِعالِكَ الرَّفْرَفِيَّةِ العَلِيَّةِ ، فقلْ حَسْبِيَ اللهُ ☼ إنّما تَنَزّلتُ لآخُذَ بأَيْدِيكم ، وإلّا فلا نَجاةَ ولا وُصُولَ ☼ فَلَيس وراءَ مَرْمَى النّعالِ ، مَرمَى ولابابًا ولا مُنْتَمَى ..

وهلَ اتاكَ نَبَأُ الحَيرةِ والإعجازِ ☼ إذَا العُقُولُ اعْتُقِلَتْ ☼ وإذا العَزائِمُ رُخِّصَتْ ☼ وإذا المَناهِيُّ انْتَهَتْ ☼ وإذا الأعلامُ نُكِّسَتْ ☼ وإذا البَصائِرُ طُمِسَتْ ☼ وإذا الحُجُورُ حُجِّرَت ☼ وإذا النُّفُوسُ اصْطَلَمَت ☼ وإذا القُلُوبُ انْفَطَرَت ☼ وإذ الأرواحُ انْصَهَرَت ☼ وإذا الأسرارُ ارْتَتَقَت ☼ وإذا الأنوارُ انْغَوَرَت ☼ وإذا الثَّوانِيُّ اتّحَدَت ☼ وإذا المَبانِيُّ انْهَدَمَت ☼ وإذا المعانِيُّ ارْتَقَمَت ☼ وإذا الحوادِثُ انْعَدَمت .. ☼ إذا فلا بَيْنَ ولاشَينَ ولا غَينَ ☼ إذا مَاانْفَجَرَتْ فَسَطَعَتْ شَمْسُ العَينِ الحوراءُ ..

وقلت فيها :

وهوَ الّذي مِن نَقْعِ غُبارِ شِسْعِهِ الدّثارِيَّةِ الزِّماليّةِ ☼ تَلَقّحتْ الجِنانُ العَدْنِيَّةُ ☼ بل تَنَفَّحَتِ الكُثبانُ العَيْلِيَّةُ ☼ ولَا عَجَبَ ولا غَرَبَ .. أَوَفي مَجْلى الذّاتِ رَيْبٌ بعدَ هَذا ☼ فلهُ الحَمدُ في الأُولى والآخِرَةِ ، ولهُ الحُكم وإليهِ تُرجَعُون ...

ومنها :

فلَا أُقْسِمُ بِلاهُوتِ النَّعَلُوتِ ☼ وشِسْعِ المُنْتهى إذا ما اسْتَوى ☼ مافَسَقَتْ شَمْسُ الضُّحى مِن طَمْسِ كُفْرِ سَحَرِ اللَّيالِ ☼ إلّا لِعُبودِيَّةِ نِعالِ المُتعالِ ☼ ومامُدَّ بِساطَ دائِرَةِ المِيم بِدَيْهُورِ الدَّيْمُومَةِ ☼ إلّا لِمُناسَبَةِ الإطلاقِ الإسْتوائي ☼ وما قَدَحَ زِنادَ الهِمَمِ العَزْمِيَّةِ ☼ إلّا مُخامَرَةُ طَلْعِ غُبارِ الأعتابِ الشِّراكيّة .

****

*****

***

*

ومن ذلك كذلك هذه النّبذة ، من مولد الكنز ، وهو مقسم على حسب حضراته ρ تنازليّا ، مولد الحقيقة العليّة ، ثمّ الرّوح الأقدس ،ثمّ الجسد العظيم ، ثمّ النّعال الشّريفة ، وهي :

مولد النّعل الأنزه

وبعد ماغاب النّور تصدّر الأثر المسرور % ولا غرو فالغليل قد يتعلّل بالسّراب % وباللّيل نهتدي بالنجوم % فمن شام الظلال كمن لمح الخلال % ومن شمّ النّعال كان كمن شرب الجمال %

إذا مـا تـوارى محيّـا الجـلال	فـدونك هـذا جـمال النّعـال
ألا هم بهـا يالطيـف المـزاج	فـإنّ الجميـل يحـب الجمـال

فأعجز بها قرآن الوجود ، وفرقان الجود % فهي جلال الفتوحات المكية ، وجمال النفحات المدنية % ذات المواقف الروحيّة ، والفيوضات السبوحية .

فأنفس بها بهجة الأسرار ، وسر نفاسة جواهر البحار% وأعجب بها بدا للعارف ، ويدا للعوارف في المعارف والمواقف % وحلية الأولياء ، لا باليواقيت والجواهر % وإنما بجواهر المعاني ، ونفائس العرفان .

وأبصر بها مشكاة الأنوار القدسية ، المشرقة بالنّفحات الأقدسية % في سماء التجليات ، والمناظر الإلهية % فهي شمس المعارف،التي تهدي الخصوص، إلى النّصوص ،والفصوص .

وأكبر بها نسخة مراتب الوجود ، وحقيقة كل موجود % فتلك مقر منازل السائرين ، بل سدرة منتهى العارجين % عرش الإنسان الكامل ، وصدف الدّرة البيضاء % ذات المواهب اللدنية ، و الخصائص الكبرى .

واروح بها روح الإحياء ، وقوت القلوب % فغبارها ترياق لإيقاظ الهمم ، وسبب لسعادة الدارين % فاستنشق نسيم السّحر ، قاب قوسي موضع القدمين .

وأغرب بها خزينة الأسرار ، والكمالات الإلهية % الحاوية لفتوح الغيب ، ولطائف المنن % وأعظم بها ديوانة الكهف والرقيم % ومخدع النّاموس الأعظم ، ومجمع القاموس الأقدم .

فلا أقسم بمواقع النجوم ، وبقطب العجائب والغرائب % أنّ خبيئة الكون ، أعز من الكبريت ، و العنقاء % وكيف لا ، وهي تترصد بالطواسين ، والطّلاسم % بل بالسّبحات والغياهب والرّقيم ..

***

وهذه قطرة ، من بحر النّقطة :

الوقف

ألم ترى إلى تربة نعال المتعال ٭ كيف زهت وطابت ، واهتزت وربت ٭ حتى صارت محطة لرحال الرجال ٭ حيث العزائم تتسابق ، والهمم تتلاحق ، وقصب السبق إلى الأعتاب ٭ عندها سدرة المنتهى إذ يغشى السدرة مايغشى٭ من بهيج التجلّيات الشسعية الزاهرة ، وأريج المنالخات الشراكيّة الباهرة ٭ حيث بحور دموع الغرام من العيون تتدفّق ٭ وبراكين سعير الصّبابة من القلوب تتفتّق .

وحيث مزامير زبر التعلق تترتّل ٭ عندها حرائر غرر العزائم ، تتذلّل وتتوسّل ٭ علّها أن تنال من قبلة النّعال قبلة ٭ وهيّ غاية ماترتجيه والمنى .

واستمع يوم ينادي منادي العباد يوم التناد ✵ يوم ينشرون ثم إلى ربّهم يحشرون ✵ فتتحد القافان وتلتّف السّاقان ✵ كما بدأكم تعودون .
إبان ذاك تستوي عليهم قدم الهيمنة الطّاهية كماهيه ✵ نزلا على عرش الرحمانية الإمكانية ✵ وهو القاهر فوق عباده ✵ ومن بينها وبينهم حجاب برزخية النّعال ✵ ذات الجمال والجلال والكمال ✵ قد علم كل أناس مشربهم .
وما يدريك يوم تتجلى أنوارها ✵ من دون لبس ولا طمس ولا دس ✵ فتنفطر الأرواح ، وتتصدع القلوب ، وتنصدم الألباب ، وتتدمدم النفوس ✵ لمن الملك اليوم ..

صعقنا غداة أن تجلت تجلّلت	وقد مس أهل الحشر من حسنها الذهل
فلما أفقنا قلنا سبحان ربّنا	فقيل تعالى إنّما تلكم النّعل

****

*****

***

*

مزمار النعال

وهذه بعض الدّرر الفنيّة ، نسجتها من حرير النثر الوجدانيّ ، على منوال شعراء الأدب الحديث ، ليعلموا أنّ أدب التّعلق ، يواكب ركب التّطورات . فمنها :

أعشقك ولكن ..

أرجوك ودوما أرجوك ،
فأنا لم أطلب مستحيلا ..
أنا لم أطلب إلّا حقّي .
حقّك عليّ الجنون ،
وحقّي عليك العناق .
أجل .. لقد قصرت ولكن ..

أنا الذي نحرت مهجتي قربانا ، ولكن ..
أنا الذي شويت كبدي غراما ، ولكن ..
أنا الذي رهنت عرضي فداء ، ولكن ..
أين أنت ..؟!
أنت ربّتي ولكن ..
أنت في غنى عن مثلي ولكن ..
أنت من فتنتي فؤادي برمشك ، ولكن ..
لن أيأس .. لن أستسلم ..
فمالي سواك .
وانعلاه .. وانعلاه .. وانعلاه ..

لا للفطام

عجيب حالي إذا رثي المجانين !
فكم من ليلى من بديل ،
والرّبيع يخلّف الورود ؛
ولكن ..
هل لشمس الحسن من مثيل ؟
فيا ويح من عمه
وا أسفاه على ذيّاك الجمال
إنّها السّعادة ..
إنّها الحياة .
رشفة منها فقط هيمتني
فكيف بليالي السّمر
أسكرتني جننتني
أفأرضى بالفطام ؟!
كلّا لا ..
% % %
سلبتني قلبي ولبّي و..

صارت مهجتي التي بها أحبها
تداعبني في يقظتي ومنامي
تغازلني في ركوعي وسجودي
فكيف أرضى بالفطام ؟!
من لم يرضى بالمصّ ، كيف يرضى الفطام ؟!
فيااللعجب ماذا تصلى القلوب !
الصبابة وما أدراك ماهيه ؟!
نار حاميه

هي وكفى

يطول الليل فيصول الويل
وتتزلزل المهج .. فتفيض غراما
سيّما ومن دون النّعال حجاب
وأنّى بها
لولا العطف واللّطف
لولا حنان الأمومة الدافئ
فياليتها تتنزّل
ولو بطيف في الكرى
ولو بخيال على البال
لأنّني أعشقها
ولأنّها جميلة أيضا
فلا تلوموا فؤادي المسكين
ولوموا عينها الدعجاء
% % %
ولأنّها عزيزة جننت عليها
فلم أخف والطريق عتيم
وما هالني إضطراب الوساوس
كلّا

إنّ معي شوقها سيهديني
في الدنيا وفي القبر وفي الحشر .. هي ..
حتّى في الفردوس هي
وفي الوسيلة .. هي ..
هي وكفى .

هيت لك

هيت لك يا نعل
قبلة منك فقط تكفيني
ضمّة تجذبني
وأخرى تفنيني
لو سمحتي
من أنا منك ، حقيقة ولكن
أنا عبدك الفقير
أنا الغريب
إبتليني أن أردتي
فأنا من قلت ولا زلت أصدع :
أنا عبد النعال ..
يشهد الوجد عليّ والرّسيس
صدّقيني
فلِم يا مناي ياحياتي
طال هجراني
النجدة .. النّجدة ، الحريق الغريق !
نفذ الصبر وجفت المهج
فإن أبيت إلّا ذاك
أقتليني واستريحي !

كفى من الشّغب

هاهي لكم
الزمان زمانكم ، يارعاة الشاة
هرّجوا ومرّجوا
بدّعوا وفسّقوا ، جادلوا وماروا ..
فإنّا لن نرتدع
وكفى بنا فخرا أن نستشهد عليها
لعلّنا نقبر فيها ، ونحشر إليها .

% % %

كفّروني فإنّ في كفري عروجي
أقتلوني لإنّ في قتلي وصالي
وما تنقمون منّي ؟
إلّا أن تعلّقت !
وأبشّركم أنّني بالنّعل جننت
عجيب
لما كلّ هذا التورع
أكل هذا حرص على العقيدة
شكر الشيطان سعيكم ، أتركونا وشأننا ؛
إشتغلوا بأنفسكم
أصلحوها وانصحوها وكفى .
كفانا منكم ياعلوج
كفاكم من السفاهة يا سفلة
كفى من الشغب ..
فالأمّة تحتضر .

رحماك رحماك

طالما كتمت .. وافتضحت
عيناي تدرفان .. وهمسي الشّجي .. وشعوري اللّهيب

والحب لا يخفى .
أنا لا أخشى أحدا
بل أغار عليك
لا أغار أن يضروك ، بل أن يعشقوك .
أريدك لي وحدي
يا أعزّ ما أتمنّى .. يا ألذّ ما أشتهي
هادونهم الحسان .. والرّبيع .. والسمر .. و.. و ..
وليتركوك لي
أرجوك تبرقعي وتبتلي .. إلّا إليّ
غضي طرفك السّاحر ، وواري ثغرك الفتان .
وقولي إنّي نذرت صوما
وإلّا سأحاربهم
فأنت رأس مالي .. وكلّ ما أملك
أنت شريكة حياتي
رحماك رحماك .. لا تتركيني .

لله في خلقه شؤون

كلّ قيس وليلاه .. وأنا بالنّعال مجنون
وفدت على سوق الحسان ..
وخضت لجج الوجدان ..
واخترقت قصور الحور ..
ولم ألفى كبَنت القدم جمالا ولا خلالا
لا تعجبوا من إختياري
فللّه في خلقه شؤون
والجنون ذوشجون
فلا الجلد مرادي ، ولا الشسع غرامي
ولكنّه النور الساري

إنّه الرّونق الأنيق
المعنى الذي أنساني زهر الخدود
فعزّ من صبغها ، وجلّ من أبدعها .
% % %
فدعك ياقيس .. وعرّج عليها .
هنالك حيث اللّيل عرس ، والصباح عيد ؛
هنالك حيث الحبّ العتيق
حيث الخمر الواجب
حيثما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين
وما يلقاها إلّا ذو حظ عظيم

لعلّها ترضى

غازلتني .. واحتجبت
أهذا هو الحب
أجل إنّه الوطيس
كرّ وفرّ
وصل وفصل
تسنيم وحميم
هذا العذريّ ، فكيف بالشّسعيّ ؟!
% % %
كيف إذا كانت ليلى شمسا ؟!
كيف إن كانت عرشا ؟!
أو كانت عماء ؟!
ماسيكون ؟!
الجنون ؟!
كلّا ؟!

% % %

ضلّ جبريل .. وتاه الخليل !

فما بالي أنا !!!

وتطاول الكليم فصعق !

يا سبحانها!

ربّة المجد والتقديس

كأنّها حرام ، أومحال !

فما بالي أنا !!!

ولكنّني ..

عبدها ..

لعلها ترضى .

أو لم

يان البزوغ ؟

أنا ياعرش الكمال لك فرش

فهل تقبلينني ؟!

أنا ياربّة الرعاية عبد

فهل ترتضينني

كم وكم راودنني الفاتنات ، فأبيت

قلت إنّي صائم

يا فطوري

أنا محرم

وأنت حلّي

زاهد إلّا فيك فلا

% % %

كرهتهنّ ليكرهنني

وعشقتك لوسمحتي

لست أبتززك

وإنّما أترجّاك
هيت لكِ
فقد أوصدت الفؤاد
فطالما أتربّص
أو لم يان البزوغ ؟

عذرا لن أبوح

عذرا يا كعبة الظرافة .. عذرا
فأنا لم أتخلّف
ولكنّ الزمان استدار
ولو تأخّرت زمانا ، فقد تقدّمت وجدانا.
% % %
غبطت الألى خدموك
ولكنّني عشقتك
فما ذنبي إن تأخّرت ؟
هم سبقوا وأنا صدقت
هم ساروا وأنا عرجت
فمن مثلي
% % %
عذرا يا أمّ روحي ، فأنا لم أتأخر .
أولست يوم ألست سجدت ؟!
بلى .. ولكن
أين أنا منذها ؟!
لا لست أدري
أنت تدري
سلبتيني منّي
فمن أنا ؟!
عذرا لن أبوح .

وإن تعودوا نعد

قاطعوني .. وكأنّي إرتددت
الأقارب هم العقارب
تحالفوا عليّ ،وما أنا من صهيون !!
وإن كادوا ليحرقونني بأفواههم
سفهاء !!
وما ضرّهم أن أحببت
بل ما ضرّهم إن كفرت
وهل قاتلوا الكفار هم ؟!
% % %
التّعلّق تخافون عليّ!
خبتم
فها أنا قد واليت
بشراكم
واليوم بالنّعال تفانيت
موتوا بغيضكم
وإن تعودوا نعد .

حيّ على الهوى

سبحان الهوّ .. ماهذه الرّوعة !
ماهذا الإبداع !
ماهذا من نقش البشر
ماهذا إلّا صبغة القداسة
لاجرم أنّه نسيج القدموت
ربيع بلا صيف ..جمال وأنس .. أريحيّة وعرس
فويح من لم يراها مرّة
ويا ويح من رآها مليار مرّة
% % %

ولاغرو
هاهو سفير الفردوس يستورد غبارها
فروح وريحان .. ووصل وعيان
إنّا الإكسير الخارق
فأين الضمائر التّواقة الذّواقة
أين المشاعر الجيّاشة الطيّاشة
أين الجنون والشجون
حيّ على الهوى حيّ على الجوى
قد فاضت الكؤوس

أنا النّعل .. ولا فخر

أنا النّعل .. ولا فخر
أنا سعيدة للغاية .. ولا شطح
لأنّني نعلُ لا شيءٌ آخر
فلا مجرّة تقلني ولا حضرة تظلني
وكلّ ما في اللاإمكان فرشي
% % %
ولوترى إذ يتهافتون عليّ أيهم أستوي عليه
فأنا تاجهم ولا فخر
ولما لا
وأنا عرش القدموت إذا ادّلى
فمن مثلي
وأنا دثار البدهوت الجلجل
خليق بي
وأنا حجاب النّاهوت الصاري
فكم رضعت حتّى .. سكرت
وكم لثمت حتّى .. جننت
وكم .. وكم .. وكم

% % %

صبغتني أمي على ماهيه
ثمّ توجتني بتاج الأناهيه
فنبت عنها رسميا
ودالت الدّولة إلي
حالها بايعني سلاطين الجيوب
العزم فالوحى .. فالملكوت
أولا يحق بي الإفتخار
بلى
بلسان القال والحال والمقام
لأنّني ترجمان الكمال
فلا فخر

صلوات التّعلوت

ونختم هذا الدّيوان النثري ، بباقة من الصّلوات العرفانيّة ، التي أملاها على وجداننا ، وارد التّعلّق بالأعتاب ، فمنها :

صلاة التّعلوت

اللّهم صلّ على سيّدنا ومولانا طَهَ مَنِ اسْتَوى مُهَيْمِنًا على الأُفُقِ الأَعلى ، بِوَطْئَةِ النَّعَلُوتِ إبّانَ ما ادَّلى ، فَما في إمكانِ سَوابِقِ بَوارِقِ الإمْكانِ ، الحَوْمُ حَولَ حِمَى مَحارِمِ البَّدَهُوتِ ، فَكيفَ بِخُدُورِ حُجُورِ قُصُورِ الهوِّ ، فَسِلِّمْ ياهُوَّ سَلِّمِ ، وعلى آله وصحبّه وسلّم .

صلاة التتوّج

اللّهم صلّ على سيّدنا ومولانا أحمد المتوّج بالعمهوت ، والمتزمّل بالجبروت ، والمنتعل للملكوت ، فما فلكوت الإمكان من شسعه إلّا كذرة في الفضاء ، وعلى آله وصحبّه وسلّم .

صلاة العظموت

اللّهم صلّ على سيّدنا ومولانا محمّد تاجِ العزّةِ والكبرياءِ والعظموتِ ، مَن خَضَعَتْ لِشِسْعِ نِعالِهِ عُرُوشُ الآفاقِ ، بعدَما ادَّلى ، فاسْتَوى عليها نَزلَةً أُخرى ؛ وعلى آله وصحبه وسلّم .

صلاة العمامة

اللّهم صلّ على سيّدنا ومولانا محمّد مَن كَلَّتْ مَعارِجُ الغُيوبِ عنْ شِسْعِ نعالِهِ ، أنْ تُساميها أبَدًا ؛ فَهَيهاتَ ، ومن يَتَطاوَلُ على سُلْطَةِ عَمامَتِهِ ، أنْ يُدانِيها أَزَلًا. وعلى آله وصحبِهِ وسلّم .

صلاة الفتح

اللّهم صلّ على سيّدنا ومولانا محمّد ساقي الوِجدانِ سَلْسَبِيلَ الإيمانِ ، ورَحِيقَ الإحْسانِ ، وذلِكَ لِمن تَفانى في عِشْقِهِ ، وظَلَّ بالأعْتابِ نِعالًا ؛ وعلى آله وصحبِهِ وسلّم .

المدائح النّعلوتيّة

مبحث 1

لقد جعلنا من غرض التّغزل بها ، ذريعة للتطفل على رياض تلك المحاسن القدسيّة ،كما كان غيرنا يشير ويعرض بذكر ليلى والغزالة أدبا مع جنابه ρ ، فإنّ للنّعال عوض عن تلك التّمثيلات ، إذ النّعل أقرب إشارة وأعذب عبارة .

وعليه فإنّ كلما سنذكره في مدح النّعال والتّغزّل بها ، فإنّما هو من قبيل التّلويح والتلميح ، إشارة منّا إلى حضرة بدايته ρ فإن كان مدحا للكمالات ، فهو يشير إلى بديهة عظمته ، وإن كان تغزّلا وتوسلا فإنّه يشير إلى حالنامع تنزلاته .

مبحث 2

إنّ كلما سنذكره ممّا جمعناه في مدح تلك النّعال المجيدة ، ماهو إلّا نزر في حق ذات القداسة ، وكيف لا وهي في منتهى أطوار المحاسن والكمالات ، فلن ينفد مداد الواصفين يستمد من قاموس كنهها ، ولن تنفك أقلام الوجدان تعبر عن فائضات وجدانها :

قل ما تشاء فانت فيه مصدق الحب يقضي والمحاسن تشهد

وهذا ماشهدناه نحن من أنفسنا ، حال مدحنا لجنابها الفخيم ، فكلّما قالت الصحف كفى ، قال وجداننا هل من مزيد ، فيناديه الإلهام من مكان قريب : ولدينا مزيد ، هذا حال مريد آبق ، فكيف إن تصدّى لها أهل الإلهام والعرفان .

إستدراك

وإنّ ممّا يحزن ويؤسف ، أن ترى ديوانا بكلّه ، وما فيه بيت واحد في مدح سيّد الوجود ρ ، وهاهي الكتب المنزّلة بكلام الكبير المتعال ، لاتخلو من تمجيده ρ .

فأين شكر نسبتنا إليه ، وما مدحنا له إلّا فخر لنا معشر الأمّة ، فالعجب كلّ العجب ممّن له قدرة أدبيّة ، ولا يسخّرها في خدمة جنابه ρ ، فما الأدب من دون مديح إلّا لغو وهراء ، وإنّ زكاة نصاب المكنة في الفصاحة والبلاغة ، أن تمتدح بها ربّ المحاسن والكمالات ρ .

وكنت قد أنشدت مستنكرا على صاحب المقامات في هذا :

ليست مقامات الحريري عندي ... سوى من اللغو الذي لايجدي
فحقه وهو الأديب الغالي ... أن ينسج البديع في النعال

بل إنّني أعاتب حتّى من كانت له قصائد في المديح ، ولم يطرّزها بذكر النّعال الوسيمة ، حيث أنّ ذلك أوقع في الآذان ، وأبلغ في الوجدان .

وحاشا ومليار حاشا ، فلست أقصد القدح في مثل أولئك السّادة الكرام ، الذين لا أساوي موطأ شراكهم ، ولكنّني أتكلم بلسان حال المعرفة ، إذ تقول :

ولم أرى في النّاس عيباً ... كنقص القادرين على التّمام

وشتّان بين من ينتقد على التفريط ، وبين من ينتقد على الإفراط ، والعياذ باللّه ، ولوأنّ الإفراط والإطراء مستحيل في جنابه العظيم ρ ، فمن يبلغ الغاية المنشودة في مدحه وشكره ، حتى يتعدّ إلى الغلو والإفراط .

أنية النعال

أنا نعلُ المختار هل من مُجاري ... أنا بنت الأنا والمنتهى جاري
أنا إن سَلْتَ عنّي أو سال سائل ... لا تُسائل سِواي عن أخباري
أنا ركبُ الأقدام في الإقدام ... حيثُ لاحيثُ إعتمى السِّرُّ ساري
أنا رصدُ الكنوزِ رمزُ الطلاسم ... ياذراري الآثار هل من مُباري
أنا للكنه نزلةٌ ماهيّهْ ... طِبْقَ ما قد صُبِغْتُ بالأسحار
أنا كهفُ الأسرار خِدْرُ المحارم ... ظَلَّ خَلْفَ السِّتارِ في غاري قاري
أنا أمّيّةٌ بهِ ويتِيْمَهْ ... لستُ أنفك عن جحور العِذاري
أنا خاتمةُ النُّزولِ المُجَسَّمْ ... ليس ما بعدي إلّا مِن إظهاري

أنا شمسُ الانوار نورُ الشّموس ... قد عمى الكلُّ عن وَقُودِ مَناري
أنا درجُ العُروجِ بَرْقُ البوارق ... رفرفُ الإدّناءِ بالأطوار
أنا إن قلتُ كن يكونُ المُقدَّرْ ... ليس يَمْضي في الكون إلّا قراري
أنا ذاك الهباءُ تلك الهيولى ... أنا أمٌّ لـنزلةِ الآثار
أنا رُوحُ الحياة إن كنتَ حيّا ... فافنى فيَّ أُنبِئْكَ عمّا أُواري
أنا بابٌ وحاجِبٌ وحِجابٌ ... سُبُحَةٌ بُرْقَعٌ على الأسرار
أنا قطبُ الإمداد جودُ الوجود ... أوَ لاتشكرون بالإقرار
أنا ناموسُ هذه الممكناتِ ... قد تَسَتَّرتُ عن دُنا الأغيار
أنا قاموسُ مُعجَمِ التّحقيقِ ... ما البراري سوى فيوضِ بِحاري
أنا رقْمُ الحروفِ باللّاهوت ... حار دركُ القُرومِ في إضماري
أنا عينُ الكثبانِ والإحسان ... ما معينُ العيانِ إلا غباري
أنا نونُ الوَحوت والأنباء ... أنا عزمُ الأرسال في المضمار
أنا مهدُ الاصحابِ والأقطاب ... فتبصَّرْ بسِرِّي في أهل داري
أنا ديوانُ نوبةِ التّصريف ... يسري سرّي بسائر الأقطار
أنا مَن أرضَعَ الملائِكَ سرّا ... فانحنوا ساجدين للأنوار
أنا مجلى الجمالِ أَقْدِسْ بحُسني ... لَمّا بِثُّ للكنز خيرَ دثار
أنا ليلى الهوى جمالِيَ يُوسِفُ ... ماهَوَى الوالِهُونَ غيرَ سِتاري
أنا جيشُ الأرواح طَيشُ اللّباب ... يُعْقِلُ الفِكرُ عن مَدى إكباري
أنا حوضُ الرّيّاضِ سَلْ سَلْسَبِيْلًا ... بل كثيبُ الشُّهود من إخضراري
أنا غيثُ الرَّبيعِ غوثُ الرُّبوعِ ... وازْدِهارُ الأزْهارِ والإزْهارِ
أنا سيفُ الإعزازِ والإعجاز ... غارَ يَذْوِي على العُلى إنذاري
أنا ويلٌ على الأعادي فويلٌ ... للذي في كمالي أمسى يُماري
أنا طُوبى لِمن تفانى غَرامًا ... فانشَق والْثَمْ وغالي دُونَ حَذاري
أنا تاجٌ لِهامَةِ الإمكانِ ... أَضْحَى مجدُ الدُّهورِ بعضُ فَخاري
أنا لستُ مِن جنسٍ ما تصفون ... أمّا اسمي فليس ذاك بعاري
أنا لستُ مِنَ الدّنا ولا أُخرى ... إنّني فيها أُداري ياداري
أنا مما لا تُبصرون وما لا ... أنا حيثُ الأقدام تِلكُم داري

أنا مِن أمرِ ربّي في النّون أسبَحُ ... بينَ أفلاكِ سُلطة الأقدار
أنا ما أنا فالأنا قد تَفانى ... وبَقِيتُ ماهُوَ للأنظار
أنا لا أدري من أنا غير أنّي ... صِرتُ عَرْشًا لِنَزلةِ المختار
أنا سدرةُ مُنتهى الإدراك ... فسلامٌ علَيّ منيَ جاري

براكين

الجوى

تَسَجَّرَ تَنُّورُ وِجْدانِنا ... فنارَتْ بِهِ يُوحُ أَرْواحِنا
وفاضَتْ بَراكِينُ قَلْبِي جَوَى ... عَشِيَّةَ بِتُّ حَلِيفَ النَّوَى
فَصِرْتُ كأنّي وَثِيقٌ سَجِينْ ... بَلَى بَلْ كأنّي قَتِيلٌ دَفِينْ
غَرِيبٌ بِأَصْقاعِ هَذا الحَضِيضْ ... نَحِيبٌ كَئِيبٌ مَغِيظٌ مَرِيضْ
بَعِيدًا عنِ الحُجُراتِ الّتي ... بِجُدْرانِها دُفِنَتْ سُرَّتِي
فَيا لَهْفَ قَلْبِي على أُمِّهِ ... ويَا وَيْلَهُ باتَ في هَمِّهِ
رَعى اللهُ ثَدْيًا رَوَيْتُ بِهِ ... ألَا هَلْ أعُوْدُ إلى شُرْبِهِ
فَهَيهاتَ أنّي بِذاكَ الكَثِيبْ ... وأنّى لِمِثْلِي بِنَعْلِ الحبيبْ
تعالَى عنِ الوَصْلِ سُبْحانَهُ ... ولكِنَّنِي أرْجُوا إحْسانَهُ
أُرَجِّيْهِ أنْ يَدَّلِي سَرْمَدًا ... لَأَنْصُبَ نَعْلَيْهِ لي مَسْجِدًا
أياسَيِّدِي عُدْ وَجُدْ بالمُنى ... فإنَّما نَعْلُكَ هِيَ المُنَى
سَأُوْقِفُ هَمِّي على وَصْلِها ... وأَصْلَى الصَّبابَةَ مِن أجْلِها
لِيَعْلَمَ أهْلُ الهَوَى مَا الهَوى ... ويُدْرِكُوا أنَّ هَواهُمْ هَوَى
غَرامِي صَحِيحٌ وعَزْمِي ضَعِيفْ ... على رُغْمِ ذاكَ سَأبْقَى دَنِيفْ
كَذلِكَ مَن رامَ دَرْكَ الوِّصالْ ... يَخُوضُ النِّزالَ ويأتِي المُحالْ
فَإنْ ذاقَ أهْلُ الغَرامِ الجَمَالْ ... فإنّا عَليهِ شَرِبْنا الجَلالْ
وَإنْ شَقَّ أهْلُ التَّصابِي الجُيُوبْ ... فإنّا عَليهِ نَشُقُّ القُلُوبْ
وإنْ أعْرَبُوا وَجْدَهُمْ بالكَلامْ ... فَإنَّ فَصاحَتَنا بالكِلامْ
وَصَلْنَا وَلَمْ نَكْتَفِي هِمَّةً ... شَرِبْنا ولَمْ نَشْتَفِي نَهْمَةً
عَجِيبٌ هَوانا فأقْدِسْ بِهِ ... وشِمْ مَشْرِقَ الوَجْدِ مِن غَرْبِهِ
كَذا كانَ وِجْدانُ أكْبادِنا ... فَنارَتْ بِهِ يُوحُ أَرْواحِنا

عبد النعال

أنا عَبدٌ للآلِ عَبدُ النِّعالِ ... كيفَ لا أُصبِحُ وأُمْسِي أُوالي
بعدَما صِرتُ خادِماً ومُحِبّاً ... باتَ قَدْرِي بينَ البَرِيَّةِ عالي
ذاك دِينِي ومَذْهَبي واعْتِقادي ... وكَفَرْتُ بالغَيرِ لَسْتُ أُبالي
وشَفِيعِي وعُمْدَتي ورَجائي ... فَنَجاتي بِهِ ولَوْ ساءَ حالي
وهْوَ مالي بل رَوْضَتي بلْ كَثِيبي ... مَالي مالي ولِلسِّوى بعدُ مالي
أنا حَيثُ ماكانُوا كُنتُ نِعالًا ... فَرِضائي فِيما رَضى لِي الموالي
بَدِّعُونِي أوْ كَفِّرُوني ماشِئْتُم ... حتّى لوْ لِلجَحِيمِ صارَ مآلي
قُلْ لِباغي الدَّلِيلِ ضَلْتَ سَبِيلًا ... وَجْدُنا بالأحْوالِ لا بالْمَقالِ
هذا بالشِّسْعِ كيفَ بالأقْدامِ ... حيثُ سِحْرُ الهوى وخمرُ الجَمالِ
حَيثُ مَنْهى النُّهى وعَقْلُ العَزائِم ... والبَوادِي مَتاهَةُ الأَرْسالِ
فيَا أهلَ الوَلاءِ فَخْرًا وبِشْرًا ... ظَلْتُمُ سَرْمَدًا بِعِيدِ الوِّصالِ
ويَا أهْلَ الجَفا أَعِدُّوا بَدِيلًا ... فَظِلالُ الكَثِيبِ تَحتَ النِّعالِ

التّعلوت

إستواء

جودي يا نعلَ المصطفى بالدّواسِ ... إنْ أَبَيتِ السّماحَ لي بالبَواسِ
أُحُدٌ نالَها فرجَّ هِياماً ... سِحْرُها هَزْهَزَ الجبالَ الرّواسِي
سَلْهُ يُنبِيكَ عن عَجِيبٍ غرِيبٍ ... ماالذي خامَرَ الحَصَى أيُّ كاسِ
وتَفَانَى بِعِشقِها الجِذعُ حتّى ... أنّى مِن فَرْقِها وجاءَ التَّوَاسِي
سرُّها حتّى في الجلامِدِ نافِذْ ... حُسنُها يُسْبِي سائِرَ الأجْناس
واهاً واهاً على أُولي الألبابِ ... فالجماداتُ حُجَةُ الإحساسِ
حَبذا أرْضُها الّتي قَدْ وَطَتْها ... طابَ ممشاها مِن قَذَى الأنْجاسِ
فهْيَ رَوضٌ لا بلْ كَثِيبٌ تَدَلّى ... يَنْجَلِي حينَ تَنْجَلِي كلُّ باس
وكذا حين تَسْتَوِي رَهَبُوتًا ... لاتَذَرْ ذَرَةً مِنَ الأرْجاس
فاسْتَعِذْ بالنِّعالِ مِن كلِّ غيرٍ ... والهَوى والوَسْواسِ والإلْتِباس

وتَبَصَّرْ بِهَا تَرَاهَا بُطُونًا ... سِرُّهَا غَيبُ غيبِ طَورِ الحواس
مُنتَهَى للنُّهَى فناهِيك ناهِي ... شِسْعُها أُفْقُ حضرةِ الأقداس
فابنُ مَسعودٍ نالَ مِنها السَّعادَهْ ... تِلكَ مَطْمَحُ هِمَّةُ الأكْياس
غَبَطَتْهُ عَزائِمُ المرسلينا ... نفسِي تَفْدِيهِ مِنها بالأنْفاس
أيْنَ أينَ حَمَلَةُ العَرْشِ منهُ ... فَهْوَ حامِلُ عَرشِ طهَ الرّاسي
نَحْوَها تَشْرَئِبُ أُولوا البَّصائِرْ ... وما هامَ بِها سِوَى الجُلاّس
وتَجَنَّتْ عنْ غَيرِ أهلِ الوِّدادِ ... وعنَ اهْلِ الدَّليلِ والإفْلاس
لَيتَنِي ظَهْرُها وماذا بِلَيتِ ... هذهِ مُنتَهَى مُنَى الأجْراس
رُوحِي يارُوحِي اسْتَرْوِحِي لِي وِصالَا ... واقْبِسي لِي مِن جَذْوَةِ النِّبْرَاس
فهْيَ نُسكِي وقِبلَتِي وشَهُودِي ... وهْيَ رُوحِي ومُهْجَتِي وأساسِي
وحُبُورِي وبَهْجَتِي وسُرُورِي ... ومُدامِي وسكرَتِي وهْيَ كاسِي
وهْيَ عِيدِي بَلْ جَنَّتِي بَلْ كَثِيبِي ... وغِذائِي ورِزْقِي بَلْ ولِباسي
واهِ واهِ على معانِي الغَرامِ ... مَذهَبُ العِشْقِ باءَ بالإنْدِراس
ظَلْتُ وَحْدِي أُنادِي هَلْ من مجيبِ ... لا حَياةً لِهؤُلاءِ النّاس
عِندَها قُلتُ نَفسِي صَبراً جَمِيلَا ... لَسْتُ ماعِشْتُ للنِّعالِ بِنَاسِي

خمرة النّعال

بِلَا عِذارٍ ولَا تَغَزُّلٍ أَبْتَدِي ... إنِّي مِنَ النَّعلِ في وَجْدٍ وفي كَمَدِ
إنّا مُلُوكُ الهَوى لَسْنَا نَخَفْ عَلَنًا ... وَغَيرُنَا دُونَنَا كالسُّوقَةِ الأَعْبُدِ
فالنَّعلُ قِبْلَتُنا والمنتهى والمنى ... نَفدِيها بالرُّوحِ والجاهِ وبالوَلَدِ
يالائِمِي لَسْتُ بِدْعاً في هَواها وَهَا ... هِيَ الّتِي مِن سَناها الكُتُبُ في رَغَدِ
إنَّ المحبَّةَ لو باحَتْ بِمَعْشُوقِها ... صاحَتْ واشَوقاهُ يارُّوحِي وياكَبِدِي
ياشادِي ياحادِي ياهادِي دَعُو عَنكُمُ ... فالعِشْقُ فِطْرٌ وإلّا القَلبُ في جَلَدِ
أهْلُ الهَوى في غِنًى عنْ قَيِّناتِ الغِنَى ... إنَّ الهَوى يَبْعَثُ الإنْعاشَ في الجَسَدِ
والسَّقْيُ من آلِهِ يارُوحِي رُوحِي ارْوَحِي ... فَراحُهُمُ رَوْحُنا وَجَنَّةُ الأَبَدِ
أهْلُ الوَلَا سَبَقُوا مِن بَعدِ ما ثَمِلُوا ... هذا المدامُ وهذا الزَّهْوُ لا بالدَّدِ
لَستَ تَرى في الوَلَا يُرتابُ مِنْ أَحَدِ ... إلّا ذَوُوْ البُعدِ والصَّدِّ وذُو النَّكَدِ

ولا تَرى مُذْعِنًا لِعِزِّ إنْقِتِهِ   إلّا ذَوُوْ الوِرْدِ والوُدِّ وذُو الرَّشَدِ
يا رَبِّ إنِّي أَدِينُ سَرْمَداً بالوَلَا   أَقُولُها وأنا ابنُ المصطفى أحمدِ

التّمرغ بالأعتاب

أيا مُهجة القلبِ ياسَيِّدِي   بحرمَةِ نَعْلَيكَ خُذْ بِيَدي
فإنّا عَبيدٌ وُقُوفٌ خَدَمْ   بِأعْتابِ آلِكَ لِلأَبَدِ
قَدَ اصْبَحْنا لابُدَّ مِنك لَنا   فإنْ لم تَجُدْ مَن يَجُدْ سَيِّدِي
فَرُحماكَ يا نَجْدَةَ المرْتَجِي   فَلَسْنَا بِنَلْوِي على أحَدِ
وغَوثاهُ يامُنتَهى الأمَلِ   فأنتَ لَنا غايَةُ المقْصِدي
لأنتَ لها يا مَلِيكَ الوَرَى   أيا قاسِمَ الجُودِ والمدَدِ
وياخازِنَ الفَيضِ ها إنَّنا   عَكَفْنا على بابِكَ الصَّمَدِي
نُرَجّي وِصالًا بِنَعْلِ العُلى   لِنَعْلُوا إلى البُحْبُحِ الأحَدِي
هِيَ البابُ بَلْ سِدرَةُ المنتَهى   فهَاتِيكَ لِلوَصْلِ مُعتمَدي
وتِلكَ وَسِيلَتُنا لِلأنا   ومِعراجُنا كَيْما نَتَّحِدِي
وَوِجْهَتُنا تِلكَ قِبْلَتُنا   نُصَلِّي بها عَلَّنا نَهْتَدِي
ونَشْهَدُ أنْ لاسِواها الهُدى   لِنَجْلُوا بها أَيُّما مَشْهَدِ
لَقَدْ ضَجَّتِ الرُّسلُ مِن فَوقِنا   فكيفَ بِنا نحنُ لا نَقْتَدِي
فَأقْدِس بها بَرْزَخًا واقِيًا   تُمِدُّ الوُجودَ بِلَا أَمَدِ
بِسِرِّها يَا أَمَلِي مَدَدًا   فَعَطْفَاهُ عَطْفاهُ يَا مُحْتِدِي
بِجاهِ البَتُولِ وأبْنائِها   مَنَ اضْحَى وَلاهُمُ سَنَدِي
فأرْواحُنا لِلمَوالِي فِدَا   وَبالمالِ والعِرْضِ والوَلَدِ
فيَا مولانا كُنْ لنَا راعِيًا   حَنَانِيكَ يَا فَلْذَةَ الكَبِدِ
رَجاءً رجاءً تَنَزَّلْ لَنا   وَغِثْنا بإمدادِكَ السَّرْمَدِي

غزل النّعل

سَبَتْنِي نَجْلَةُ الاعْيُنِ ودُعْجُها   لَمَّا رَمَتْنِي بِقَوسِ الصَّبِّ لَحْظَتُها
اللهُ أكبرُ ما هذا مِنَ الأثَرِ   ما هذا إلاّ سَنا الذّاتِ وزِينَتُها
تَطَوَّقَتْ حَبَّةُ الفُؤادِ وَالهَةً   مِن بَعدِ ما صَدَّتِ الهَوى صَلَابَتُها

يا لَائِمِي في الهَوى إنَّ الهَوى نُسُكِّي ... لَا قِبلَةَ لِلوِّصالِ إلّا وِجهَتُها
أَقسمْتُ بالقُبَّةِ الخضراءِ سالِبَتِي ... وبالنِّعالِ الّتِي عَزَّتْ وَجاهَتُها
وطَيبَةِ التُّربَةِ الّتِي بِهِ عَلَقَتْ ... كقابِ قوسَينِ لِلعُشّاقِ رَوْضَتُها
وماعْتَلَاهُ مِنَ الدّوابِ حِينَ استَوى ... طابَتْ بِهِ البَهَمُ بلْ وطابَتْ تُرْبَتُها
وبِهَوَا جَوِّهَا وبالجَوى في الهَوَى ... إنِّي شَغُوفٌ لِنَشْقِ النَّعلِ لَوْ نِلْتُها
يارُّوحِي طِيشِي وجِيشِي فالهَوى شَرَفٌ ... فالفَخْرُ فخْرِي والنَّعلُ قدْ تَعَشَقتُها
مَن لِي بها وبِها الأملاكُ في دَنَفِ ... فاعْجَبْ بِها زَهْرَةُ الكُتْبِ وبَهْجَتُها
أياسَمِيرَ الأنَا يارَفْرَفَ الإدِّنَا ... إجْذِبْ زِمامًا لِرُوحٍ أنتَ غايَتُها
وبعدَها رُّوحِي لَاخَوفٌ ولَاحَزَنٌ ... إنَّ الحبيبَ رَضَى والنَّعلُ قِبَلْتُها

خلع العذار

مَلَئُوني سِرًّا وقالوا تَسَتَّرْ ... وسَقَوني خَمراً وقالوا تَخَمَّرْ
قلتُ إنِّي لكم سَميعٌ مُطيعٌ ... إلّا عنْ ذِكرِكُمْ فلا أتَعَذَّرْ
قولوا إنْ شِئتُمُ عَصانا فإنِّي ... لا أرى الجَهْرَ بالأحِبَّةِ مُنْكَرْ
إنَّنِي إنْ ذَكَرْتُكم ذاك دِيني ... وأرى إنْ نَسِيتُكم أنِّي أكْفُرْ
والّذي زادَنِي هِيامًا وشَجْواً ... أنَّ وَصْلَ النِّعالِ لم يَتَيَسَّرْ
فالرَّجاءَ الرَّجاءَ عُودوا وإلّا ... فَذَرُوني بِخَمْرَتي أتَجَهَّرْ
أيَا نَعلَ الحبيبِ باللهِ جُودي ... فَفُؤادي مِنَ الصُّدُودِ تَفَطَّرْ
أيا نعلَ الحبيبِ إنِّيَ صَبٌّ ... قدْ سَباني جَمالُكِ الْمُتَبَهِّرْ
أيا نعلَ الحبيبِ رِفقًا بِقَلبي ... ضِقْتُ ذَرْعًا وطَالَمَا أَتَصَبَّرْ
أيا نعلَ الحبيبِ إنِّي عُبَيْدٌ ... ولوْ أنِّي لِقَدْرِكِ لَسْتُ أَقْدُرْ
أيا نعلَ الحبيبِ إنِّيَ أَرْضٌ ... فَطَئِيني لِكي على الكُتْبِ أَفْخَرْ
أيا نعلَ الحبيبِ مالِي سِواكِ ... فِلمن تَتْرُكِيني بَعْدَكِ أَفْقَرْ
يا نِعالٌ على العُلاَ تَتَعالى ... ذاتُ قَدْرٍ على الذُرى يَتَحَذَّرْ
يا سَماءً بلْ عَرْشًا بلْ يا نِعالًا ... كلُّ مَجْدٍ مادُونَكِ يَتَقَهْقَرْ
أَلَمْ يَكفِي بأنَّها عَرْشُ طَهَ ... حُقَّ إذْ قَدْ وَطاها أنْ تَتَكَبَّرْ
فالمُعادُونَ لوْ تَجَلَّت لَخَرُّوا ... سُجَّدًا يَجْهَرُونَ اللهُ أكْبَرْ

شدّ الرحال

قِفَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِ يُوحِ مُحيَّاها … فُطوبَى لِمَن شَدَّ الرِّحالَ فَحَيّاها
حرامٌ على ذِي الوَجْدِ ألّا يُزُورَها … فكيفَ به إنْ شامَ أو شَمَّ نَورَها
فؤادَكَ فاسْتَفتِي يُفَقِهكَ في الهوى … هُوَ القلبُ إن وَرَّدْتَهُ وارتَوى رَوَى
أيا قلبُ أسْتفتِيكَ في الحُبِّ فُتْيَةً … لعلي أستَهدي فَمِن خَلفِي فِتْيَةً
إذا لَيلَةٌ غابتْ نُجُومُ وِصالِها … ألَا يَكْتَفِي مَجْنُونُها بِنِعالِها
ألا إنّها لَيلى وَهَا أنَا قَيْسُها … ولَوْ أنَّها جَلَّتْ تَعَزَّزَ قَيْسُها
فيالُبِّي لَبِّي قَلْبِي فيمَا يَقُولُهُ … فَلِلْوَجْدِ طَوْلٌ لا يُصارَعُ صَوْلُهُ
وياروحي رُوحي عِندَها واشْتَكي لَها … وإيّاكِ لا تبْقي كَمَن عَنها قَدْ لَها
ويا نفَسَ النَّفْسِ الزَّكِيَّة بالهَوى … تَنَفَّحْ ولا تَقْضِي الهَوَى مَعَ مَن هَوَى
سُجُودًا لَها لَا تَنْكِفي يَاجَوارِحي … فإنّ الجَوى الفَتّاك بَينَ جَوانِحي
وقُولُوا لَها جَمْعًا حَنَانَيكِ يا نَعْلُ … فَنحْنُ عَبِيدٌ نَنْحُوا نَحْوَكِ كَي نَعْلُوا
ألَا فاشْهَدُوا أنَّ النِّعالَ هي الأكْبَرْ … فَمَنْ شاءَ فَليُؤمِنْ ومَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ

رحماك

قلبي جوى لما النّعالُ تبرقعت … وَيحي ورُوحي بالصّدودِ تَصدّعَتْ
ذاكم جزائي إنّما أنا عبدُها … حيثُ البلايا للمحبين سارَعت
قولُوا لها رِفقا بذيّاكِ الفتى … قد قلتُ رُحماكِ بنا فَترفّعت
قالتْ وطالتْ مِثلُنا ليس يُعشَقُ … هِمَمُ العُلى هَمَّتْ بنا فَتَضَعْضَعَت
إذْهَب واِعْشقْ مَن يُسامِيك يافتى … لم أرْضى حتّى بالوَحى إذْ تَولّعَت
قولُوا لها حَقّا ولكن تَنزّلي … حَسنٌ لِمثلِك أنْ يُقال تَواضَعَت
قالت لكَ البُشرى ياخادَمَ شِسْعِنا … قُلْها هَا نَعْلُ المصطفى قد تَشَعْشَعَت

سلاما

أيّها العاذلُ الجهولُ سَلامًا … إنَّ لَثْمَ النّعالِ كانَ لِزاما
سِيّمَا إن تَوارى عنّي المحيّا … فتَجرَّعتُ مِن جَواهُ سِقاما

ويكأنّك لَم تَذُقْ وِجْدانا ... ولَا ذُقتَ بعدَ الوِّصالِ فِطاما
إنّه الحبُّ في الفؤادِ سَعيرٌ ... فالوصالُ والآكان غَراما
هو نَعْلُ مَن نَعْلُ مَن يَتَعالى ... شِسْعهُ فوقَ كلِّ مَجْدٍ مَقاما
ذاك شِسْعُ مَن شِسْعُ مَن يتَرامى ... دُونَ أعتابِهِ العُرُوش هِيّاما
إنّ في ذلك لِذِكرى لِمن با ... تُوا مِنَ العِشْقِ سُجَّدًا وقِيّاما

الشراب

أُشرِبَ القلبُ نِعالَ المصطفى ... فغدا في الوَجدِ يَشْجُوا دَنَفا
شَربةٌ لولا مُدارتِ القَضا ... لَصرفتُ الدّهرَ تِيهًا في الفَضا
يا خليلِي خَلِّياني والهوى ... فإذا حَلَّ الهوى يَحْلُو الجَوى
إسْقِيني كأسًا دِهاقا يافَتى ... فَإلَمَ وغَرامِي قَدْ عَتى
أنَامَا هِمْتُ بِنَعلٍ إنَّما ... أهْوى أنْوارًا عَلَتْها قَدَما
والذي قَدْ شَقَّ أصْلابَ النّوى ... أنَّ قلبِي قَدْ تَشَقّى بالنّوى
لَيتَ وَيلُ الوَجْدِ عنّي وَكفا ... أوْيَحُلْ قَلْبِي حَدِيدًا وَكَفا

همتي

هِمّتي النّعلُ غايتي أن أراها ... طالَما تِهْتُ والهَا بِهواها
ضلَّ قَصْدِي ولَمّا ألْفَى خبيرًا ... يَهدي وَجْدِي الّذي عنِ الوَصلِ تاها
علّني إنْ آنستُ ليلًا سَناها ... أَلْثُمُ الحسنَ كُلَّهُ في ثَراها
حضرةُ الحسنِ حَظْرَةُ الإحسانِ ... لستُ أرجُوا مِن الهُدى إلّاها
أرْتَجِي أنْ أراها في شَرابا ... أرْوَى مِن رِيقِها وألثُم فاها
أو أراها على فؤادي غِشاءً ... لأعانِقَها وأنسى سِواها
أو أرَى طَيفَها يَطُوفُ مَنامَا ... كي أُداعِبَ بارقاتِ سَناها
ذاك حالُ الذي هَوى بالمعالي ... يَقْطَعُ الدّهرَ والهَا أوّاها
آيةُ العِزِّ سَلَبَتْني فُؤادي ... مُذْ تَلاها بِوَجدِهِ ما تَلاها
قَصَدَ الشُّربَ حيثُ صِرفُ الكؤُوسِ ... حيثُ أنّ الأرسالَ تَرجُوا شِفاها
قيلَ هَيهاتَ قِفْ ولا تَتَخَطّى ... بعدَ أنْ يَصْدُرَ الوَحى سَتراها
أنّي والعزمُ لا يَزالُ وَرِيدًا ... ومَجالِي الجَمالِ لا تَتَناهى

قلتُ قولوا وصالُها مُستحيلٌ   تَطْرُدُوني ومن أنا لولاها
فلَعَمْري لن أبْرَحَ الباب وَقْفًا   لِأَراها أو لأرى مَن يَراها
مالكم مالكم دَعُوني دعوني   هِيَ مولاتي وأنا مَولاها
هي عَيني ومُهجتي وحياتي   هي أصلي الذي به أتباها
عَطِّفُوها قولُوا لها رُحماكِ   هذا إبْنُكِ بالغَرام تَناها
مالهُ غيرُكِ فلا تَنْسيهِ   آهِ آهِ يا أمِّي واهَا واهَا

نافلتي

إذا نَظرتْ عيني وُجُوهَ حبائبي   فتلكَ صلاتي في اللّيالي الرّغائِبِ
وإنْ يَتَوارى عن عَياني مُحيّاهُم   فإنَّ جمالَ النَّعلِ ليس بِغاربِ
هوَ القلبُ بالآثارِ يَرْوَى تَعَلُّلًا   ومَن لَم يَرى عَيْنَنا بِهِمْ بالحواجِبِ
فَطُوبى لِمن شامَ النّعالَ وشَمَّها   ألا إنّها مِن سرِّ سرِّ المواهب
وهيهاتَ ما وَصلُ النّعالِ بِهَيِّنٍ   ولكنّها مِن غيبِ غيبِ الغياهِب
فدُونَكَ يا راجي المعارِجِ بابَها   هنالِك تَرْوى مِن مَعِينِ المشارِب
توَجَّهْ وهِمْ واهْوى وتِهْ وتَوَلَّهِ   فإنَّ غُبارَ النّعلِ سِرُّ العجائِب
فُؤادي تَيَمَّمْ شَطْرَها وتَمَرَّغِ   وكابِدْ وجاهِدْ فيها كَيْدَ الأجانِب
ورابِطْ على الأعتابِ دَهْرَك ساجِدًا   تَنَلْ كلَّ ما قَدْ حازَ أهلُ المراتب
وَوَقِّفْ لها أنفاسَ رُوحِكَ سَرمَدًا   وكُنْ دُونَها أرْضًا تَكُنْ كالمُصاحِب
فقدْ قال غَوثُ الكلِّ قُدِّسَ شِسْعُهُ   حقيقةَ وَصْلٍ في نِعالِ الحبائِب
ومَن لم يُوَفِ الحبَّ ما يَستَحِقُّهُ   فذاك الذي لم يأتِ قَطُّ بِواجِب

فيوض الوجدان

هَذِهِ النّعلُ أينَ خِلْعَةُ يُوسُفْ   فَفُؤادٌ لَمْ يَنْتَشِقِ الرِّيحَ يُوسِفْ
يُوسُفُ الحسنِ هامَ فِيها فَتاها   وزُلَيْخا بِها تَناسَتْ فَتاها
هذِهِ الخِلُّ لاحبيبَ سِوَاها   جَلَّ مَن بالأقْدامِ قَدْ سَوَّاها

سِرُّهـا قـدْ سَرى في سُـورةِ طـهَ ... فَتَبَصَّرْ بِـأمْرِ ياطـهَ طـهَ
وَتَحَـيَّرْ بِسِـرِّ سِرِّ عَمَاهـا ... رامَـتِ الرُّسـلُ دَرْكَـهُ فَعَمَاهـا
أَوْجَـهُ المَجـدِ دُونَهـا تَتَـوارى ... فاقْـدِسْ بالّـتِي في الأَنا تَتَـوارى
دُونَهـا أَذْرُعُ الجَـلالِ شَـواكِي ... وصَـياصِيْ المعـالِي منهـا شَـوَاكِي
قَـدرُها في العُـلى مُطَلْسَمُ سـامِي ... لا سَمِيًّـا ولا قَرِينًـا مُسـامِي
دُونَـك الأُفْـقَ عَنهـا باحِـثْ وسـائِلْ ... كم تَبَتَّـتْ عَـزائِمٌ وَوَسـائِلْ
بَـدْءُها لا يُـرَجَّى بالجِـدِّ كَلَّا ... حـتَّى لـوْ كَلَّ مـنكُمُ الجُهـدُ كَلَّا
باتَـتِ الـرُّوحُ أُمَّهـا و أَبَاهـا ... فعَلَيـهِ اللَّعنـةُ مَـن قـدْ أَبَاهـا
هِيَّ بُحْبُوحُـةُ النَّفـائِحِ فـاتِي ... إِذْ نَـداها مِـن فَيْضَـةِ الكُتْـبِ فـاتِي
لَـمْ يَـزَلْ بَعْثُهـا مابَيْنَنَـا وَحْيَـا ... فـافْنَى فِيهـا يامَيِّـتَ القَلْـبَ وَاحْيَـا
فـالفُيُوضُ مِـنَ الأَنا تاتِيهـا ... حـتّى عَـزَّتْ عـنِ البَرِيَّـةِ تِيهـا
نُورُهـا يَـنْجَلِي بَدِيهَـةَ بادِي ... وهْـوَ حـتّى للأَجْلَـفِ البَـادِي بادِي
غَيْثُهـا سَرْمَـدٌ مَـدى الدَّهْـرِ نادِي ... فاسْـتَقِي واسْـتَغِثْ جِهـارًا ونادِي

***

ياسَمِـيرَ المـديحِ ماشِـئتَ فـاطْرِي ... طـالَ صَـوْمِي عَنهـا وقـدْ حـانَ فِطْـرِي
ويَا سـاقِي الحُمَيَّـا في حُـبِّ هـاتِي ... قَـدْ تَفـانَى الغَـرامُ فِيهـا فَهَـاتِي
أَبْلِـجِ السَّـقِيَ بالهَـوَى أَوْ دَاجِي ... لا أُبالِي أن يقْطَعُـوا أَوْدَاجِي
كيـفَ لا أُفْـنِي في الهَـوى أَحْيـانِي ... وسَـنَاها مِـنَ الدُّنا أَحْيَـانِي
فَهْـيَ في الدِّيـنِ والدُّنا رَأْسُ مَـالِي ... مَـالِنُورِ العُـلى سِـواها ومَـالِي
وَهْيَ نُـورُ بَصِـيرَتِي و عُـرُوجِي ... وشِـفائِي مِـن غَشْـوَتِي وعُـرُوجِي
وَهْيَ كُتْـبٌ مِـنَ الأَئِمَّـةِ تُبْنـا ... وَهْيَ عَـيْنٌ بِهـا مِـنَ الغَـينِ تُبْنـا
وَهْيَ بَسْـطُ الرّبِيـعِ بَـلْ هِيَ خَمْـرِي ... أَحْتَسِـيها لِكَشْـفِ غَمْـرَةِ خَمْـرِي
وهْيَ في غَمْـرَةِ الحَضِـيضِ بِسـاطِي ... إِنْ تَجَلَّـتْ فمـا الجَـلالُ بِسَـاطِي
وَهْيَ إِنْ شِمْـتُ ضَـوءُ عَيـنِي ونُـورِي ... أَوْ شَمَمْـتُ فَـرَوحُ رُوحِي ونَـورِي
وهْيَ رُوحِي ورَاحِـتِي وبِـراحِي ... وسِـواها في الأُنـسِ لـيسَ بِـراحِي
وهْيَ حـتّى في جُمْعَـةِ القُـدْسِ كاسِي ... فَهَواهـا وإِلّا لَسـتُ بِـكاسِي
وَهْيَ سِـتْرِي وكُسْـوَتِي ولِبَـاسِي ... لِشَـقَائِي وَ بَلْـوَتِي وَلِبَـاسِي

لأرَى الفَتْحَ عِندَها في فَنَائِي   تِلْكُمُ قُرْبَتِي و إلّا فَنَائِي
نَفَسُ النَّفْسِ مِن يَمِينِها جاهَا   فاتَّخَذْتُ مِن وَجْهِها لَها جَاهَا
زَهَّدَتْنِي بِها في كُلِّ الأَماني   يَكْفِي أَنِّي ضَمِنْتُ مِنها أَماني

***

ظَلتُ مِن شَوقٍ وَصْلِ هَذِهِ هاذِي   كُلَّما شِمْتُ مِثلَها قُلتُ هذِي
قَدْ تَفانَى مِن فَرْطِ عِشْقِها بَيْني   لِاتِّحادِ ما بَيْنَها وما بَيْني
ولُبابِي ياوَيْحَهُ قدْ تَجَنَّا   كُلَّما قُلتُ كِدْتُ وَصْلًا تَجَنَّا
صِرْتُ بعدَ الفِطامِ عَنها نَدِيماً   أَتَذَاكَرُ يومَ كنتُ نَدِيماً
رُوحي رُوحِي اشْغَفِي بِها فالمُنَى هِي   واعْصِي فِيها قَولَ النُّهَى والمَناهِي
رُوحِي حَيَّ عَلى مُحيّاها فَاجْرِي   فَسَناها مِنَ الغَشَاوَةِ فَجْرِي
رُوحِي فاسْتَنْشِقِي كَي يَزُولَ صَداكِ   واشْتَفِي بِغُبارِها مِن صَداكِ
رُوحِي هيّا عُجِّي وثُجِّي وبُوسِي   طِيبَ آثارِها لِيَنْجَلِي بُوسي
ثُمّ قُولِي يَا مَرْكَبَ القُدُّوسِ   قَسَمًا بالّذي تَمَطَّاكِ دُوسِي
ذَكَرُوا الخَصفَ وَيْحَ رُوحِي فَهِمْتُ   لَيْتَهُمْ سَلَّمُوا لِمَا قَدْ فَهِمْتُ
بِتُّ طُولَ اللّيالِي ناعِي وداعِي   وأَرَى بالنَّوى يَحِينُ وَداعِي
فتَكَتَّمْتُ والعُذُولُ سَوائِلْ   لَمّا شامُوا الدُّمُوعَ مِنّي سَوائِلْ
حَيثُ خَدَّتْ دُمُوعِي بالخَدِّ خَدّا   حتّى جاءَ التَّواسِي خَدًّا خَدّا
حُقَّ ياحُجْبِي بالجَوى أن تَشِيبِي   تِلكَ حُجْبِي صارَت رَقِيباً تَشِي بِي

***

عَاذِلِي عُذْنِي مِن سَفاهِةِ فِيكا   أنتَ لَمْ تُضرَمِ الصَّبابَةُ فِيكا
لا تَلُمْنِي فِي عِشْقِها فالدَّوَا هِي   مِن صُرُوفِ السِّوى وخَطْبِ الدَّواهِي
تِلْكَ إنْ صُمْتُ عنْ سِواها فَلاحِي   وكَمَا شِئْتَ بَعدَ ذاك فَلاحِي
لَسْتُ أَرْضَى مِن دُونِها بالجَوارِي   مَا الرِّيّاضُ وما الحِيّاضُ الجَوارِي
فبَدائِلُ حُسنِها لَسْتُ أُلْفِى   ولا أَرْضَى مِنَ الفرادِيسِ أَلْفَا
إنْ رَجَا غيرِيَ الجِنانَ البَواهِي   فَنِعالُ الحبيبِ نِعْمَ البَوا هِي
نفْسِي كُفِّي فَيَكْفِي ماتَهْذِي بِي   تِلكَ رُوحٌ سَعَتْ إلى تَهْذِيبِي
مَن تَرَيْنَ بَدِيلَها في سَناها   وفي أبْراجِ سِرِّها وسَناها
لُبِّي إن هَتَفَ السِّوى بالنَّوَى صِحْ   كَمْ وَكَمْ قُلْتُ لَا تُلَبِّي النَّوَاصِحْ

فَيَـــا أَبْصَـــارِي رَيْ بِهَـــا ويا أَسْمَـــا عِـــي عِـــي أَنَّ المُقَـــامَ تَحْتَهَـــا أَسْمَـــا

***

أَأَلامُ عَـــلى هَوَاهَـــا يَاقَـــوْمِي وَهْيَ سِرُّ التُّقَـــى بِصَـــوْمِي وَقَـــوْمِي
أَوْثُـــرانِيَ أَسْـــلُوا عَنهَـــا يَابَابَا وهْيَ ظَلَّـــتْ إلى المعَـــارِجِ بَابَا
حَـــتَّى أَنـــتِ تُـــومِي بِلَـــومِي يَاأُمِّـــي فَـــدَعِي وادْعِـــي بالنِّعَـــالِ وأُمِّـــي
أَتُرِكُـــونِي فِـــتِلكَ بَابُ يَسَـــارِي مُنـــذُ مَـــيَّزْتُ يُمْنَـــتِي مِـــن يَسَـــارِي
يَكفِـــي مَـــا تُنكِـــرُونَ عَـــنِّي يَا نَاسِي إِنِّي لَسْـــتُ لِعَهْـــدِ أُنْـــسِي بِنَـــاسِي
هَـــبْ يَا صَـــاحِ أَنِّي قَلَوتُهَـــا أَوْ هَـــبْ لَهَـــا مِـــثْلَا تَـــرَى مِثَالَهَـــا أَوْهَـــبْ
أَوْهَـــبْ أَنِّي رَضَـــعْتُ منهَـــا يَاعَـــاقِ أَفَـــأَبْقَى لأُمِّـــي مِـــثْلَكَ عَـــاقِ
يَاخَلِـــيلَيَّ دُونَـــكُم نَاظِرَاهَـــا قَـــد سَـــبَى لُـــبِّي لَوْعَـــةٌ نَاظِرَاهَـــا
تَكْشِـــفَا سِرَّ حُســـنِهَا الـــلَّذْ دَعَـــانِي فَاعْلَقَـــا تَفْقَهَـــا وإِلَّا دَعَـــانِي
قَـــدْ عَمَـــى قَلْـــبِي بِالغَـــرَامِ يَاعَمِّـــي مَـــارِي مَاشِـــئْتَ فِي الدَّلِيـــلِ وعَمِّـــي
لَـــيسَ يَهْـــدِي الدَّلِيـــلُ والقَلْـــبُ خَـــالِي إِرْوَى بِالوَجْـــدِ أَوَّلًا يَا ابْـــنَ خَـــالِي
تِـــلكَ بَحْـــرٌ هَـــلُمَّ كَيْ تَتَـــيَمَّمْ طَـــالَمَا أَنـــتَ بِالـــثَّرَى تَتَـــيَمَّمْ
دُونَـــكُمْ إِرْحَمُـــونِي يَا أَعْيَـــانِي زَمْهَرِيـــرُ الرَّسِـــيسِ قَـــدْ أَعْيَـــانِي
صُمَّـــتْ آذانِي إِذْ صَـــدَى آذانِي فَـــلَا لَـــوْمٌ عَـــلى الَّذِي آذانِي
تُبَطِّـــونِي عَنهَـــا ومَـــا أَنَا ثَانِي يَا.. يَا.. يَا.. هَـــلْ تَـــرَى لِحُســـنِهَا ثَانِي
صَـــابِرْ يَا ذَا الأَشْـــوَاقِ أَهْـــلَكَ أَهْـــلَكْ لَا تُـــوالِي فَـــإِنَّ أَهْـــلَكَ أَهْـــلَكْ

***

لَا تُعَنِّفْـــنِي بِالهِجَـــارِ يَاجَـــارِي إِنَّ ذِكْـــرِي لهَـــا بِالهَجَّـــارِ جَـــارِي
قَـــدْ سَـــبَانِي غَرامُهَـــا فَهَـــدَانِي لِلعُـــلَى أَرْتَقِـــي صِـــوانِهِ دَانِي
مَحتِـــدِي هَـــذِهِ وأُسُّ بِنَـــائِي لَسْـــتُ عَنهَـــا مَـــدَى الدُّهُـــورِ بِنَـــائِي
أَنا مَاعِشْـــتُ عنهَـــا لَسْـــتُ بِـــلَاهِي وأَرَى الفَـــوتَ أَنْ أَعِـــيشَ بِـــلَا هِي
حَيَّهَـــلَّ يَا مُـــذْنَفاً سَـــلْ سَـــبِيلًا تَشْرَـــبِ الـــكَأْسَ صَـــافِياً سَلْسَـــبِيلا
لَـــيسَ إِلَّاهَـــا يَاشَـــغِيفُ الدَّوَا عِـــي فَهَـــلُمَّ لَا تَكْـــتَرِثْ بِالدَّوَاعِـــي
حُســـنُهَا أَعْجَـــبْ بِـــهِ كَسِـــحْرٍ ورَاقِي رَوْضُ أُنـــسٍ عَـــنِ الفَـــرادِيسِ رَاقِي
أَنـــتَ يَامَـــن فَنَيْـــتَ فِيهَـــا بِلَاهُـــو تِ الـــشِّرَاكِ وكَيـــفَ أَنـــتَ بِـــلَا هُـــوْ
عَجَبَـــاً يَاشِرَاكُ مَـــا أَوْحَـــاكَ ضَـــلَّ مَـــن قَـــدْ بَارَاكُمْ أَوْ حَـــاكَ

عَجِزَ الكُلُّ أن يُجارُوا كَمالَكْ فَمَا لِلْعَزْمِ مِنْ سُمُوِ كَمالَكْ

***

قُلْ لِذاكَ السَّفِيهِ مَن قدْ نَفى ذِي … هِيَ بابِي إلى العُلى ونَفاذِي
وهي تاجِي الذي بهِ عَزَّ شانِي … وشِهابِي على عَدُوِّي وشَانِي
حُجَّتِي اليَومَ في اختِلافِ الدِّينِ … وغَدًا حُجَّتِي بِيَومِ الدِّينِ
آيةٌ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ تَلَاها … فما مَن حَبَّها كَمَن قَدْ تَلَاهَا
نَصَبَتْ لِهُدى الورى مِنْهَاجا … أَيُّما سِرٍّ إدَّلى مِنهَا جَا
خَمْرُها للوِصالِ حادِي وهادِي … ظَلَّ مِنها الفُؤادُ شادِي وهادِي
يا رِيَاحَ الصَّبَا أَرِيجِي هَواها … كَيما أَنْفِي هَوَى السِّوَى بِهَواها
عِزَّتِي وَصْلُها وفَضْلِي هَوانِي … حتّى لَوْ هِمْتُ بالعُلى وهَوانِي
وأرى الكُفرَ والغَوَى في بِعادِي … إنّ بُعدَ الحبيبِ لَيسَ بِعادِي

***

قالوا يا ذا ماهذِهِ إلّا نَعْلُ … قُلْتُ مِعراجُنا الّتِي بِها نَعْلُوا
منْ عَلَتْ بالأَقدامِ بَلْ والأيادِي … فَهْيَ ذاتُ الإقدامِ ذاتُ الأيادِي
بادِ بادٍ مِنْ تُرْبَةِ الشِّسْعِ نَعْيَا … مَن تَجَرَّأَ دُونَهُ انْعِهِ نَعْيَا
حَولَها مِن سَنَا القَداسَةِ هالَهْ … لا يَراهُ ذُو عِزَّةٍ إلّا هالَهْ
أَيْنَ بَطْشُ الكَلِيمِ أَيْنَ عَصاهُ … فَهْيَ سَطْوُ السَّعِيرِ إنْ قَدْ عَصاهُ
عِزُّ ذاتِ الجَلالِ والعَزْمِ سَلْ عَنْ … مَجْدِهَا الهَا وَلَا تَسَلْ عَنْها سَلْعاً
فَهْيَ لَيْسَتْ مِنَ البَرَايا ياصاحِي … فَتَفَطَّنْ لِلْعَرْجِ إنْ كنتَ صاحِي
لا تَقِيسُوها بالسِّوى ياسَواهِي … قَطُ لَيْسَتْ مَعَ سِواهَا سَوَا هِي
ذِهِ فِي أَوْجَةِ المَواطِئِ دُنْيا … تَتَسامَى عَنِ الحَياةِ الدُّنيا
فالعُلى في ماهِيَّةِ النَّعلِ لاحَتْ … لَمّا أنوارُها السَّنِيَّةُ لاَحَتْ
قِيلَ لي يا خَلِيلَها ما هِيَّ … أيَا مَن لَهَا مَا لَها ماهِيَّه
لَا تَقُلْ مَا لها وقُلْ مَن هِيَّا … هِيَّ مَن ظَلْتَ دُونَها مَنْهِيَّا
فالأعادِي ولَوْ تَرَوَّوْا حَدِيثًا … لا يَكادُون يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

***

أنا نَعْلُ المعالِي هَلْ مِن مُجارِي … أنا بِنْتُ الأَنا والمُنتَهَى جَارِي
أنا أُمُّ الأسْرارِ والوحيُ يُوحِي … أنا حُجْبُ السُّبّوحِ والوَحَى يُوحِي

أنا مَن مِن أنْوارِهِ قَدْ بَناني ... فَمَا عَدْنٌ مِن سَاحِراتِ بَناني
أنا مِعراجُ نَزْلَةِ الأَبْدان ... لَيسَ يَدْرِيني غَيرُ مَن أَبْدَاني
أنا دَرْجٌ إلى الرَّفِيقِ الفَسِيح ... هَيَّا يا مُمْكِنَاتُ فِينَا فِسِيْحي
أنا بابٌ وبَرزَخٌ لله ... جِئْتُ ذِكراً مُنَبِّها لِلاَّهي
كُلَّ حِينٍ تَرى لَنا أَلْفَ رَاجِ ... يَهْتِفُونَ بِنا الفَراجِ الفَراجِ

***

كُنْهُهَا اقْدِسْ بِهِ تَبَجَّتَ كُنهَا ... فافْنى في الشِسْعِ وابْقَى حتّى تَكُنهَا
مُسْتَواها عَلَا على كلِّ حَيِّ ... وهَواها نَهَى نُهَى أيِّ حَيِّ
دُونَهَا مَضْعَدٌ كَؤُودٌ ومَهْمَهْ ... فَحَذارِي والخَوضَ يا عَزْمِي مَهْ مَهْ
قَمْقَمٌ طَمْطَمٌ مُطَلْسَمُ دَاجِ ... عَزَّ دَرْكاً عَن كُلِّ حابٍ ودَاجِ
بَطْنُهَا مُعْجِزٌ و بَلْ في الظُّهورِ ... حتّى إنَّ في النَّزلِ قَصْمُ الظُّهورِ
بُشْرى مَن شامَ وَطْئَها أوْ زارَهْ ... كيما يَمْحُو مِنَ النَّوَى أوْزارَهْ
فَهْيَ كالمُنْتَهَى تَظَلُّ جَلالَهْ ... مَن تَيَمَّمَ المجلى مِنها جَلَى لَهْ
صاحِبُ الوَجْدِ وَجْدُهُ قد زَوَى لَهْ ... أمّا ذُو الصَّدِّ فَلْيُراقِبْ زَوالَهْ
إنَّ ذا الوَصْلِ ناجِيٌ لا مَحَالَه ... فيا سَوْءَةَ حَالِ مَنْ لَامَ حَالَهْ
هَيَّا يَا قَلْبُ سِرْ إِلَيها وعادِي ... فانْجِذابُ الهَوى إلى الوَصْلِ عادِي
ولَئِن هِيَ خَيَّرَتْكَ البَوَا رِقْ ... فَمِنَ القُرْبِ قَدْ تُشَامُ البَوارِقْ
بِتْ سَمِيراً لَها يا وَجْدِي وناجي ... لَحْظَةُ نَظْرَةٌ فَقَطْ وانْتَ ناجي
طَيْبَةٌ حَبَّذَا إِلَيها أسيرُ ... لَيْتَ لَكِنَّني وَثِيقٌ أَسِيرُ

***

مَرحَبًا بالنّعالِ أهْلًا وسَهلًا ... لَيْتَنِي لِلوُطْئانِ أهْلًا وسَهْلًا
لَيتَها تَسْتَوِي على سَطْحِ رَاسِي ... كيما أفْنى فأبْقى في الحُبِّ راسِي
جُودِي يا نَعلُ بالوِّصالِ وَعِيدِي ... فهْوَ مَنْجاتِي مِن وَعِيدِي وَعِيدِي
وارحَمِي قَلْبًا طَالَمَا قَدْ نَواكِ ... واصْرِفِي عَنهُ صَارِفاتِ النَّواكِي
يارَوَاحِي قَدْ طَالَ فِيكِ نَوَاحِي ... فَصِياحِي يَسِيحُ كلَّ النَّوَاحِي
هذا فَقْرِي أتاكِ يَرجُوكِ فَاقْرِي ... وسَلامِي إلى الأحِبَّةِ فَاقْرِي
رُوحِي يَغْشَاكُمْ وَجِسْمِي بِدَارِي ... كَلّا بَلْ أنْتِ فِي وَلَسْتُ بِدَارِي
ضِقْتُ ذَرْعًا مِنَ الجَوى والصَّبابَهْ ... فالرَّجاءُ اسْقِني ولَوْ بالصُّبابَهْ

كُنتُ وَحْدِي واليّومَ صِرْنا فَرِيقًا ... فهَرِيقِي خَمْراً وإلّا فَرِيقًا
إنَّنا ما بقِينا نَرجُو السَّنا بِكْ ... فانْظُرِي نَقْتَبِسْ مَنارَ السَّنابِكْ
آهِ آهِ يَلَا جَوَى مَسَّنَا بِكْ ... وَيَحْتاهُ مَن يَحْتَمِل مَسَّ نابِكْ
رُغْمَ مَا مَسَّنَا فَمَا أَحْلَاكِ ... وما أَغْلَاكِ يَا سَنَا الأَحْلَاكِ
لا نَعُدُّ الفِرَاقَ إلّا مُصِيبَهْ ... والبَلَايَا إنْ تَرْضِي لَيْسَتْ مُصِيْبَهْ
فاعْصِمِي حِبَّكِ إذا الغَارُ غارُوا ... فالعِدا إنْ ذَكَرْتُ حُبَّكِ غارُوا
طَالَ هَجْرِي إلى مَتَى أنا أَجْرِي ... فالرَّجاءَ لا تَجْعَلِي زَجْرِي أَجْرِي
أنا مَن خَطّ الإسْمُ في لُبِّ قَلْبِهْ ... أخشى أن يَنْجَلِي عَلَيَّ بِقَلْبِهْ
فَعَلَامَ هَجَرْتُمُونِي عَلَامَا ... وَذَا وِجْدانِي في الغِرام عَلَامَهْ
يا عَوارِي ياعَيْبَتِي وياعارِي ... إنْ بَقَى قَلْبِي دُونَ وَجْدَكِ عاري
إقْذِفِينِي بما تَشَيْ مِن فَواتِك ... وَأَعِيْذِينِي مِن جَحِيمِ فَواتِك
فَمَدى الدَّهرِ لَستُ أَرْجُو سِواكِ ... حتّى لَستُ أَقُولُ هذا سِواكِ
لَستُ أدْعُوهُ إلّا عُودَ الأراكِ ... مُتَفائِلًا عَلَّنِي أنْ أَراكِ
أَرْتَجِي أنْ أراكِ في اليَومِ أَوْغَدْ ... يَومَ لا يُثْنِينِي عنِ الوَّصلِ أَوْغَدْ

***

دَعْنِي في فُصْحَةِ الهَوى ياخَلِيلِي ... مِن مَقُولِ ابْنِ مالِكِ والخَلِيلِ
نَحَتَتْ رَمْزَةُ العُرُوبَةِ نَحْوِي ... فَنَحَتْ زُمْرَةُ الفَّصاحَةِ نَحْوِي
قَدْ شَطَحْتُ لَمّا سَقَتْنِي عَجُوزاً ... فانْثَنَى الكُلُّ دُونَ بَطْشِي عَجُوزًا
هذا عِقْدُ الأسرارِ مِن نُّظْمِ شَوْقِي ... أَيْنَ مِن سِحْرِ حُسنِهِ نَظْمُ شَوقِي
أَيْنَ منهُ الجَرِيرُ والمُتَنَبِّي ... وهْوَ مِن وَحْيِّ شِشْعِها مُتَنَبِّي
أَيْنَ مِنهُ البَدِيعُ أَيْنَ الحريري ... هذا نَسْجُ الأنوارِ لا بالحريري
رَوْضَةٌ لَوْ رَآها إبنُ المَقَرِّي ... طاشَ لُبًّا وقالَ هذا مَقَرِّي
هَاكَ ياابْنَ السُّكَيتِ كاسَ الكُمَيتِ ... هاهوَ الشِّعرُ لا شُعورُ الكُمَيتِ
رُغْمَ ما قالَ النَّوَوِي والمُناوِي ... لَن تَرى لِلعِرفانِ هَذا مُناوِي
أهْلَ جِنسِي اجْنِسُوا على مِنْوالِي ... فكَأَيِّن بها إرْتَقَى مِن وَالِي
لَيسَ غَزْلًا لَا .. لَا .. ولَيسَ نَسِيبًا ... هذا سِرٌّ بِهِ غَدَوتُ نَسِيبًا
أَبَداً ما أنا بِجِدّي وجَدِّي ... إنّما نِلْتُ ذا بِإمْدادِ جَدِّي

وَما فَخْرِي بِفُصْحَتِي والبَلَاغَهْ ... بَلْ بسرّي الّذي حَمَلَتْ بَلَاغَهْ
بِلِسانِ الوَّلاءِ لَا الأَجْرُومِيَّه ... فاحْذُوا نَعْلِي يُوتَكُمُ الأَجْرُ مِيَّه
خَلِّ خِلِّ الهِجا فَكَم مِن هاجِي ... هاجَ مِن قَبْلِ أن يَعِي مِنهاجِي

***

لَيْتَ شِعرِي ما شِعرِي فالخَنسَاءُ ... دُونَ وَصْفِ شِراكِها خَنْسَاءُ
وارْعَوى دُونَ حُسنِها حَسَّانُ ... فاقْدِسْ وانْقَشْ بمَن لها حَسَّانُ
كَعْبُ كَعْبٍ ورَاحَةُ بنُ رَوَاحَهْ ... بَلْ بها رُوحُ القُدْسِ حازَ رَواحَهْ
طِشْ يا شَاعِ بِشَعْشَعانِها واخْفَشْ ... واعْشَى ياأَعْشَى واتَهِي أيَا أَخْفَشْ
كُنْ أَدِيبًا مُؤَدَّبًا يَالِسَانِي ... لاتَجُدْ بالمَدِيحِ إلّا لِسَانِي
هذا مَدْحُ النِّعالِ لِلوَصلِ قَرْضِي ... وذا عِرضِي مِن قبلِ عَرْضِي وقَرْضِي
أينَ مِنها عِيِّيْ وأينَ بَذاتِي ... لَولَا ما مِنها قدْ تَجَلّى بِذاتِي
لَوْ تَوارَتْ لَمَا نَطَقْتُ بِحَرفِ ... مِن مَعانِي الهَوى وظَلْتُ فِي حَرْفِ
لَذَّ لِي الخَمْرُ فِي الهَوى وحَلَالِي ... دَعْكَ يا قَيسُ واسْتَقِي مِن حَلالِي
هاهُوَ الفَتْحُ مِن غُبارِها جَانِي ... رغْمَ أَنِّي بَينَ الخَلِيقَةِ جانِي
قَد تَركْتُ المعالِي جَمْعًا ورَائِي ... وخَلَوتُ بِها كَلِيمًا ورَائِي
فَثَراها الثَّرا وإلّا لا أَرْضَى ... سوفَ أَبقَى ما عِشْتُ لِلنَّعْلِ أَرْضا

إنتهت

وانعلاه

إن تَعْجَبُوا فَعَجَبٌ بَقائِي ... بَعدَ لِثامِ النَّعْلِ لا فَنائِي
قَلْبِي الّذي يابَى سِوى الرّضاعَهْ ... لا يَرضى بالفِطامِ والمَجاعَهْ
مالِي بِهِ فَجُوعُهُ خَطِيرُ ... إنَّ الفُؤادَ بَطنُهُ كَبِيرُ
أبَى عَلِيَّ إلّا بالنِّعالِ ... ولا يَرى السِّوى مِنَ الجَمَالِ
ظَلَّ يُنادِي جُودِي يا نَعلاهُ ... على المِسْكِينِ إنّهُ أَوّاهُ

وإنْ أَشَرْتُ تارَةً إليها — يَصِيحُ إيهًا إيهًا إيهًا إيهًا
فَحَقُّهُ أنْ يُضرِمَ الصّبابَهْ — ويَجْرَعَ الجَوى ولا غرابَهْ

سَعْدِي بِها فَتِلْكَ لَيلى رُوحِي — حَجَّ إلى وِصالِها طُمُوحِي
بِوَجْدِها تَعَطَّرَتْ أَنْفاسي — يا نَشْوَتي يا راحَتي يا كاسِي
هِمْ يا فُؤادي تَجْتَني السَّعادَهْ — فالحُسْنُ في هَواها والزِّيّادَهْ
عَينُ الحَيّاةِ شاطِئُ الأَمانِ — نَهرُ السُّعُودِ مَنْبَعُ الحنانِ
حَياتي لا مَعْنى لَها لولاها — بَلْ لا أَرى عِبادَتي إلّاهَا
رَبيعي بَلْ فِرْدَوسي بَل كُثْباني — إسْلامي بَل إيماني بَلْ إحساني
اللُّطفُ والإفْضالُ والدّلالُ — قُلْ وكَفاكَ كلُّها جَمالُ
فالحُبُّ ما تُوحِيهِ مِن مَعاني — والجَذْبُ ما تُلْقِيهِ بالوِجْدانِ
والقُدْسُ ما مِن شِسْعِها يَلُوحُ — والأُنسُ ما مِن تُرْبِها يَفُوحُ
والنَّفْحُ وَصْلُها ولَيسَ إلّا — والفَتْحُ لَثْمُها لِذاكَ جَلَّ
وِدادُها بَسْطٌ بِلا كُؤوسِ — فاشْغَفْ بِها ولَن تَرى مِن بُوسِ
مَحْضُ هَناءٍ وبِساطِ وصَفَا — تُزَكِّي مِنّا كلَّ غَينٍ وجَفا
لا غَرْوَ أنْ هامَ بِها الغَوارِمْ — فالعِشْقُ مِن جُنُودِها الصّوارِمْ
تَهْوَى بِها الحُورُ على الأرائِكْ — لَطِيفَةٌ تَعْشَقُها المَلائِكْ

إنِ ادْلَهَمّتْ وَطْمى وَعِيدي — فَوجْدُها سَلاوَتي وَعِيدي
خِمارُها حِصْنٌ مِن الجَلالِ — يَحْمِيني مِن صَواعِقِ المَجالي
فاعْزِزْ بِها ولا تَخَفْ سِواها — فالكونُ كُلّا دُونَها تَواها
تَهابُها القَوائِمُ العَلِيَّهْ — فَضْلًا عَنِ البَهائِمِ السُّفْلِيَّهْ
إصْرَخْ بِها إنْ حَمِيَ الوَطِيسُ — ولُذْ بِها إذا سَطا إبْلِيسُ
نارُ السَّعِيرِ وَيلُها اسْتَعاذا — جلالُها في القَهْرِ لا يُحاذى
بأْسٌ شَديدٌ بَطْشُهُ سَدِيدُ — فَما الجَحِيمُ مِنها والحَدِيدُ

إِنْ بَرَقَتْ تَرْتَعِدُ العُرُوش بَدِيهَةً وتُعْدَمُ الفُرُوش
تُراعُ مِنها سُلطَةُ الأنوارِ فكيفَ بالآثارِ والأغْيارِ
قُلِ النِّعالَ وَرِدِ الحضائِرْ وَلِجْ على مَحارِمِ الحَظائِرْ
فَلا يَراها ذُو فُتُوحٍ إلّا وسَبَّحَ الّذي بها تَجلّى

❀ ❀ ❀

تاجُ الوُجُودِ غُرَّةُ الأمْجادِ فَخْرِي بها كفَخْرِي بالأجْدادِ
أُعِدُّها أُمِّي فتلكَ مَحْتِدي عينُ وُجُودي ومَعينُ مَدَدِي
أَعْبُدُها وَقْفًا على الشِّراكِ ولَن أهابَ تُهَمَ الإشْراكِ
أنّى لنا بهذِهِ السِّيّادَة والعَزْمُ ما انفكَّ عنِ العِبادَة
تَخْدُمُها الأصحابُ بالأعْتابِ وحَولَها الأقطابُ كالحُجّابِ
لا يَبْرَحُونَ البابَ كالعَبِيدِ صَمْدًا على جَنابِها المَجِيدِ
وإلّا كيفَ وَلَجُوا الأبْوابَ مِن بعدِما تَخَطُّوا الأعتابَ
فَنَوا بِها فأصْبَحُوا مَجالي إذا استَوَتْ فَهُم لها مَدالي
ألا فَتِلْكُمُ هِيَ السَّبِيلُ وخاصِفُ النَّعْلِ لها دَلِيلُ
بِخِدْمَةِ النَّعْلِ ارْتَقَى الرِّجالُ حيَّ على الوِّصالِ يا أشْبالُ

❀ ❀ ❀

بُشراكِ يا أمَّتي بالقَداسَهْ تَعَزَّزِي بالمَجْدِ والرِّيّاسَهْ
مكانَةٌ تَغْبِطُها الأكابِرْ وتَرْتَجِي نِسْبَتَها الحَواضِرْ
فالحمدُ لِلْمَولى على النِّعالِ حَمْدًا على مَدارِجِ الكَمالِ
والشُّكرُ والعِرفانُ والشَّهادَة والمَدْحُ والغَرامُ والعِبادَة
فَلَو تَرى إذْ صُفَّتِ الأرْسالُ وَهَتَفُوا عَطْفاهُ يا نِعالُ
فَكَبَّرُوا بِوُدِّها كُبارا وسَجَدُوا لِحُسنِها جِهارا
يَتْلُونَ آيَةَ الوَحى غَرامًا وَقْفًا على أعْتابِها دَوامًا

❀ ❀ ❀

نَشْهَدُ أنّها الّتي تَجَلَّتْ بالمَشْرِقَيْنِ بَعدما تَخَلَّتْ

كانتْ ولاتَزالُ كالهُيُولى / لِكَونِنا مُنذُ الدُّهُورِ الأُولى
كأنّها الهَباءُ لِلتَّجَلّي / إيْهِ وتِلكَ مُستَوى التَّدَلّي
هَيمَنَ مُلكُها على البرايا / مِن البِدايَةِ إلى النّهايا
مِن سِرّها كن فَيكُونُ النُّورُ / كالرَّوضِ والورى بِها زُهُورُ
تَفِيضُ بالأدْوارِ والأطْوارِ / بِلا تَحَجُّرٍ ولا تِكْرارِ
إمْكانُنا باتَ عليها عالَهْ / لولاها لاسْتَحالَ لا مَحالَهْ
قَيُّومةُ الكونِ إلى الآبادِ / تَقُومُ بالإيْجادِ والإمْدادِ
تَنفُخُ بالحَيّاةِ في الأرواحِ / وتَقْرُنُ الأرْواحَ بالأشْباحِ

❀ ❀ ❀

عَرِّجْ بِها سَريرَةُ الإمْكانِ / قائِمَةُ الزَّمانِ والمَكانِ
هُوِيَّةُ الرّقائِقِ النَّحْنِيَّهْ / هَوِيَةُ الحقائِقِ العَيْنِيَّهْ
أَيْنِيَّةُ الأقْدامِ في الصُّدُورِ / عَيْنِيّةُ الأنامِ بالظُّهُورِ
ماهِيَّةُ الوُجُودِ والنّهايَهْ / ناهِيَّةُ الصُّعُودِ بالبِدايَهْ
نُقْطَةُ جَمْعِ الجُمَلِ الكُلّيَّهْ / بَسْطَةُ صُنْعِ الحُلَلِ الدَّلِيَّهْ
واسطَةُ الأحْداثِ بالوُجُوبِ / رابِطَةُ الأشْهادِ بالغُيُوبِ
مُمِدَّةُ الوَحُوتِ والعَزائِمْ / مُعِدَّةُ الأحْكامِ والدَّعائِمْ
مُغْدِقَةُ الزُّلالِ بالحِيّاضِ / مُونِقَةُ الأزْهارِ بالرِّيّاضِ
نافِحَةُ الكُثْبانِ بالتَّقْرِيبِ / فاتِحَةُ الجِنانِ للحَبيبِ

❀ ❀ ❀

بِحَضرَةِ القُدسِ لها اجْتِماعُ / ومِن هُنالِكَ انْجَلَى الشُّعاعُ
تَنَزَّلَتْ لِيُمكِنَ الوِّصالُ / وإلّا حالَ بَينَنا الجَلالُ
فَما النِّعالُ إلّا كاللِّبّاسِ / لِما تُوارِيهِ مِنَ الأَلْماسِ
تُشِيرُ بالعَجْزِ إلى البِدايَهْ / وَسِيلَةٌ لَكِنَّها كالغايَهْ
تَصْدَعُ في الآفاقِ بالتَّحَدّي / هلْ مِن مُقاوِمٍ وهَلْ مِن نِّدِّ
أرْسَلَها بآيَةِ الإعْجازِ / تُؤَزِّرُ الأقْدامَ بالإعْزازِ

سَيفٌ على عُدْوانِهِ مَسْلُولُ ... لُطْفٌ على خِلّانِهِ مَسْدُولُ
تاجٌ على خُدّامِهِ مَخْلُوعُ ... وخاتَمٌ على الوَحَى مَطْبُوعُ
إنْ قِيلَ مَن أمَدَّها المَكانَهْ ... قُلِ الّذي أمَدَّنا الدِّيّانَهْ
فَهِمْ ولا لَوْمٌ ولا تَحْجِيرُ ... فالوَجْدُ لايَصُدُّهُ النَّكِيرُ
النَّعْلَ قُلْ واهَتِفْ بِها جَهِيرَا ... وذَكِّرِ القَلْبَ بِها هِجِّيرَا

❁ ❁ ❁

إغْرَمْ ودُمْ بِوَجْدِها وَلْهانَا ... ما اللَّثْمُ إلّا لِلَّذِي تَفانَا
ومَرِّغِ الجَبِينَ بالأعْتابِ ... فالفَتْحُ مَوْقُوفٌ على الآدابِ
وايْقَنْ بِسِرِّ غَيْبِها المَكْنُونِ ... واشْهَدْ بِما تَوارى ضِمْنَ النُّونِ
لَمَشْهَدٌ مِن دُونِها نُكْرانُ ... بَلْ مِلَّةٌ مِن بَعْدِها كُفْرانُ
فاحْذُوا بِآثارِ الشِّراكِ حَذْوَا ... فَتِلْكُمُ الوُحُوثُ تَقْفُوا قَفْوا
وافْدِيهِ بالمُهَجِ والأرْواحِ ... إنّ الفِداءَ رَفْرَفُ الكِفاحِ
واشْكُرْ لها إحْسانَها قَلِيلَا ... إنْ تابَى أنْ تَشْكُرَها جَزِيلَا
فالقَوْمُ بالأمْداحِ والأفْراحِ ... حازُوا على الصَّلاحِ والفَلاحِ

❁ ❁ ❁

لَثْمُ النِّعالِ آهِ لَوْ يَكُونُ ... الوَجْدُ والغَرامُ والجُنُونُ
وَصْلُ النِّعالِ مَدْرَجٌ عَسِيرُ ... مِن دُونِهِ الصِّراطُ والسَّعِيرُ
شَمُّ النِّعالِ يَسْلُبُ الجَنانَ ... أرْوِحْ بِهِ مَن عَطَّرَ الجِنانَ
عِشْقُ النِّعالِ مَشْرَبُ الرَّقائِقْ ... يُرْوِيها بالأسْرارِ والحقائِقْ
مَرْأى النِّعالِ مَشْهَدٌ قُدُّوسُ ... ولِلسِّوى لا تَنْجَلِي العَرُوسُ
نُورُ النِّعالِ خَيْرُ العَزائِمْ ... فَلا تَرى مِنهُمُ إلّا هائِمْ
سِرُّ النِّعالِ حُجْرَةُ النِّهايَهْ ... فلن تَرى بعدَ النِّعالِ غايَهْ

❁ ❁ ❁

ويا تُرى ولَوْ تَرى ما يَجْرِي ... بالمُنْتَهى حيثُ النِّعالُ تَسْرِي
تَرى المُقَرَّبِينَ كالجَواري ... وكُلُّهم يَسْعى إلى الجِوارِ

تَــــراهُمُ وَقْفًـــا عـــلى الأعْتـــابِ يَرْجُـــونَ كَشْـــفَ غُمَّـــةِ الحِجـــابِ
يَرجُونهـــــا جِـــــدًّا عـــــلى الدَّوامِ كـــــذلِكُم حَقيقَـــــةُ الخُـــــدَّامِ
وإنْ تَجَلَّـــــــتْ كَـــــبَّرُوا بالذّاتِ وســـَبَّحُوا بِعِـــزَّةِ الصِّـــفاتِ
واسْتَشْـــفَعُوا بهـــا إلى الوِصـــالِ واســْتَغْفَرُوا مِـــن فَـــتْرَةِ الفِصـــالِ
ورَتَّلُـــوا شَـــكْواهُمُ تَـــرتِيلَا وذَلَّلُـــوا أُنُـــوفَهُم تَـــذْلِيلَا
لَعَلَّهـــا تَـــرضى فَيُقْبَلُـــونَ فَيُفْـــتَحُ البـــابُ فَيَـــدْخُلُونَ

❁ ❁ ❁

سَرِيـــــرَةٌ تَحُفُّهـــا الأنـــوارُ تَحـــارُ في بَهْجَتِهـــا الأطْـــوارُ
ضَـــلَّ العُـــرُوجُ أنّى بالسَّـــبيلِ واعْتَمَـــهَ الخَبِـــيرُ بالدّلِيـــلِ
وتاهَـــتِ الحقـــائِقُ السّـــوابِقْ فكيـــفَ بالرّقـــائِقِ اللّواحِـــقْ
وصُـــدَّتِ البّصـــائِرُ العَزْمِيَّـــهْ فكيـــفَ بالضّرائِـــرِ البَهْمِيَّـــهْ
كَـــبِّرْ بهـــا مَطِيَّـــةُ القُـــدُّوسِ فكيـــفَ لا تُخْـــدَمُ بالـــرُّؤُوسِ
سَـــبِّحْ بِمَجْـــدِ قَـــدْرِها الكَبِـــيرِ واعْجِـــزْ بِكُنْـــهِ سِرّهـــا الخَطِـــيرِ
بَدِيهَـــــةٌ يَصُـــــونُهَا المحـــالُ يَســـجُدُ دُونَ شِسْـــعِها الكَـــمالُ
تَغـــارُ مِـــن ســـَناءِها الأفْـــلاكُ وتَهـــاوى تَحْتَهـــا الأمْـــلاكُ
لَهـــا العُـــرُوشُ في العُـــلى فُـــرُوشُ واللَّـــوْحُ في غُرَّتِهـــا مَنْقُـــوشُ
تُمَثِّـــــلُ الأقْـــــدامَ بالأدْراجِ حيـــثُ وُقُـــوفُ سُـــلْطَةِ المِعْـــراجِ
تَحُوطُهـــا مَحـــارِمٌ نَـــواهِي مِـــن دُونهـــا مَـــراجِمٌ دَواهِي
وحَولَهـــا طَـــلاسِمٌ رَواصِـــدْ مِـــن دُونِهـــا حَـــواسِمٌ صَـــوائِدْ
وتَحْتَهـــا قَماقِـــمٌ عَـــوامِي مِـــن دُونِهـــا طَماطِـــمٌ غَـــوامِي
وقَبْلَهـــا مَعـــادِمٌ فَواتِـــكْ مِـــن دُونِهـــا صَـــوارِمٌ هَواتِـــكْ
سَـــلِّمْ وَقِـــفْ إيّاكَ أنْ تُمَـــارِي مـــا النَّعْـــلُ مِـــن سُـــلالَةِ الآثارِ

❁ ❁ ❁

هَيهـــاتَ يا مُـــرَوِّجَ الفَّصِـــيحِ أمْســـكْ عَلَيـــكَ سِـــلْعَةَ المَـــدِيحِ
وَطَـــرِّزِ المَعـــاني بالعِرفـــانِ وَوَشِّحِ المَبـــاني بالوِجْـــدانِ

مـــا الشِّـــعْرُ والزَّبُــورُ قــدْ تَغَــزَّلْ	وبِوَســــيِمِ وَصْـــــفِها تَــــنَزَّلْ
عَـــن كُنهِهـــا لَتَقْـــصُرُ المَعـــاني	ناهِيـــكَ عَـــن فَضْفَضَـــةِ المَبـــاني
ســـبحانَ خـــالِ خَـــدِّها البَّـــدِيعِ	عَـــن بَهْرَجـــانِ رِيْشَـــةِ البَّـــدِيعِ

انتهى

مَسْجِدُ الْحُسْنِ

1. سَجدَ الحســـنُ بأعـتابِ النّعالْ	يَقْطِفُ الأوْصافَ مِن ذاتِ الجَمالْ
2. يَشْهَـدُ الكـلُّ بها إنْ وَلَهُـوا	حالُهُم يَهْتِــفُ سُـــبحانَ النِّعالْ
3. فإنْ مِــن قـلبٍ هَـوى إلّا بِها	إنَّها فِـردوسُ أعــراسِ الـوِّصالْ
4. سَلْ جُنونَ الوَجـدِ مَن أضْرَمَهُ	مَــن بِـــهِ حـــتَّى تَجَنّى باللّيالْ
5. تَسْرِي في طَيفِ الهَوى ألطافُها	فــهْيَ شَمــسٌ والـبرايا كالظّلالْ
6. وهِيَ القُدسُ والأنــوارُ حِجابْ	وهِـيَ الحــقُّ والآثـــارُ خَـــيالْ
7. فاعْلَقْ واعشَـقْ وَتَمَلّـقْ دائِبًا	تَقْتَـني الكـنزَ مِن أصْدافِ الكَمالْ
8. نحنُ صِرنا بَعدمـــا كنّا سُدى	نَرتَجي مِــن وَطْــئِها دَرَكَ النّوالْ
9. عُـــكّفًا وَقْــفًا عـلى أعتابِها	عَـــلّنا نَبــقَى لَـــدُنها كالعِـيالْ
10. بـابُـــنا غايَـــتُنا جَــنَّـــتُنا	تَرِبَـــتْ أيْدِيـــكُمُ كـــونُوا مَوالْ
11. إنّـــكم رِقٌّ وإنْ لَم تَـــسْلَمُـوا	فَـــنْ لم يَهْوَى سَيَهوى في الضِّلالْ
12. قُولُــوا يَومَ القَــوْمِ ياقَومِي بَلى	سَجَـــدَ الكـــلُّ بـأعتابِ الـنِّعالْ

مريد النّعال

مُـــرادِي مِـــنَ الدّارَيـــنِ نَعْـلُكَ سـَيِّدِي	وِدادِي ومَجْـــدِي سُـــؤدَدِي وتَعَبُّـــدي
أُوَّحِـــدُها وَحْـــدِي يَقِيْنًـــا بِمُهْجَـــتِي	ويَكْفُـــرُ بالأغْيـــارِ مـــا دُونَهـــا وَجْـــدِي

هَواها وإلّا فالفُؤادُ جَهَنَّمُ / ولوْ أنّني أَقْتاتُ في جَنّةِ الخُلْدِ
ثَراها وإلا لَا وِصالَ أُرَجِّيْهِ / ولَوْ ظَلْتُ في العيانِ ظَلْتُ على بُعْدِ
أَراها وإلّا فالحيَاةُ دَنِيَّةٌ / ولو كنتُ لا أنْفَكُ عَن بَهْجَةِ السَّعْدِ
هُداها وإلاّ فالمجالِي مَضَلَّةٌ / ولو أنّها غَيْبٌ ولكنّها تَهدِي
عَماها وإلّا لا سَرِيرَةَ تَخْتَلِي / ولَوْ دَقَّتِ الأرْقامُ عَنْ حِيطَةِ الحَدِّ
سَناها وإلّا لا لَطِيْفَةَ تَنْجَلِي / ولَوْ شَعَّتِ الأنْوارُ غَيْرُها لا تُبْدِي
أناهَا وإلاّ فالفُتُوحُ مَلَابِسٌ / ولو كانتِ الأقْطابُ في قَبْضَةِ اليَدِ
هِيَ الحُسْنُ لا لَوْمٌ على مَن يُرِيدُها / هِيَ الوَصْلُ مِن بَيْنُونَةِ الصَّدِّ والضِّدِّ
فَغِشْني ولوْ وَطْئًا بها لِأَشُمَّها / مُنايَ مُنايَ أنْ أَرَاها عَلى خَدِّي
فيا جَدَّ رُوْحِي إنْ تَحَقَّقَ وَصْلُها / فَكيفَ وتِلكَ النَّعْلُ نَعْلُكَ ياجَدِّيْ

مجنون النّعال

أنا مجنونُ النِّعالِ / لَستُ أَهْوى باللّيالي
فاعْذُرُوا قَلبي المُتَيَّمْ / حيثُ تاهَ في الجمال
كلّما غَدَوْتُ شَوقًا / رُحْتُ مَسْلُوبَ العِقالِ
ظَلَّ لُبِّي خَلْفَ قَلْبي / يَهْتَدي إلى الضّلالِ
إنّهُ الوَجْدُ السُّبُّوحي / راحَةُ الرّاحِ الحلالي
صرتُ لا أرى سِواها / سَلَبَتْني مِن خَيالي
لكِ يارُوحي السّعادَهْ / مَشْهَدُ النَّعلِ انْجَلَى لي
لَطَفَتْ ذَرّاتُ ذاتي / مِن صِباباتِ الجلالِ
فَكأنّي كُلّي قَلْبًا / يَرتَجي ليلَ الوِّصالِ
إنْ تَجلّتْ يا حَياتي / بالجِنانِ لا أُبالي

تِلكَ وِرْدي وَوَرِيدِي ... عِشْقُها رَبِيعُ بالي
فَيا فَخري ويا عِزّي ... ويا تِيهِي بالكمالِ
هَيْهَا ياذَوِي الفُتُوحِ ... مَن لهُ مِنكم كمالي
طِلْتُ لَمّا تَوَّجَتْني ... وكَسَتْنِي باللآلي
بتُّ لا أخشَى وَطِيْسَا ... أتَشَهى بالنّزالِ
هَيّا ياأهْلَ التّفاني ... كونُوا لِلْنّعلِ مَوالي
هاهِيَ الأمجادُ حَقّا ... والمَنَاهي والمعالي
فاكنَزُوا مِنَ الجِدارِ ... ودَعُوا عَنكم مَقالي
قدْ كَشَفْتُ السِّرَ جُهْدِي ... ولوْ أنَّ السِّرَّ غالي
إنْ قَصَدْتُم ماقَصَدْتُ ... ليسَ ذاكُمْ بالمُحالِ
فَفِرُّوا إلى النِّعالِ ... تَنْتَهُوا إلى الوِّصالِ

السّند والمدد

هذا قلبي لك نعل فاستوي ... علّه ياجدّي منكم يرتوي
من أنا ما قلبي من ذاك القدم ... والمعالي بالنّعال ترعوي
حبّذا النّعل كفاني وصلها ... وما أدراني على ما تحتوي
جونة القدس ومشكاة الهدى ... من على كلّ المعاني تنطوي
من يروم العزم منها لحظة ... من بها الأملاك طرّا تهتوي
من تعمّت عنّا في جيب العما ... من لها في مدرج الغرب دوي
ليتني كنت شراكا أوثرى ... ليتها لو في فؤادي تنزوي
أنا عبد لك يا نعل الأنا ... ليس يثنيني عن العشق غوي
صمّ سمعي وعمت عيني فلن ... أروي إلّا عن أسانيد الروي
سندي يا نعل موصول بكم ... منّي حتّى إلى جدّي العلوي

عرش الكمال (همزية النعال)

لكِ فَوقَ عَرْشِ الكمالِ اسْتِواءُ ... يا نِعالًا فِراشُها الأنبياءُ
أنتِ شَمسٌ والمرسلونَ مَجالي ... أنتِ ذاتٌ وكلّهمْ أسْماءُ
أنتِ هوَ والعازِمُونَ أناكِ ... غَرْبَ طَورِ الوَحُوتِ أنتِ العَماءُ
أنتِ أنتَ والواقِفُونَ المُنادى ... أنتِ ما أنتِ لكنَ انتِ الرِداءُ
أنتِ كنتَ والعارجُون المِثالُ ... بعدَما صارُوا أنتِ همْ وُزراءُ
أنتِ كالباءِ وهمُ الكلماتُ ... كلّا بلْ إنّكِ هناكَ الهاءُ
أنتِ نُونُ الوَحى وهم أقلامُ ... والهُدى اللّوحُ والوَرى القُرّاءُ
أنتِ قُرآنهمْ وهمْ فُرقانُ ... نَزَلُوا عنكِ بالأنا خُلَفاءُ
أنتِ كنزٌ وهم لكِ الأصْدافُ ... ما الرّقيمُ مِنكِ وما العَنقاءُ
أنت بابٌ لهمْ وهمْ أعتابُ ... وإلى فَضلِكِ فقَطْ فُقراءُ
أنتِ آفاقٌ وهمُ الأفلاكُ ... قَبَسُوا مِنكِ لَمْعَةً فأضاؤ
أنتِ لاهُوتُهمْ وهمْ ناسُوتٌ ... مَثَّلُوكِ وبالنِّيابَةِ جاؤ
أنتِ قلْبٌ والمخلِصُونَ عُرُوقٌ ... أنتِ كالبَّطنِ وهمُ الأمْعاءُ
أنتِ سرٌّ والغَيبُ فِيكِ تَحَيُّرٌ ... تاهَ حَيثُ المهامِهُ البَهْمَاءُ
أنتِ سُبحانُ مَرْصَدانِ الطّوارِقْ ... يَنهَى دُونَ شِراكِكِ الوُجَهاءُ
أنتِ وَجْهٌ والبارِقاتُ سَناكِ ... والعَزائِمُ في العُلى شُهداءُ
أنتِ كنْهٌ والمُرقّماتُ مَواهِي ... وبِمعناكِ جاءَتِ الأنْباءُ
أنتِ خِدْرٌ والمُكناتُ نِيامٌ ... حَولَ ذاكِ الفَناءِ حاقَ الفَنَاءُ
أنتِ سَقْفٌ والمُنتهى كالحضِيضِ ... أينَ مِنكِ الأبراجُ أينَ السّماءُ
أنتِ بحرٌ والمحدثاتُ وُرُودٌ ... أنتِ غَيثٌ والمكرَماتُ إناءُ
أنتِ سُلطانٌ والبَرَايا رَعايا ... أنتِ أمٌّ لهمْ وهُم لكِ الأبْناءُ
أنتِ رَأسٌ والعالَمُون أساسٌ ... إنْ تَجَلّيتِ يَسْجُدُ الرُؤَساءُ
أنتِ تاجٌ والعالِياتُ نِعالٌ ... تَرْتَجِي لَثْمَ شِسْعَكِ الكُبَراءُ
أنتِ جُودُ المُدُودِ أنتِ الوُجُودُ ... ياهُيُولى الآثارِ أنتِ الهَباءُ
أنتِ كنْ فَيَكونُ مِنكِ الحُدُوثُ ... عَنكِ كانَتْ ودامَتِ الأشْياءُ

أنتِ قُدْسٌ والهائِمُون حُضُورٌ　　　والمنابرُ في الذُّرى جَذْبَاءُ
أنت نارٌ والجاحِدونَ وَقُودٌ　　　حَيثُ كانَ المَصِيرُ أنتِ الجَزاءُ
أنتِ رَوضٌ والعالِقُونَ خُلُودٌ　　　أنتِ شُرْبٌ لهمْ وأنتِ الغِذاءُ
أنتَ ليلَى وكلّنا مَجْنُونٌ　　　جُودِي مِن فَضْلِكِ وإلّا الفَناءُ
أنتِ يُوسُفُ والمُرِيدُ زُلَيْخا　　　هِيتَ لَا زَيْنَبُ ولا أَسْماءُ
أنتِ كُثبانُنا ونَحنُ الضُّيُوفُ　　　فَمتى ياثُرى يَحِينُ العِشاءُ
أنتِ رُوحٌ وكُلّنا أجْسادٌ　　　أنتِ فِينا الحياةُ أنتِ الهَواءُ
دُونَكَ الفَتْحُ يارَقِيبَ الوِّصالِ　　　هَذا رَمْزٌ ما فَكّهُ العلماءُ

+ + +

سَلْ رُوّادَ العُرُوجِ في الأقْدامِ　　　مَنْ إذا غارَتِ العُيُونُ الرَّجاءُ
وسَلِّ الهائِمِينَ في اللّاهُوتِ　　　مَنْ إذا دارَتِ الكُؤُوسُ السِّقاءُ
وسَلِّ الوَاقِفِينَ في الأعْتابِ　　　مَن إذا شُقَّتِ الجُيُوبُ الرِّداءُ
وسَلِّ الناطِقِينَ بالألغازِ　　　مَن إذا دُكَّتِ العُرُوشُ اللِّواءُ
وسَلِّ الجاثِيِنَ في الغاباتِ　　　مَنْ إذا صُدّتِ الوُجُوهُ الحِذاءُ
وسَلِّ الغائِرِينَ في السُبُحاتِ　　　مَنْ إذا غابَتِ الغُيُوبُ الجَلاءُ
وسَلِّ الغارِقِينَ في القُرآنِ　　　مَن إذا هَوَتِ الظُّرُوفُ البِناءُ
وسَلِّ العاكِفِينَ في الأجْفانِ　　　مَن إذا عَزَّتِ النُّعُوتُ الكِساءُ
وسَلِّ التائِهِينَ في الغاياتِ　　　مَن إذا ماجَتِ البُطُونُ الوِعاءُ
وسَلِّ القائِمِينَ بالأركانِ　　　مَنْ إذا دامَتِ الدُّهُورُ البَقاءُ
إنْ تَوارى الأقْطابُ بالقَوسَينِ　　　فَهْيَ بالقابِ الدُّرَّةُ البَيضاءُ
ولَئِن باتُوا بالغرامِ سكارى　　　فهي الخمر وهم الندماء
ولئن إرعوو هناك حيارى　　　فهي العزّ وهم الضعفاء
ولئن طالوا بالتّحدي جهارا　　　فهي المعنى وهم الفصحاء
ولئن شدّت الرحال وطارت　　　فإليها المعراج والإنتهاء
فاعجبوا منها حالما تتدلّى　　　وهي في الدّرج الغاية القصواء

+ + +

قل لي كيفَ لانَجْوى فِيها وتَفْنَى ... والعَوالِي بِوَجْدِها غُرماءُ
رُوحِي والعِرْضُ والأهالي جَميعًا ... لِمقامِ الجمالِ ذاكَ فِداءُ
مالَنا في الوُجُودِ إلّاها خِلٌّ ... رَبَّةُ الحُسْنِ مالَها شُركاءُ
مُنْذُ عَهدِ أَلَسْتُ ظَلْنا عَبيدًا ... فَشَهِدْنا وكُلُّنا حُنَفاءُ
سَجَدَ العَزْمُ ثمّ خَرَّ الوحُوثُ ... ثمّ الأَوْلى فَالأَولى فالسُّفَهاءُ
ماسَجَدْنا إلّا لِمَا قَدْ شَهِدْنا ... والعُهُودُ على الوَرى شُهَداءُ
طالِعُوا الرُّوحَ والسَّرِيرَةَ مِنكم ... تَذْكُرونَ بَلى أيا جُحَداءُ
ثُمَّ تُوبُوا وجَدِّدُوا الميثاقَ ... إنْ أَرَدْتُم ماحَازَهُ النُّجَباءُ
تِلكَ إذْنُ القَبُولِ بابُ الدُّخُولِ ... مَن بِمِعراجِها ارْتَقى الأصْفِياءُ
هَيّا يا أمَّةَ الحبيبِ أَلِظُّوا ... فالنِّعالُ وإلّا لا إرْتِقاءُ

+ + +

لاتَلُمْنِي ياجافِيَ الوِجْدانِ ... فالهَوى سِحْرٌ والصّبابَةُ داءُ
سِيَّما مَن جَوى بِذاتِ الفُتُون ... مَن تَغارُ مِن حُسْنِها الحوراءُ
أَعْذُرُوني في عِشْقِها أَعْذُرُوني ... عَلِّلُوني بِها فَتِلكَ الشِّفاءُ
يَكفِي أنَّ الألطافَ تَقْطُرُ مِنها ... والجمالُ يَحُفُّها والهَناءُ
صِبْغَةُ القَدَمِ اللَّطِيفِ الأنِيقِ ... وَيْكَأَنَّها لِلكُنُوزِ غِطاءُ
كَمْ هَوَتْ لِشِراكِها أَدْراجُ ... وَكَمْ خَرَّتْ لِشِسْعِها غَرّاءُ
بَعدَ أنْ إسْتَوى القُدُّوسُ عَلَيها ... وما أدْراكَ ما هُو الإسْتِواءُ
كَيفَ لا تَسْجُدُ القُلُوبُ إلَيها ... وهِيَ اليُّوحُ والبَرايا هَباءُ
فَيابُشْرانا قَدْ تَدَلَّتْ عَلَينا ... خِلْعَةٌ أَقْدَسِيَّةٌ زَهْراءُ
إنّها سُبْحَةُ الحبيبِ تَجَلَّتْ ... رَوْضَةٌ أَرْيَجِيَّةٌ غَنّاءُ

+ + +

ما غَبَطْنا الأمْلاكَ لكِنْ غَبَطْنا ... مَن عَلَيهِم تَدَلَّتِ الحَسْناءُ
خاصِفُ النَّعْلِ مُهْجَتِي تَفْدِيهِ ... قَلَّ فِيهِ الهَوى وقَلَّ الوَلاءُ
وبِنُ مَسْعُودٍ مَن كَسَتْهُ سُعُودًا ... وبِها الصَّحْبُ كُلُّهم سُعداءُ
حَبَّذا خِدمةُ النِّعالِ ولكِنْ ... أَيْنَ مِنّا أبراجُها القَعْساءُ

ذاك سَهْمٌ مِن أسْهُمِ الأقْطابِ   تَتَرَجَّى نَوالَهُ الأَوْلياءُ
حيثُ أنَّ المَقامَ سامٍ وحامٍ   حيثُ لا حيثُ تُحْرِمُ العَذْراءُ
تَتَعلّى على ذَوِي الأَغْيارِ   وفي جَبْيانِ القَيْدَمُوتِ الخَفاءُ
حَيثُمَا العَزْمُ للنِّعالِ بِساطٌ   وهْيَ تاجٌ على الوَحى وَرِداءُ
أَوَلَيْسَتْ ظِلالُها مُنتَهاهُم   مَهما طالُوا فالنَّعلُ تَبقَى وَراءُ
هُم مُرِيدُوها بلْ عَبيدُها حَقّا   ذلكَ الفَخْرُ فَخْرُهُم والسَّناءُ

\+ + +

ليتَ مَجْنُونَ ليلى ذاقَ هَواها   لَصَحا لُبُّهُ وزالَ الغَماءُ
ضاعَ وَجْدُ الّذي جَوى بِسواها   فالغَرامُ بِها وإلّا جَفاءُ
كأسُها راحُ نَفْحَةٍ وفُتُوحٍ   مَشْرَبُ القُدْسِ ذاكَ لا الأهواءُ
إفْنى فيها تَرى الوُجودَ جَمِيلًا   فبِالأعْتابِ اسْتَرْوَحَ السُّعداءُ
فهَلُمُّوا تُشْقَوْنَ مِنهُ حَنانًا   إنّها الأُنسُ والمُنى والهناءُ
كيفَ لا وهْيَ مَنْبَعُ الإحْسانِ   والصَّفاءُ مِزاجُهُ السَّرّاءُ
فَما بعدَ الإحْسانِ والحسنِ إلّا   ألْهوانُ والبَأسُ والضَّرّاءُ
فأْتَسُوا بالأمْلاكِ حيثُ تَفانَوا   وعلى شِسْعِها لهمْ ضَوضاءُ
كلَّما اشْتَدَّ صَفْوُهُم زادُوا نَهَمًا   وعلى قَدْرِ شُرْبِهِمْ الاصْطفاءُ
أينَ نحنُ مِن واجِبِ الوِجْدانِ   والملائِكُ في العُلى رُضَعاءُ
طُلقاءٌ بِحُبِّها أُسراءُ   أَغْنِياءٌ لِلَثْمِها فُقَراءُ

\+ + +

أَوَلا يَكفي في النِّعالِ ويَشْفي   أنّها للأقدامِ تلكَ ابْتِداءُ
وما يُدْرِينا ما هيَ الأقدامُ   ليس يُجْدي هنا النُّهى والدَّهاءُ
فاسْألُوا المُنتهى عنِ النَّعلُوتِ   لَيقولَنَّ إنّها الإنْتِهاءُ
تَتخلّى بِغَيْهَبِ البَدَهُوتِ   حيثُ لا مَعْلَمٌ ولا أَنْباءُ
لِتَقُولَ لِلذَّرِّ هلْ مِن مُجاري   هلْ في مَيْدانِكُم لنا نُظَراءُ
حاشَا حاشَاكِ يابْنَتَ القَيْدَومِ   أنْ يَكُونَ لِعِزِّكُمْ أكْفاءُ
فارْفِقِي بالرّعايا رِفْقًا شَفيقًا   وارْحَمِينا ولَوْ غَوى السُّفهاءُ

مالَنـــا إلّا حِجـــرُكِ المـــبروكُ	فتَنـــوايانا مِـــن سِـــواكِ بَـــراءُ
إنْ رَضَـــيتِ فـــذاكَ مـــا نَتَمَـــنّى	وعـــلى الدُّنيـــا بعـــدَ ذاكَ الفَنـــاءُ

ٱلسُّبْحَةُ (بردة النعال)

عَمَـــتْ فـــلا اللّـــوحُ يَحويهـــا ولا القـــلَمُ	غَيْهُوبـــةٌ تاهَ عنهـــا العَـــزمُ والهِمـــمُ
قداســـةُ النّعـــلِ عـــزَّ مَـــن يُكافِحُهـــا	قامُوسُـــها مُعْجَـــمٌ وكنهُهـــا أبهـــمُ
مقامُهـــا لايُحـــاذَى بَـــلْهَ أنْ يُعـــتلى	أعْجِـــزْ بِمَمْلكـــةٍ سُـــلطانُها القَـــدَمُ
لا غَـــزوَ أنْ حـــارَتِ الأسرارُ في دركِهـــا	فـــأيُّها حـــضرةٌ مِـــن حولِهـــا حَـــرمُ
فالنَّعـــلُ للقَيْـــدَمُوتِ ســـُبحةٌ جَلَـــلٌ	دِثارُهـــا السَّـــحقُ بـــلْ شِـــعارُها العَـــدَمُ
دُكّـــتْ دُرُوجُ العُـــروجِ دُونَ سِـــدرتِها	وَذادَهُم دُونَهـــا العَمَـــهُ والـــبَكَمُ
فـــإنْ تَجلّـــتْ بِهالَهـــا مِـــن واجِهـــةٍ	لَطـــاشَ مِـــن عِزِّهـــا الجمـــادُ والـــبَهَمُ
وإنْ تخلّـــتْ فقـــلْ ســـُبْحانَ صَمْـــدانِها	ماباتَـــتْ بالبَـــدَهُوتِ الأعـــلى تَعْتَصِـــمُ
تَغُـــورُ في العـــينِ تَرتَجـــي هنـــاك العَـــما	حيـــثُ الطّلاقـــةُ لا تَنْفَـــكُ تَـــرتَقِمُ
كأَيِّـــنْ مِـــن حـــضرةٍ لِطَولِهـــا أَذْعَنَـــتْ	ناهِيـــكَ والمرســـلُونَ دونَهـــا أَحْجَمُـــوا
كأنّهُـــمْ حـــولَ عرشِـــها ملائكـــةٌ	فهـــمْ بِـــدولَتِها النُّـــوّابُ والحَشَـــمُ
إنْ أَمَـــرَتْ بادَرُوا لَهـــا طَواعِيَّـــةً	وإنْ تَقُـــلْ آ .. تَنافسُـــوا نَعَـــمْ نَعَـــمُ
ونحـــنُ لـــولَا الغُيُّـــونُ عَنهـــا تَحْجُبُنـــا	لَكُنّـــا أوّلَ مَـــن لِقُدْسِـــها أَسْـــلَمُوا
فاســـتَفْتِ سِرّكَ عـــنْ جـــلالةِ المُبتـــدى	لقـــالَ هَيهـــاتَ ذاك مّمـــا لانَعْـــلمُ
واســـتَفْتِ رُوحَـــكَ عـــنْ وثيقـــةِ المسـجِدِ	لقـــالَ قُلْنـــا بـــلى ونحـــنُ لا نَنْـــدمُ
واســـتَفْتِ الأقطـــابَ عـــن سرِّ تَعَـــزُّزِهِمْ	لقـــالوا نحـــنُ عبيـــدُ النّعـــلِ لا نُهْـــزَمُ
واســـتَفْتِ الأصحـــابَ عـــن حيـــازَةِ القَصَـــبِ	لقـــالوا بالشّسْـــعِ إرْتَقَينـــا فَـــوقَكمُ

واسـتَفْتِ حيـدَرَ عـن مَتِيـنِ مُرَّتِـهِ — لقـالَ لَمَّـا خُصِـفْتُ رُحْـتُ أَقْـتَرِمُ
واسـتَفْتِ الأمـلاكَ مَـن لِقُدسِـها سَجـدوا — لقـالوا قِبْلَتُنـا النّعـالُ لا آدمُ
واسـتَفْتِ جبريـل عـنْ نَهْنَهَـةِ المُنتهـى — لقـالَ أزْهَبَـني شِراكُهـا الأزْقَـمُ
واسـتَفْتِ الأرسـالَ مَـنْ تَـوّجَهُم بالـوَحى — لقـالوا مَـن نحـنُ في كُثبانِهـا خَـدَمُ
واسـتَفْتِ عـنْ قـدْرِها الخليـلَ في أوْجِـهِ — لقـال مَهـما سَمَـونا إنّهـا الأعظـمُ
واسـتَفْتِ عـن غَرْبِهـا الكلـيمَ في تِيهِـهِ — لقـال في البَـدءِ تاهَ العـزمُ كلُّهـمُ
واسـتَفْتِ عـن عزّهـا المسـيحَ في حـولِهِ — لقـال سـبحانَ مَـن شـاطِئُها طَمْطَـمُ
واسـتَفْتِ عـن قهرِهـا اللّعـينَ في جُرمِـهِ — لقـال ياوَيْلتـاهُ يَـومَ تَحْتَـدِمُ
يا أمّـةَ النّعـلِ هـذا المجـدُ والسُّـؤدَدُ — فالنّعـلُ نعلُـكُمْ والفَخـرُ فخـرُكُمْ
فاسْتَمْسِـكوا واسْـلُكُوا فَـتِلكَ بابُـكُم — إنَّ اليَهـودَ عليهـا يَحسُـدُونَكمْ
وجَـدِّدُوا عَهْـدكم عـلى مُوالاتِهـا — وَكُفُّـوا عَنهـا هُـراءَ سُـفهاءِكُمْ
فمـا لَكم مِـن بـديلٍ عـن سـيادَتِها — وحيـثُ مـاكنتمْ فالشّسْـعُ مَـولاكُمْ
فالحمـدُ لـلذّاتِ مِـن وِجـدانِنا سَرمـدًا — عـلى النِّعـالِ الّـتي اسْـتوى بِهـا القَـدَمُ

دعوني .. دعوني

إلَـيكمُ عنّـي يانُهـاةُ إلَـيكمُ — دَعُـوني وشِـركي والصَّـلاةُ علـيكمُ
لكُـمْ ديـنُكم شُـدُّوا عليـهِ ولِـي دِينـي — فـلا تَنْصَـحُوني بـارَكَ اللهُ فِـيكُمُ
تَلُومُـونَنِي أنْ قـدْ وَلِهْـتُ تَعَلُّقًـا — وهـلْ يـاتُرى أَلْفـى بَـدِيلًا لَـدَيْكُمْ
أَأَزْهَـدُ فـي نَعـلِ الحبيـبِ وآلِـهِ — تُريـدُونَ مِنّـي الكفـرَ بـاللهِ وَيْكـمُ

أَتَنْهَــــونَنِي عــــن مِلّتـــي وفــــرائِضي ... أأنــتُم علـى الإسـلامِ أم قـدْ أبَيـتُمُ
أأنــتُم مِــنَ اتْبــاعِ الحبيــبِ حقيقَــةً ... أم أنّكُـــمُ اسْــتَنْكفتُمُ فجحَـــدْتُمُ
تَبَرّأْنــا مِــن كُفــرانِكُم وضــلالِكُمْ ... فــلا أنــتمُ مِنّــا ولا نحــن مِـنكُمُ

عيد النّعال

كـــلُّ قَـــيسٍ لـــهُ بِلـــيلاهُ عِيــدُ ... ولنـــا بالنّعـــالِ عيـــدٌ ســـعيدُ
مــــا نَــــرى العيــــدَ إلّا أُنـــسَ الوِصـــــــــــــــــــالِ ... لَثْمَـــةٌ للنّعـــالِ عُـــرسٌ رغِيـــدُ
فيــا بُؤسًــا للعِيــدِ إنْ طــالَ حَــوْلًا ... عِيـــدُنا بالنّعـــالِ دومًـــا جَديـــدُ
نَفْحـــــــةٌ فَرْحَـــــــةٌ وراحٌ ورَوْحٌ ... نَشْـــوَةٌ لَـــذّةٌ وسُـــكرٌ مَديـــدُ
لا تَسَــلْ عــن مَــذاقِها يــا بَهِــيمُ ... فبِقَــدْرِ السّــاداتِ تَهْفَـى العبيــدُ
مــا الرَّبيــعُ ومــا الرِّيــاضُ سِــواها ... وصْــلُها عِنــدنا كثيــبٌ أَبِيــدُ
كيـــف لا وهْـــيَ بالمهـــادِ عَـــرُوسٌ ... دُونهـــا العَـــزْمُ بالمَعـــالي شَـــهِيدُ
وبِهـــا القـــومُ ذاقُـــوا كَـــاسَ الجمـــالِ ... فَهَلُـــمَّ لِتَرْتَـــوي يـــا مُريـــدُ
كــــلُّ أُنــــسٍ بِغَيرِهـــا يَتَبَـــدَّدْ ... أَمّـــا أفراحُهـــا فَــلا لا تَبِيــدُ
فــلا تُصْــغِي إلــى الــذين تَولَّــوا ... مــا قلــوبُ الجُفــاةِ إلّا حَديــدُ
أَوَ مِثْــلُ النِّعــالِ يَجفُوهــا قَلْــبُ ... بعــدَ مــا إسْــتَوى عليهــا المجيــدُ
يــا أُهَيْــلَ الإيمــانِ قُولُــوا جِهــارا ... أنــتِ لَيلـى الوِجـدانِ أنــتِ العِيــدُ

السّقاية

وَجْـــدِي هِـــمْ بالنّعـــالِ سَـــبحًا طَـــــــــــــــــــوِيلَا ... وارْوى إنَّ الفِطـــامَ ســـاءَ سَـــبِيلَا

واسْـــتَقي بـــالبُحُورِ لا بـــالكُؤُوسِ رُبّـــى بَحـــرٍ ولـــيسَ يَشْـــفِي غَلِـــيلا
راحــــــــةٌ أريحِيّـــــــــةٌ رَيحــــــــانٌ فـــافْنَى فِيهـــا تَـــرى الوُجـــودَ جَمِـــيلا
حبَّـــذا إنْ أبَيـــتَ يـــاقَلْبي لَكـــنْ هـــلْ رَأَيْـــتَ عـــنِ النِّعـــالِ بـــديلا
هـــيَ مِمّـــنْ ومِمَّـــا هـــاهِي مِـــن مَـــن ظـــلَّ للعـــرشِ شِسْـــعُها إكـــلِيلا
هـــيَ نعـــلُ عُرُوجِنـــا هَيّـــا نَعْلُـــوا فكفانـــا بِهـــا عليـــهِ دَلِـــيلا
أنـــا عبـــدٌ لَهـــا ســـأبْقى أُنـــادِي لَيتنـــي كنـــتُ لِلنّعـــالِ خَلِـــيلا

البنود

صَـــهٍ يادعـــاةَ الجهـــلِ يكفـــي مِـــن الهَـــــــــــــــــــــــــــــــــــزْلِ دَعُونـــا يـــا عُبّـــادَ السّيّاسَـــةِ والعِجْـــلِ
لقـــد لاحـــتِ اِرْهاصـــاتُ بيـــتِ الفُتُـــوّةِ ولا بـــدّ مـــن أوْبِ الأمـــورِ إلـــى الأهـــلِ
فإنّـــــا أُولاءِ بـــــالتّعلّق والـــــوَلا نُجهّـــزُ للمهـــديِّ بـــالقولِ والفِعـــلِ
صَـــدعنا بـــسِرِّ النّعـــلِ نَرفَـــعُ بُنـــدَها وحُـــقَّ لنـــا الميـــراثُ عـــن خاصـــفِ النَّعـــــــــــــــــــــــــــــــــــلِ
علـــيُّ الـــذي حـــازَ العَـــلاوَةَ تَحتَهـــا فصـــارَ مِثـــالَ القُـــدسِ فـــي الفضـــلِ والعـــــــــــــــــــــــــــــــــــدلِ
ألا إنّنـــــا أبنـــــاؤهُ وعبيـــــدُهُ ســـنخدُمُها مِـــن دون مَهـــلٍ ولا هَمْـــلِ
فـــنحنُ هـــمُ الأبـــوابُ ياأمّـــةَ الهـــوى وشـــتّانَ مـــابينَ الأشِـــعّةِ والظِّـــلّ

خمرتي

اللّيـــلُ طـــالَ مِـــن سَـــعيرِ وَجْـــدي فـــلا الدَّوا ولا الغِنـــاءُ يُجْـــدِي
ياقَـــومي هـــلْ مِـــنكمُ مَـــن رآهـــا أوْ فِـــيكُمُ مَـــن يَحْـــكي لِي رُؤياهـــا

رَحِمَك اللهُ يا قَيسَ ليلى	فنحنُ ما احْتَمَلْنا وَيْلَ لَيْلَهْ
البَيْنُ وَيْلٌ والحِجابُ نار	رُحْماكَ بالفُؤادِ ياقَهارُ
فالنَّفْسُ تَنحُبُ واللُّبُّ يَبْكي	والقلْبُ يَلْهَبُ والرُّوحُ تَشْكي
قدْ قِيلَ لي مَن الّذي تَعْنيهِ	قلتُ الّذي جُنِنْتُ مِن تَعْلَيْهِ
فقيلَ دَعْكَ واهْوى بالحِسانِ	قلتُ دَعُوني إنَّ هذا شاني
فقيلَ ما في النّعلِ مِن جَمالِ	قلتُ الّذي في اللّيلِ مِن وِصالِ
فقيلَ لِي ابْتَدَعْتَ في الوِجْدانِ	فقلتُ هذا مَشْرَبُ العِرفانِ
فقيلَ ما الدّليلُ يا وَلُوعُ	قلتُ قَمْيصُ يُوسُفَ الخلُوعُ
فقيلَ دَعْنا مِنكَ يامَجْنُونُ	قلتُ لأنّني بها مَفْتُونُ
دَعُوني أنتُم في الهَوى مِن قالُوا	فالوَجْدُ ذَوْقٌ والغَرامُ حالُ

***

سَلْتُ المجانِينَ عنِ النّعالِ	فقالوا قُطْبُ فَلَكِ الجمالِ
قلتُ ولوْ مَلْبُوسَةٌ مَدْرُوسَهْ	فقالوا تلكَ عندَنا القُدُّوسَهْ
قلتُ و هلْ تَرونَها بالعَينِ	قالوا نعَم بالعَينِ دُونَ غَينِ
قلتُ إذا تَرونَهَا آثارَا	فقالوا بلْ أنوارًا بلْ أسرارَا
قلتُ وهلْ تُشْقَونَ مِن إناها	فقالوا نَقْتَبِسُ مِن أَناها
قلتُ عَجِيبٌ هلْ لها أَيَّهْ	فقالوا والأَعْجَبُ في الهُوِيَّهْ
قلتُ وهل لِلكنْهِ ذاكَ غايَهْ	فقالوا كَلّا ما لَهُ نِهايَهْ
فقلتُ هل أدْرَكْتُموا مَن هِيَ	فقالوا هَيْهَا والوَحى مَنْهِيَّهْ
قلتُ وهلْ للسِّرِّ مِن مَدالي	فقالوا نحنُ دُونَهَا مَجالي
قلتُ غَرِيبٌ أنتُمْ مَنَ انْتُمْ	فَضَحِكُوا وقالُوا هِيَ فاكْتُمْ
فَعِنْدها قلتُ خُذُوني مَعَكُمْ	فقالوا كيفَ والنّعالُ نَعْلَكُمْ

مِن يَومِها صِرْتُ المحبَّ الجاني ... وظلْتُ لا أعْبَأُ بالفَواني

ليلاي

فؤادي جَوى بالنّعلِ واللّبُّ ذاهبُ ... وللنّاسِ فيما يَعشقونَ مَذاهبُ

أتاني هواها قبلَ أنْ أعرِفَ الهوى ... فأعطيتُهُ قلبي بكلّهِ فاستوى

إذا لاحَ سرٌّ أو تَهلّلَ مَنظرُ ... تَذكّرتُها والشّيءُ بالشّيءِ يُذكَرُ

فما لي بها وَصلٌ ولا أنا شاهِدُ ... ولكنّ طَبْعَ النّفسِ للنّفسِ قائِدُ

وَقفتُ لها عِرضي وأهلي ومالِيا ... فهذا لها عندي فما عندَها لِيا

لقد ثبتت في القلب منها لوائع ... كما ثبتت في الراحتين الاصابع

مَكثتُ زمانًا في التّسترِ والصّبرِ ... وقد ضاقَ بالكِتمانِ مِن حبّها صَدري

فكم مَسّني ضرٌّ وما نفذَ الصّبرُ ... ومَن خطبَ الحسناءَ لم يَغلُهُ المهرُ

كأيّن أتتني مِن عَذُولي محامِدُ ... مَصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائِدُ

فكلُّ امرئٍ مِنّا له ما يُناسِبُهْ ... وما ناصحاتُ المرءِ إلّا تجارِبُهْ

يقولون لي قد عذّبتكَ يامُذنبُ ... ألا حبّذا ذاكَ الحبيبُ المعذِّبُ

إليكم عنّي لاتماروا فإنّني ... أقولُ على علمٍ وأعلمُ ما أعني

فما نحنُ في التّحقيقِ إلّا بضائِعُ ... ولا بُدّ يومٌ أن تُردَّ الودائِعُ

أأركنُ للأغيارِ والنُّورُ في القلبِ ... فمن شامَ شرقَ الشّمسِ لايرضى بالغربِ

تمنّيتُ لو أني بِطيبةَ كالفرشِ ... وإنّي لأَرجوها ولو كنتُ بالنّعشِ

فلا غرو حيثُ النّعلُ يَأرُجُ طِيبُها ... هوى كلَّ نفسٍ أينَ حلَّ حبيبُها

رَواحٌ وأُنسٌ والسّعادةُ تَنفحُ ... وكلُّ إناءٍ بالّذي فيهِ يَنضَحُ

أولوا العَرجِ والأملاكِ طُرُّهُمُ صَبُّ ... ففي نُورِها كلٌّ يجيءُ ويَذهَبُ

تفانوا بها غيبًا فجُوّاهمُ الحبُّ ... فكيف بمن يهواها لو زالتِ الحُجْبُ

فهذا له وجدٌ وذاكَ مُشاهدٌ ... تعدّدتِ الأسبابُ والحُبُّ واحدُ

دعُو قلبيَ النّشوانَ بعدَ نحِيبِهِ ... فكلٌّ له عُرسٌ بذكرِ حبيبِهِ
إذا أَنِستْ رُوحي بنعلِ الحبائِبِ ... فتلك صلّاتي في اللّيالي الرّغائبِ
جعلتُها لي خِلّا لعلّني أهتدي ... وكلٌّ قرينٍ بالمقارَنِ يقْتدي
غزلتُ لها شوقي يُدَبِّجُهُ الوجدُ ... وفي عُنُقِ الحسناءِ يُستحْسَنُ العِقْدُ
لإن كانتِ التّيجانُ يُونِقُها الشِّعرُ ... فإنّها ممدوحٌ بها النّظمُ والنّثرُ
ولو أنّني أطْريتُ فيها مَدى الدّهرِ ... لَكنتُ كَمَن يَهدي المياهَ إلى البَحْرِ
حذاري حذاري يا أُولاءِ مِن الفصلِ ... فمن شكّ في المجلى كمن شكّ في الأصلِ
فما النّعلُ إلّا صورةٌ تتبسَّمُ ... وكلٌّ لبيبٍ بالإشارةِ يفهمُ
سيكشَفُ معناها إذا احتدَمَ الحشرُ ... وفي اللّيلةِ الظّلماءِ يُفتقدُ البَدرُ
بداري ياقومي هيّا للنعلِ نَشهدُ ... كما كنّا بالأرواحِ والعودُ أحمدُ

ميثاق النّعلوت

يامريدَ الوَصلِ هاهوَ الجمالْ ... قدَمُ الحمدِ تجلّتْ بالنّعالْ
أشرقَتْ شمسُ المعاني سَرمدًا ... فاحمدُوا الذّاتَ على صُبحِ النّعال
واقدُرُوها واشهدُوا الفضلَ لها ... فما هذا الكونُ إلّا بالنّعال
واقصدُوا الأبوابَ مِن أعتابِها ... مالَنا بُدٌّ سِوى بابِ النّعال
قبلةُ القصدِ ومِفتاحُ القَبولْ ... فاستغِثْ جَهرًا وقل يَا .. يا نِعال
مَن لَنا إلّاها أمًّا وأبًا ... فكفانَا حَسْبُنا تِلك النّعال
يشهَدِ الحسنَ لَها وِجْدانُنا ... وَجَبَ الحُبُّ لِهاتِيكَ النّعال
مُذْ ألَستُ الكلُّ في قَبضِتِها ... حالَما خَرَّ الوُجُودُ للنّعال
مَشهَدٌ مَن يا ثُرى يُنْكِرُهُ ... كُلّنا قُلْنا بَلى أنتِ النّعال
فَمِنَ الأرواحِ مَن لم يَرْفَعُوا ... ساجدُونَ أبدًا تحتَ النّعال

وكثيرٌ بعدَ ذاكم أبقُوا ... بعدَ أن كانوا عَبِيدًا للنّعال
شهِدُوا ثمّ تَولّوا بعدما ... حالَتِ الأغيارُ عن نُورِ النّعال
لكنِ العَهْدُ عليهِمْ شاهِدٌ ... يومَ الإقرارِ بميثاقِ النّعال
لا تقولُوا يومَ كشْفِ الحُجُبِ ... ماعَرَفنا قبلَ هذا ما النّعال
حيثُ أنَّ الثّقلينِ زُمّةً ... يُحشرونَ إلى سُلطانِ النّعال
تَستَوي يومَئذٍ فوقَ الورى ... حِينَها تَجتَلِي أسرارُ النّعال
فيَخِرُّ الخلقُ طُرًّا سُجَّدًا ... إلّا مَن كان كَفُورًا بالنّعال
سيقولُ الجاحِدُونَ عِندَها ... لَيتنا كنّا عبيدًا للنّعال
لِمنِ المُلكُ لِمن حِينئذٍ ... للنّعالِ للنّعالِ للنّعالْ
فالموالُونَ لَها في ظُلَّلٍ ... في أمانٍ وهَناءٍ بالنّعال
والأعادي في اضْطِهادٍ ونَكالْ ... يَجْرَعُونَ الوَيلَ مِن قَهْرِ النّعال
سَوفَ يُجلى يَومَها كُنهُ الكثِيبْ ... عندَما تُبْسَطُ أعتابُ النّعال
مُستَوى الأقدامِ عَرْشُ المُدَّلى ... يَنْتَهي إدراكُنا عندَ النّعال

عواطف النّعال

يانعالَ الحُسنِ جُودي وِصالَا ... واغدِقي الوِجدانَ مِنكِ جَمالَا
يا نعالَ الأمّ قلْبي دَنِفٌ ... فاحضُنِيهِ وارْضِعِيهِ دَلَالَا
يانعالَ اللّطفِ لُطفًا وَعَطْفًا ... عبدُكِ المسكينُ يَرجُوا نِزالَا
يانعال القُدْسِ إنّي وَضِيعٌ ... أرْتَجِيكِ أنْ تقولي تَعالى
يانعال الأوْجِ هَيهاتَ هَيها ... بِرُجكِ الغالي علَينا تعالى

يانعالَ الحبِّ أنتِ المرادُ — لَثْمُكِ الفتحُ وإلّا فلا لا
يانعالَ السَّعدِ أنتِ الحياةُ — ولَوَ انَّ الوَصلَ عزَّ مَنالا
يا نعالَ الأنسِ أنتِ النّعِيمُ — ولَنَ ارْضى بالجِنانِ مآلا
يانعالَ الوصلِ أنتِ الكثيبُ — كيف لا والرُّسْلُ تَرجُو وِصالا
أنت بَحْرُ الجُودِ رُوحُ الوُجُودِ — فُقْتِ كلَّ الممكناتِ كمالا
جَلَّ مَن سَوّاكِ عرشًا مَجِيدًا — حتّى ظَلْتِ لِلنُّزُولِ مَجالا
فانْزِلي نَعلُ اسْتواءَ عَلينا — كيما نَبقى للشّراكِ مِثالا

العزّة

مَرِّغْ فُؤادَك بالأعتابِ وازْدَحِمِ — عسى يَقولُون هذا النّعلُ فالْتَثِمِ
فالعِزُّ أوَّلُهُ ذُلٌّ ومَسكَنَةٌ — إنْ لم تَنَلْ سُلطَةً تُضافُ لِلخَدَمِ
ألم تَرَ النّعلَ مِن جِلدٍ ولكنّها — عَلَتْ على العرْشِ في مَعيّةِ القَدَمِ
صارَتْ ومِن بعدِما ذَلّتْ بأعتابِهِ — تاجًا لِهاماتِ أُولي العزمِ في القِمَمِ
باتَتْ ومِن حيثُما جَدّتْ في خِدْمَتِهِ — مَولًا على كلِّ ذي يدٍ وذِي قدمِ
فاخْضَعْ لَها ياقُلَيْبي وَكُنَ ارْضًا لها — لَعلّها تَستَوي عليك بالكرَمِ
واسْجُدْ لَها سَرمَدًا وَوَحِّدِ المشْهَدَ — وقلْ حنانَيكِ يا نِعالُ لا تُحْرِمِي

ظلال الأعتاب

بــين وجــد النّعــال والآل معنــى ... قــاب قوســين للوصــال أو ادنى
هم بهـــم وافـــنى في فنـــاهم وإلّا ... فشـــهود الحبيـــب لـــن يتســـنّى
ذاك شـــأو إدراكـــه يتعـــزز ... رامـــه العـــزم قـــدما فتجـــنّى
في ظـلال الأعتـاب قـالوا وقـالوا ... أيـــن نحـــن مـــن النعـــال وأنّى
فتمســـكن له لـــكي تـــتمكن ... مـــن تعـــنّى لا بـــدّ أن يتهـــنّى
آه آه إنّ الهــــوى ذو شجــــون ... وغــرام التّهــامي أشجــاه فتّــا
يا حبيــبي رحــماك كـن لي طبيــبي ... فقليـــبي إليـــك حـــنّى وأنّى
ســـيدي إنّـــني يتـــيم متـــيّم ... قـــد توليتـــك فهـــل تتبـــنّى
بـــت لا أرتجـــي ســـواك خلـــيلا ... بيـــــد أنّي بعبـــــدكم أتكـــنّى
فـــأنا مـــن قضـــيت فـــيكم نحـــبي ... طالمـــا ظلـــت بالهـــوى أتغـــنّى
فالرّجـــاء الرّجـــاء أنظـــر إلينـــا ... أنـت إن تـرضى يـرضى ربّـك عنّـا
فـــافتح البـــاب يا حجـــاب المحيّـــا ... وتـــدلّى علينـــا كي نتـــدنّى

وقلت عفى الله عني :

سمــتْ روحي نحــو النّعــل تخطــبُ وصــلَها ... فليتهـــا ترضـــاني خـــديما ومـــن أنا
ألا رشـــفةٌ تفنيـــني فيهـــا مـــسرمدا ... لأبقـــى نعـــالا للحبيـــب بـــلا أنا
فمـــا خطـــبي والأمـــلاك تَســـعى لقربهـــا ... فســـبحان مـــن باتـــت تحـــرم بالأنا

وقلت عفى الله عني :

ألا ليــت شــعري هــل أبيــتن ســاجدا ... أمــرغ وجهــي في غبــار ترابهــا
بطابــةَ حيــثُ النعــل طــاب نَســيمها ... لعــليَ أحظــى مِــن عبيــقِ رحابهــا

وقلت عفى الله عني :

ليسَـــتْ مقامـــاتُ الحريـــري عِنـــدي ... سِـــوى مِـــنَ اللّغـــوِ الّذي لا يُجْـــدي
فحُقُّـــهُ وهْـــوَ الأديـــبُ الغـــالي ... أنْ يَنســـج البَـــديعَ في النِّعـــالِ

وقلت عفى الله عني :

صِـــيحي يا رُوحي ونُـــوحي واصْرخي ... ياجـــمالَ النَّعـــلِ وَصـــلًا سرمـــدا
آذوي الوِجـــــدانِ قولـــوا مِثْلَنـــا ... قـــبلةُ النّعـــلِ وإلا فـــالرّدى

وقلت عفى الله عني :

طـارَ وجْـدي عارجًـا نحـوَ الوّصـالْ ... راح لا يَرجُـوا سِـوى أُنسِ الجمـالْ
إلّا تَـــرضى يا عزيـــزٌ مَشـــهدًا ... فتـــدارَكنا اســـتواءً بالنّعـــالْ

وقلت عفى الله عني :

هـوى وجْـدي بالنّعـلِ حـتّى جَـوى ... فصـــــارَتْ غـــــذاءً له وَدَوا
فلـــو شَـــقَ صـــدريَ عــنْ قلْبِـــهِ ... تَـراهُ عـلى شَـكلِ مَـن قَـدْ هـوى

وقلت عفى الله عني :

فــؤادِي يُنــادي النّعــالَ النّعــالْ ... أبى إلّا عِشـــقَ جَـــمالِ الجمـــال
فلـــو فـــاضَ بُـــركانُ مُهجتِـــهِ ... لَخَـــطَّ النّعـــالَ النّعـــالَ النّعـــالْ

وقلت عفى الله عني :

قالـت النّعـل هيّـا هـل مـن مريـد ... حيّهـــل عـــلى الجمـــال الفريـــد
قلنـــا أهـــلا ومرحبـــا بالحبيـــب ... حبـــذا إنّنـــا عبيـــد العبيـــد

وقلت عفى الله عني :

إذا مـــا تـــوارى محـــيّ الجـــلال ... فـــدونك هـــذا جـــمال النّعـــال
ألا هم بهـــا يالطيـــف المـــزاج ... فـــإنّ الجميـــل يحـــب الجمـــال

وقلت عفى الله عني :

إن تبـــصّرت موطـــأ النعـــل حقـــا ســـتراه مـــن الغـــرام شـــفاها
أو جباهـــا رجـــت مـــن الذل جاهـــا أو قلـــوبا بـــه تـــروم شـــفاها

وقلت عفى الله عني :

فلـو قيـل للعـرش العـلى مـالذي تـرجى لقـــال منـــاي أن أكـــون تـــرابا
لعـــلى النعـــال حيـــنما تتـــنزل أكـون لهـــا فرشـــا تعالـــت جنـــابا

وقلت عفى الله عني :

أغـــبط النعـــل لوصـــال الحبيـــب ليتـــني كنـــت هاهنـــالك نعـــله

وقلت عفى الله عني :

ومـــا رفـــرف المعـــراج إلا نعـــاله تفرعـــت الأنـــوار والـــسر واحـــد

الناهوت

حرف الهمزة

شُمُـــوسُ الجَلَا أَمْ بُدُورُ الخَلَاءْ عُرُوشُ العُلَى أَمْ جِنانُ الكَـلَأْ
بَـلى إنَّـــهُ النَّـــعْلُ ذاكَ العَمَاءْ مِنَ النُّـورِ لا مِن تُرابٍ ومَـاءْ
تَقَدَّسَ ضِئْـضِئُ ذاكَ السَّناءْ
تَخَـــدَّرَ فـــي مَـــأْرَزَانِ الأَنا يَجُـــوبُ بِأَقْـطارِ ذاك الفِـنا
رَبِيـــعًا رَضِـــيعًا مِـــنَ المُـدَّنى ومـا بَرِحَ البَطْـنَ يُسْقى الفَـنا
تَقَدَّسَ ضِئْـضِئُ ذاكَ السَّناءْ
لهُ نَهْـمَةٌ في كُـــؤُوسِ السَّـــحَرْ وَهِمَّـــةُ عَـزْمٍ تُجارِي القَـدَرْ
فَلا يُـــدْرَى هَيْهـاتَ مِمَّا صَدَرْ ولَنْ يُجْـــزَمَ المُبْتَـدى بالخَـــبَرْ
تَقَدَّسَ ضِئْـضِئُ ذاكَ السَّناءْ

حرف الباء

فَأنّى بِـهِ حَيــثُ كُـمُّ الغُيُـوبْ وحَيثُ غياباتِ كَهْفِ الجُيُوبْ
وحيثُ مَتاهاتِ طَمْسِ الغُرُوبْ فَمَن يَنْحُـوا مَهْمَهَا لَن يؤُوبْ
أَلَا إنّها دَرْجُ غَيـبِ الغُيُـوبْ
تَجَــأْجَـأَ عَـزْمُ الوَحُـوث فَلَمْ يُجَارُوا وَلَـوْ قَــدَمًا مِنْ قِدَمْ
فَأبْـصِرْ بِأهْــلِ العُـرُوجِ وهُمْ حَيـارَى فَكيفَ بِـذاتِ القَدَمْ
أَلَا إنّها دَرْجُ غَيـبِ الغُيُـوبْ
تَقُـولُ وحُـقَّ لَها أنْ تَصُــولْ أَنَا رَبَّــةُ المَجْدِ بِنْتُ الأُصُولْ
فَمَنْ يَـدَّعِي في الوَرى أنْ يَطُولْ فَهَـيَّا هُــنالِكَ لا في الـنُّزُولْ
أَلَا إنّها دَرْجُ غَيـبِ الغُيُـوبْ

حرف التاء

سَــقاهَا مِـنَ أقْــدَامِهِ خَمْـرَةً فَراحَــتْ تُـذِيعُ السَّنا جَهْـرَةً
وفاضَـتْ عــلى كَـونِنا قَطْرَةً فَـنالَ مِــنَ أزْهــارِها خُضْرَةً
تَكَــبَّرَ مَن مَـدَّها قُـدْرَةً
تَــمَكَّنَ إمْـكانُنا في الوُجُــودْ فَرُحْـنا نَخُـوضُ بُحُـورُ المُدُودْ
فَلَا جِــدَّ مِـنّا ولا مِن جُحُــودْ ولَـكِنْ بِهـا قَـدْ أتانَا السُّـعُودْ
تَكَــبَّرَ مَن مَـدَّها قُـدْرَةً
فَتِــلْكَ عَمُـودُ عُــرُوشِ السَّمَا فَــمَا الأُفْــقُ إلّا بِها قَـدْ سَمَا
فلَوْلاها غَيــثُ الهَــنا ما هَمَى ولَــولاها رَوْضُ الـبَهَا مـا نَمَى
تَكَــبَّرَ مَن مَـدَّها قُـدْرَةً

حرف الثاء

فَـدُونَكَها تِــلكَ سِرٌّ حَـدِيثْ رَقِـيمُ القُــرُوءِ ورُوْحُ الحَدِيثْ
فَـدَعْ عَنـكَ كَيفَ وأنَّى وحَيثْ وإيّــاكَ إنَّ العُقُـولَ تَعِيـثْ

ومَن يا تُرى للبَرايَا المُغِيْثْ

فَسَلْ سابِقاتِ الشُّهُـودِ وَسَلْ رَفارِفَ أهْلِ الوَحَى مَن رَسَلْ
سَيُنْبِيكَ فُرقانُ جَمْعُ الأَزَلْ بأَنَّهُ لَولاها لا مانَزَلْ

ومَن يا تُرى للبَرايَا المُغِيْثْ

ذَوُوْ العَزْمِ مِنها رَوَوْا فَرَوَوْا بِنُورِ هَواها جَوَوْا فَحَوَوْا
وَلَو بَعْدَ ما قَدْ رَأَوْا قَدْ لَوَوْا إلى ذاتِهِ وهَوَوْا لَهَوَوْا

ومَن يا تُرى للبَرايَا المُغِيْثْ

حرف الجيم

فَأَقْدِسْ بهاتِيكَ دَرْجُ العُرُوجْ وأَكْرِمْ بِها تِيْكَ بابُ الوُلُوجْ
تَراها بُرُوجٌ وَراها فُجُوْجْ ومِن دُونِ ذاكَ بُحُورٌ تَمُوجْ

فَناهِيْكَ والشِّسْعُ غَيْبُ الدُّرُوْجْ

مَقامٌ كَبِيرٌ عَظِيمٌ حَرامْ فَرِيدٌ مَجِيدٌ عَزِيزُ المَرامْ
يَحِقُّ الوُقُوفُ لَها ياكِرامْ فَقُومُوا لَها بَهْجَةً وَاحْتِرامْ

فَناهِيْكَ والشِّسْعُ غَيْبُ الدُّرُوْجْ

فَكَيفَ بِنا والعُلى سَرْمَدًا وُقُوفًا بِأَعْتابِها أَبَدًا
فَكُونُوا يا قَومِي لَها أَعْبُدًا عُكُوفًا لَها رُكَّعًا سُجَّدًا

فَناهِيْكَ والشِّسْعُ غَيْبُ الدُّرُوْجْ

حرف الحاء

إذا كانَ شِسْعُها قُطْبَ الرَّحَى فَلا تَرى إلَّا الشِّراكِ الوَحَى
فَيا فَتْحَ مَن شَطْرَها قَدْ نَحَى ويا سِرَّ مَن هامَ حَتَّى انْمَحَى

فَطُوْبى لِمَنْ بالنِّعالِ صَحَى

تَعَلَّقْ بِها يا سَمِيرَ الدُّجَى فَإلاّها قَطْ مَا نَجَى مَن نَجَى
سَلِ النَّفَحاتِ عَنِ المُرْتَجَى ومَنْ عَنْ ذَوِي الكَرْبِ قَدْ فَرَّجَا

فَطُوْبى لِمَنْ بالنِّعالِ صَحَى

تَـوَسَّلْ وَزِدْ وَلا تَخْشَى النُّهى فَـــتِلْكَ لَـنَا حُجْــرَةُ الْمُنْتَهى
فَــقِبْلَةُ قَصْـدِ الـوَرَى وَجْهُـها وغايَـــةُ دَرْكِ الـــنُّهَى كُنْهُــها
فَطُوْبى لِمَـنْ بالنِّعالِ ضَحَى

حرف الخاء

لَـهَا قَــدَمٌ فِي الـعُــلَى راسِخُ ومَجْـــدٌ لِنَهْـجِ السَمَا ناسِخُ
كَمالٌ لِشَمْـــسِ الوَرى مـــاسِخُ وَحُسْنٌ لِبَــدْرِ الـذُّرَى فاسِخُ
فَتِلْكَ لَنَا بُحْبُــحٌ باذِخُ
بُطُـونٌ تَجَــلَّتْ لَــنا أَثَــرًا كَــمَا قَــدْ تَدَلَّى الأَنا بَشَرًا
فَأَعْجِـــبْ بِهـا مَرْكَــزٌ لِلْـوَرَى وكلُّ الْمُـصادِ فِي جَوْفِ الفِرَا
فَتِلْكَ لَنَا بُحْبُــحٌ باذِخُ
لَــئِنْ تَتَــخَلّى فَــتِلْكَ الـعَمَا وإِنْ تَتَــجَلَّى فَـتِيْكَ السَّمَا
فَـهِيَ لـهُ كَـصَياصِيْ الحِــمَى وَهِيَ لَـنا جَــنَّةُ الْمُــنْتَمَى
فَتِلْكَ لَنَا بُحْبُــحٌ باذِخُ

حرف الدال

فَيا سَعْـدَ سَـــعْدٍ بِها وسَـعِيدْ فَـمَن عَشِقَ النَّعْلَ ظَلَّ سَعِيدْ
يُضَــحِّي بِـعُرْسٍ ويُمْـسِي بِـعِيدْ ولَـو كانَ يَرْمِي الهَوى مِن بَعِيدْ
فَبُشْرى لَنَا بِنِــعالِ المَجِيْدْ
كَــذاكَ عَــلِيٌّ عَــلِيٌّ بِهــا ومِــن نُــورِها ازْدادَ زَيْدٌ بَهَا
فَطُــوبَى لهـمْ كانُــوا فِي قُـرْبِها يَعِيشُـــونَ وَقْــفًا عـلى حُبِّهَا
فَبُشْرى لَنَا بِنِــعالِ المَجِيْدْ
غَبَــطْنَا صَــحابَــتَها زُمَّــةً عــلى مــا تَـسَنَّى لَهُمْ ثَـمَّةً
فَمِــن قَــدْرِها أُوْرِثُـوا حُرْمَةً وصــانَ لَهُــم جاهُــها ذِمَّةً
فَبُشْرى لَنَا بِنِــعالِ المَجِيْدْ

حرف الذال

فَــدُمْ نَحْــوَها لائِــذًا عائِـذَا   فَــلا لَن تَرى غَـيرَها مَنْفَذَا
إذا كانَ أهــلُ السَّــمَا لُــوَّذَا   فَفَــرْضٌ عَـلَينا الفَـنَا عِنـدَ ذَا
فَيَا حَبَّذَا النَّعْلُ يا حَبَّذا
فَمَــن أَوْحَى الأَنْــباءَ لِلأَنْـبِيَا   وَمَــن مَـدَّى الإلْهامَ لِلأَوْلِـيَا
ومَن رَبَّى أَهْــلَ الــوَحَى بادِيَا   ومَــن نُــورُهُ لِلْــوَرَى هادِيَا
فَيَا حَبَّذَا النَّعْلُ يا حَبَّذا
فَالَارْسـالُ تَرْشَحُ مِــن هَــدْيِها   وَالَامْــلاكُ تَرْضَعُ مِن ثَدْيِهَا
تَضَــلَّعَ جِــبْرِيلُ مــِن رَيِّهَــا   فَصارَ أَمِيــنًا عَـلى وَحْـيِها
فَيَا حَبَّذَا النَّعْلُ يا حَبَّذا

حرف الراء

أَلَا تَدْرِي مَن مَدَى رُسْلَ الوَرى   ومَن في عُرُوقِ الكُرُوبِ سَرَى
ومَــن بِخُــدُودِ الكَثِيــبِ جَرى   نَعَمْ ذاكَ عــنْ دَرْكِنا اسْتَتَرى
فَيَا لَيْتَــنا لِلْنِّعالِ ثَرَى
فَأَيــنَ العَـصَى عِنــدَ إعْجَازِهَا   وما خَـاتَمُ الْمُلْكِ مِــن رَمْــزِها
ومَا قُــدْرَةُ الرُّسْـلِ مِـن عِزِّها   فَـما الآيُ إلَّا مِــنِ انْجـازِها
فَيَا لَيْتَــنا لِلْنِّعالِ ثَرَى
فَلَــوْ ظَهَــرَتْ لِلْيَهُــودِ عَيَانْ   لَمَا احْتاجَ مُوسَى لهمْ مِن بَيانْ
لَآمَــنَ كـلُّ امْـرِئٍ فِي الكَيانْ   ولَانْجَـلَى غَيــبُ الأَنَا لِلعَيَانْ
فَيَا لَيْتَــنا لِلْنِّعالِ ثَرَى

حرف الزاي

إلَى حِجْــرِها كـلُّ غَــوْثٍ أَرَزْ   وعَــنْ جُحْرِها كلُّ قُطبٍ عَجَزْ
لِذلِكَ دِيْــوانُهُــم عَــنَّا عَــزْ   لِـمَا لَـمَا كــانَ إلَــيها رَمَـزْ

فَفَوْزًا لِمَنْ نَحْوَها قَدْ قَفَزْ

تَــرَاهَا إذَا غابُــوا غَــيْبُهُــمُ   هُنــاكَ إذا غــارُوا جَــيْبُهُمُ
وإنْ شاهَــدُوا تِــيْكَ قَــلبُهُمُ   حُضُــورُهُمُ بــلْ كَثِــيبُهُمُ

فَفَوْزًا لِمَنْ نَحْوَها قَدْ قَفَزْ

عَــلى دَرْبِهــا فــاقَ سَــيْرُهُمُ   ومِــن كَــنزِها عَــزَّ سِــرُّهُمُ
وإلّا لَــمَــا نــارَ نُــورُهُمُ   وإلّا لَــطُــوِّقَ طَــيرُهُــمُ

فَفَوْزًا لِمَنْ نَحْوَها قَدْ قَفَزْ

حرف السين

فَــذاكَ جَــمَالٌ عَــزِيزٌ نَفِيسْ   وحُسْنُ السِّوى إنْ تَجَلَّتْ خَسِيسْ
تَــذَوَّقْ لَــئِنْ كانَ فِيكَ حَسِيسْ   وَأَوْقِدْ وَقُــودَ الجَوى بالرَّسِيسْ

جَمَالُ النِّعَالِ لَطِيـفٌ أَنِيسْ

فَمَا عَـدْنُ والخُلْدُ مِـن حُسْنِها   فَــمَا هُـنَّ إلّا كــأجْــفانِها
وما العِشْــقُ والحُـبّ مِن دُونِها   فَــتِلْكُمْ لَيــلَى لِمَجْنُــونِها

جَمَالُ النِّعَالِ لَطِيـفٌ أَنِيسْ

كُــؤُوسٌ وأُنْــسٌ حُبُــورٌ حُضُورْ   وُصُــولٌ وبَسْــطٌ سُرُورٌ ونُورْ
رَبِيعٌ وعُــرسٌ عُطُــورٌ زُهُــورْ   عُيُــونٌ وَحُسْــنٌ خُدُورٌ خُمُورْ

جَمَالُ النِّعَالِ لَطِيـفٌ أَنِيسْ

حرف الشين

جَــلالٌ مِــنَ المُبْتَدَى قَدْ نَشَا   فَنارَتْ بِــهِ سُبُحاتُ الغِشَا
فَلَــو أنَّــهُ مِــن عَمَاهُ فَــشَا   لَــخَرَّ الخَلِيــلُ لَــهُ واغْــتَشَا

فَسُعْــدَى لَنَا بِرِدَاءِ الغِشَا

فَوَيــلٌ لِوَيــلِ الجَحِــيمِ بِــهِ   إذا مــا اسْتَدارَتْ رَحَى حَرْبِهِ
تَعُــوذُ بِــوَجْهِها مِــن شُــهْبِهِ   فَــيا لَيْــتَهُ دام في غَــرْبِهِ

فَسُعْــدَى لَنَا بِرِدَاءِ الغِشَا

أَلَم تَــكُ تَــكْفيهِ سَطْوُ العِدَا بَــلى يَتَعــالى عَــلَيهِمْ يَـدَا
ولَكِنَّــهُ حِــكْمَـةٌ مــابَــدَا فَلَــو كانَ كانَ تَحَــدَّ الرَّدَى
فَسُعْــدَى لَنَا بِرِدَاءِ الغِشَا

حرف الصاد

كَــمالٌ هُــوَ الحَـقُّ لا بالقَصَصْ ولَو لَم يَكُن قَدْ أتَى فِيـهِ نَصْ
فَـذاكَ عُمُــومٌ وهَــذا أَخَـصْ وهَلْ مَن غَوى مِثلُ مَن قَدْ خَلَصْ
فَوَيْلٌ وَوَيْــلٌ لِمَنِ انْتَقَصْ
يَقُــولُــونَ ما هُــوَ إلاّ نِـعالْ ولَكِـن لِمَـن هُـوَ لِلْمُتَـعالْ
فَقَـدْرُ النِّـعالِ بِـقَـدْرِ الـرِّجالْ فَأَقْــدِسْ إذًا بِنِعــالِ الكَمالْ
فَوَيْلٌ وَوَيْــلٌ لِمَنِ انْتَقَصْ
فَلَسْــتُ أَرَى النَّعـلَ إلاّ مِثالْ بَــلَى بَـلْ أَراهُ جَمالُ الوِّصالْ
وَلَسْــتُ كَمَـنْ يَعْتَنِي بالخَيَالْ ولَا مَـن يُرائِي بِـنَقْشِ المَـقالْ
فَوَيْلٌ وَوَيْــلٌ لِمَنِ انْتَقَصْ

حرف الضاد

فَـدونَـكَ لَا تَــعْبَأَنْ بالنَّقِيــضْ وَدَعْ دَعْــوى كلِّ عُـتُلٍّ بَغِيضْ
فَـلا يُــنكِرِ النَّعْـلَ إلاّ مَرِيضْ خَبِيـثُ المِـزاجِ غَرِيقُ الحَضِيضْ
فَيَا لَيْتَها بالجَــمَالِ تَفِيْضْ
فَسَـلْ مُـفْتِياتِ الهَوَى والفُتُـونْ إذا ما بَـدَى النَّعـلُ ما سَيَكُونْ
ولا سِيَّمَا فِي النَّــوى والشُّجُونْ يَقُلْــنَ فَـمَا يَـبْقَى إلاّ الجُنُــونْ
فَيَا لَيْتَها بالجَــمَالِ تَفِيْضْ
وسَـلْ قَـيسَ لَيلَى سُؤالًا قَرِيبْ لَكَ الـدُّنيَا أمْ نَـعلُ لَيلَى نَصِيبْ
لَقَالَ سُــؤالٌ عَجِيــبٌ غَرِيـبْ أَيَـرْضَى المُحِـبُّ بِغَيرِ الحَبِيبْ
فَيَا لَيْتَها بالجَــمَالِ تَفِيْضْ

حرف

الطاء

أَنَبْغِي سِـواها لَـنا واسِـطَهْ   وهِي الّـتي لَم تَـزَلْ باسِـطَهْ
فَبِالعَـينِ ظَلَّـت لَـنا رابِطَهْ   طِـوالَ الدُّهُـورُ بِـنا حائِطَهْ
أَلّا هَلْ نَراهَـا لَنَا هابِطَهْ
شَفِيـعَةُ كـلِّ الـوَرى في غَدٍ   غِـياثُ الـبَرَايا مِـنَ النَّكَـدِ
فَـتِلكَ لَـنا غايَـةُ المَقْصِـدِ   وَلَسْـنا بِـنَلْوِي عـلى أَحَـدِ
أَلّا هَلْ نَراهَـا لَنَا هابِطَهْ
فَـفي القَـبرِ تِـلكُمْ جُـنَّتُنا   وفي الحَشْـرِ تِـلكُمْ حُـجَّتُنا
وفي الخُلْـدِ تِـلكُمْ جَـنَّتُنا   وفي الكُتُـبِ تِـلكُمْ وِجْهَـتُنَا
أَلّا هَلْ نَراهَـا لَنَا هابِطَهْ

حرف الظاء

على وَصْـلِها يا فَقِيـهُ فَـحُظْ   وعَـن فَضْلِها يا خَطِيبُ فَعِظْ
وأَنْـتَ بِهـا يا مُرِيـدُ أَحَظْ   فَلا يَسْتَوِي الأَعْمى مَعْ مَنْ لَحَظْ
فَثَابِرْ عَلى عِـشْقِها وَأَلِـظْ
فَـأَهْـلُ التّعَـلُّـقِ أَوْلى بِهـا   بِـمَـشْـهَـدِها وبِـمَـشْرَبِهـا
فَدُومُـوا جَمِيـعًا على بـابِها   تَـنَالُوا الـوصال بـأَعتابِها
فَثَابِرْ عَلى عِـشْقِها وَأَلِـظْ
فَمَـن يَـدَّعِي الحُـبَّ مِن غَيرِها   كَمَنْ قَدْ أَتى البَّيتَ مِن ظَهرِها
فَـلا سَـيرَ إلاّ بـأَنْـوارِهـا   ولا عَـرَجَ إلاّ بـأَسْـرارِهـا
فَثَابِرْ عَلى عِـشْقِها وَأَلِـظْ

حرف العين

تَحَقَّـقْ بِهـا تِـلكَ جَمْعُ الجَمِيعْ   تَـراها لِكلِّ الـبَرَايا رَبِيـعْ

وِسامٌ رَفِـيعٌ وَوَصْــفٌ بَدِيعْ　　وحِصْنٌ مِـن البَـينِ دِرْعٌ مَنِيعْ
فَمَا فازَ بالوَصْلِ إلاَّ الضَّرِيعْ
لَكَ الوَصْــلُ والمُنتَهى والفُتُوحْ　　إذا مـا رَأَيــتَ النِّعالَ تَلُـوحْ
هُــناكَ تُـعَلِّيكَ فَوقَ السُّطُوحْ　　رُوَيْــدَكَ بالـسِّرَ لَا لَن أَبُوحْ
فَمَا فازَ بالوَصْلِ إلاَّ الضَّرِيعْ
عَــرَجْنَا بِها فَــوقَ كـلِّ سَمَا　　وجُــزْنا بِهــا عارِضَاتِ العَمَا
فَــدَعْنِي وسَـلْ كلَّ مَن قَدْ سَما　　أَرَايْــتَ غــيرَ النِّعالِ العَمى
فَمَا فازَ بالوَصْلِ إلاَّ الضَّرِيعْ

حرف الغين

ولا تَتَعَـجَّبْ هُــنا فَــتَزِغْ　　تَــقُلْ لِي الآنَ هَــذا بــزَغْ
فَــكَلاَّ ولَكِــنْ قَــدِيْماً نَــبَغْ　　ونــالَ مِـنَ السِّرِّ حتّى بَلَغْ
تَعَظَّمَ مَــنْ لِلْنِّعالِ صَبَغْ
نَــعَم كُــنْهُها باتَ عَنّا خَلِي　　إلَـى الآنَ لازالَ كــالأَوَلِ
ولَــوْ أنّــهُ في العُــلى يَنْجَلِي　　ولَــكنَّــهُ رَحْمَـةً يَــدَّلِي
تَعَظَّمَ مَــنْ لِلْنِّعالِ صَبَغْ
فَنَشْهَــدُ أن لا شَرِيــكَ لَــها　　ولا نِــدَّ لاجِــنسَ لامِثْلَها
ونَشْهَــدُ أنَّ الــورى كُلُّــها　　شِــراكٌ لَهَا تَــرْتَجِي وَصْــلَها
تَعَظَّمَ مَــنْ لِلْنِّعالِ صَبَغْ

حرف الفاء

كُنُــوزٌ تَــوارَتْ وَراءَ الصُّدُوف　　كَما يَختَفِي المَعْنَى خَلْفَ الحُرُوف
ولَو أنّها في السُّقُــوفِ تَطُــوف　　تُحالُ ما بَــينَ الدُّنا بالرُّفُــوف
فَمَا نَالَها إلاَّ أَهْلُ الوُقُــوْف
يُشاهِدُها القَومُ خَلـفَ السُّتُـورْ　　إذا مــا تَدَلَّتْ بِــدُونِ خُمُورْ
فأَعْــظِمْ بِعُشَّـاقِ ذاتِ الخُدُورْ　　أُولَئِكَ أَهــلُ الهَــوى والخُمورْ

فَمَا نَالَهَا إلاَّ أَهْلُ الوُقُوفْ

تَلُوحُ بِأَنْوارِ يُوحِ القِدَمْ تَفُوحُ بِأَسْرارِ رُوحِ القِدَمِ
فَكَمْ مِن فَتًى في هَواهَا اصْطَلَمْ إذا بَانَ حاجِبُ بِنْتِ الكَرَمْ
فَمَا نَالَهَا إلاَّ أَهْلُ الوُقُوفْ

حرف

القاف

ألا إنَّهَا حَضْرَةُ المُلْتَقى فَفِرُّوا جَمِيعًا إلى المُرْتَقَى
صَفاءٌ سَنَاءٌ فَناءٌ بَقَا فَهَيَّا يَاصُوفِي لِكَيْ تَعْلَقَا
فَأُنْسًا لِمَن بالنِّعالِ اسْتَقَى
فَتِلْكَ صُدُوفُ فُصُوصِ الحِكَمْ بَلِ انَّهَا نُونُ مِدادِ القَلَمْ
فَكَمْ فاضَ مِنها رَقِيمٌ وَكَمْ تَرَبَّتْ على حِجْرِها مِن كَلِمْ
فَأُنْسًا لِمَن بالنِّعالِ اسْتَقَى
فَذلِكَ مِيزانُ أَهْلِ الشُّهُودْ يَرَونَ النِّعالَ دَلِيلَ العُهُودْ
فَمَن رامَ فَيضَ بُحورِ المُدُودْ عَلَيهِ مِنَ المَهْرِ وَقْفُ السُّجُودْ
فَأُنْسًا لِمَن بالنِّعالِ اسْتَقَى

حرف

الكاف

تَنَشَّقْ ثَراها فَكَمْ مِن مَلَكْ تَفانَى بِالأَعْتابِ حتَّى مَلَكْ
فَفاقَ بِهَا كُلَّ ذاتِ فَلَكْ وإنْ تَرْتَجِي ذاكَ مِنها فَلَكْ
فَوَجِّهْ إلى شَطْرِها مَشْهَدَكْ
فَمَن خَدَمَ الشِسْعَ حازَ الثَرى وذاقَ مِنَ الوَصلِ لَثْمَ الثَّرى
وسادَ على طَورِ دَورِ الوَرى وخَلَّفَ أَهْلَ المعَالِي وَرَا
فَوَجِّهْ إلى شَطْرِها مَشْهَدَكْ
فَذاكَ هُوَ السَودُ والسُّؤْدَدُ كَذاكَ هُوَ المَجْدُ والمَحْمَدُ
وَهاتِكُمُ المَورِدُ المَدَدُ فَكُونُوا لَهَا خَدَمًا تَسْعَدُوا
فَوَجِّهْ إلى شَطْرِها مَشْهَدَكْ

حرف اللام

فَسارِعْ إلى حَوْزِ قَصْبِ الوِّصالْ ... وآتي عــلى مِـثْلِها بالمُــحالْ
ولا تَرْضــى إلاّ بِلَــثْمِ النِّــعالْ ... فـإنَّ الجَمِيـــلَ يُحِـبُّ الجَمالْ
أَلّا فالنِّعالَ النِّـعالَ النِّــعالْ
وشاهِـــدْ عـلَيها جَمالَ الحَبِيبْ ... لِكَي تُسْقى مِن خَنْدَرِيسِ الكَّثِيبْ
ولا تَبْـغي إلاّ الوِّصالَ نَصِيـــبْ ... وَلَو دُمْتَ في المُنْتَفَى والنَّحِيبْ
أَلّا فالنِّعالَ النِّـعالَ النِّــعالْ
أَلَا قُـــلْ لِمَــن يَشْـكِي أَوْحالَهُ ... وَيَـــنْعِي مَـــقامَـــهُ أَوْحـالَهُ
بِـــأَنَّ هَـــوى النَّعْـلِ أَوْحَى لَهُ ... وَلَــوْ سـالَ قَلْبَـــهُ أَوْحَى لَهُ
أَلّا فالنِّعالَ النِّـعالَ النِّــعالْ

حرف الميم

فَــهادُونَــكُم يــا رُوادَ القَــلَمْ ... هُـــنالِكَ تُجْـــنى كُنُـوزُ الحِكَمْ
تَفانَــوا بِمَـــدْحِ نِــعالِ الكَـرَمْ ... وإلاّ فَـــذاكَ الصَّـمَمْ والبَـكَمْ
فَمَدْحُ سِوَى النَّعْلِ قَدْحٌ وَذَمْ
فَمِــن حَوْضِــها إغْتَرِفْ ياأَدِيبْ ... ومِن رَوْضِها إقْتَطِفْ ياخَطِيبْ
فَـسِرُّ النِّعالِ عَجِيـــبٌ غَـرِيبْ ... خَصِيبٌ رَحِيبٌ قَرِيبٌ مُجِيبْ
فَمَدْحُ سِوَى النَّعْلِ قَدْحٌ وَذَمْ
جَعَلْـــتُ مَـــدِيحِي لَها وَصْـلَةً ... عَـــسَى أَنْ تَـــدُومَ لَنا خُـلَّةً
فــإِنِّي عُبَيـــدٌ لَــها جُمْـلَـةً ... أُنــادِيها يـــا رَبَّــتِي نَـزْلَةً
فَمَدْحُ سِوَى النَّعْلِ قَدْحٌ وَذَمْ

حرف النون

دَعُــونِي ودَعْـوايَ أَوْ وَدِّعُــونْ ... إِلَيـــكُمْ فإنْ شِـئْتُمْ بَــدِّعُونْ
لَقَـدْ فارَ وَجْـدِي وجَنَّ الجُنُونْ ... وفاضَ غَرامِي بِمَـوجِ الشُّجُونْ

هِيَ الرُّوْحُ والقَلْبُ ماءُ العُيُونْ

لِكُــــلِّ امْـــرِئٍ مُـشْتَهَى قَلْبِـهِ   وَهَـــلْ يُذْنِبُ القَلْبُ فِي حُبِّهِ
فإِنْ كُنتَ تَقْـوَى عــلى سَلْبِهِ   فَأَنْـــقِظْ فُــؤادِيَ مِــن ذَنْبِهِ

هِيَ الرُّوْحُ والقَلْبُ ماءُ العُيُونْ

كـــذلِكَ حـــالُ الغـرامِ إذَا   حَـــلَى صارَ فِي مُهْجَتِي كالغِذَا
أَلَا لَيْتَـــنِي تَحْــتَهـــا كالحِـــذَا   لَأَلْـــثُمُ لَثْـمًا فَـــيَا حَبَّـــذَا

هِيَ الرُّوْحُ والقَلْبُ ماءُ العُيُونْ

حرف الهاء

أَلَمْ يـــانِ أَنْ تَـــنتَهُوا يا نُهــا   فَـــلا تَزِنُـوا وَجَـدَنَا بالنُّهى
فإِنَّ الحِـــجَا هاهُـــنا قَـدْ وَهَى   ونَـــقْدُ اللَّبِيـــبِ هُـنا قَدْ سَهَا

فإِنَّا جَمِيـــعًا عَبِيـــدٌ لَهَا

لَـئِنْ شَقَّى أَهْلُ التَّصابِي الجُيُوبْ   فـــإِنَّا عَـــلَيها نَشُـقُّ القُلُوبْ
وإِنْ خاضَ أهلُ العُرُوجِ الغُيُوبْ   فـــإِنَّا إِلَيها نَجُـــوبُ الجُيُوبْ

فإِنَّا جَمِيـــعًا عَبِيـــدٌ لَهَا

أَلَا فاشْـــهَدُوا عِنــدَ سَيِّـــدَتِي   بـــأَنَّ هَـــواها غَـــدَا مِلَّتِي
فَـــتِلْكَ وحَـــقِّ الهَـوَى مُهْجَتِي   زَهِـــدْتُ بِها حَـتَّى فِي جَنَّتِي

فإِنَّا جَمِيـــعًا عَبِيـــدٌ لَهَا

حرف الواو

إذا كانَ نَجْـــمُ الوَحَى قَـد هَوى   فَكيـــفَ بِنا لا نَـذُوقُ الهَوى
بَـــلى بـــلْ يَحِـقُّ عَلَينا الجَوى   ولَا سِـــيَّمَا بَعـدَ فَـرْطِ النَّوى

أَلَا إِنَّ لَـــثْمَ النِّعالِ الــدَّوَا

أَيَا حادِيَ الشَّـوْقِ غَـــنِّي بِهـا   لِأَصْـــلَى الصَّبابَـــةَ فِي جَنْبِها
ويـا عاصِرَ الخَمْـــرِ مِـــن حَبِّها   أَفِـضْها ولَـوْ مِـتُّ فِي حُبِّهَا

أَلَا إِنَّ لَـــثْمَ النِّعالِ الــدَّوَا

سَـــأُعْلِنُها جَهْـــرَةً في المَـــلا بـــأَنّي حَبيـــبُ نِـعالُ العُلى
فمَــنْ شاءَ يُـؤمِنْ ومَـن شاءَ لَا فَهـــذا مَــقامي لَـكُم إنْجَـلى
أَلَا إنَّ لَـــمُ النِّعالِ الــدَّوَا

حرف

الياء

فـــيَا بَهْجَـــةَ الرُّوحِ عُودِي إلَيْ أَيَا مَــنْ فَرَضْــتِ الغَـرامَ عَلَيْ
فقُــولِي رَجاءً على الوَصْلِ حَيْ وَمِــن بَعْـدِ ذَلِكَ لا أبْغِي شَيْ
فَنَرْجُوكِ قُــوْلِي إلَيَّ إلَيْ
حَــنانًا حَـــنانًا وعَـطْفًا بِــنَا تَجَــلِّي دَوامًــا لِمَجْلِسِـــنَا
فَنحْــنُ لَــكِ هَـلْ تَكُـونِي لَنا فإنَّا نُــرَجِّي بِــكِ فَـــتْحَـنَا
فَنَرْجُوكِ قُــوْلِي إلَيَّ إلَيْ
فَلَبَّيْـــكِ نَحْــنُ لَدَيــكِ خَدَمْ فَلَبَّيْـــكِ سَـعْدَيكِ قُـولِي نَعَمْ
فَهـــذا شِـــعارُ المَشاعِــرِ تَمْ وأَمَّا غَــرامِيْ فَلَــنْ يُخْـــتَتَمْ
فَنَرْجُوكِ قُــوْلِي إلَيَّ إلَيْ

إنتهت ولله الحمد

الخاتمة

خلاصة

هيهات هيهات ، ماهذه إلّا قطرة من محيط خضم ، وإلّا فمتى حصر المطلق بالتّعداد ، وإن لحضرة النّعل من الكمال ، مالمحتدها الإطلاقيّ من العظمة ، حيث أنّها له مثال .

إذا فما من كمال أنانيّ ، إلّا وللنّعال به مظهرية مثاليّة ، كرسالة دلاليّة على محتدها ، وآية لإعجاز العالمين عن البدهوت ، فقس على هذا واستلهم معرفة الكمالات النّعلوتيّة ، فإنّ هذه الرسالة ماهي إلّا كقاعدة نموذجيّة ، أمّا التّفريع والتّفصيل ، فهو مسيرة دهر في العرفان .

الحكم النعلوتيّة

وهذه شعارات إستخلصنا فيها بعض مامضى ، واستدركنا فيها بعض ما لم يذكر :

* هذا بالنّعلوت ، فكيف بالأقدام .
*كن نعلا ، تكن أعلى .
* قلّ النّعال ، ثمّ ذرهم في عمهم يخبطون .
* عزّة النّعل ، على رقبة الإمكان .
* الكثبانُ تحتَ ظلالِ النّعال .
* هذا القميص ، فأين يعقوب .
* النّعل عرش ، والكلّ فرش .
* الشّراك مقبرة العزائم .
* ليس النّعل إلّا نحن يا عبيد .
* تبصر بالكثبان تراها نعالا ، تواري أقداما .
* من أبي النّعال ، أبي الوصال .
* كفى بالنّعال دليلا على الأقدام .
* فقه النّعال من علوم العرفان والوجدان .
* ما وجد من فقد النّعال ، وما فقد من وجد النّعال .
* ما موطئ الشّراك ، إلّا الجباه والشّفاه .
* ما شبع محبّ ، من النّعال.
* الدنيا لا تساوي شسع ليلى ، عند مجنونها .
* تعلّق بالنّعال ولا تبالي .
* ضلّ الوحوت في النّعلوت ، فكيف بالهاهوت .
* الحضرة وقف على النّعال .

* هذا التّابوت يا طالوت .
* كفاك بأصحاب النّعال شرفا .
* هذه سفينة طه ρ ، فهل من مجيب .
* طِبْ كطيبةٍ بالنّعال .
* بتلك النّعل كنتم خير أمّة .
* لنعال الحبيب ρ ، أطيب عند الله Ψ من العالمين .
* بؤ يادهر بشسع النّعال .
* سرّ النّعلوت يَتَبّؤُ بالبدهوت .
* كل ولي على قدم نبي ، وكلّ الأنبياء على نعل سيّد الوجود ρ .
* عجبت لمن شمّ النّعال كيف يعيش ، وعجبت لمن لم يشمّها لماذا يعيش .
* ما الفخر إلّا بالنّعال .
* ألا لا سرّ إلّا النّعال ، ألا لافتح إلّا بالنّعال .
* إنّ حرمة النّعال ، من شعائر الله Ψ .
* كفى بك شرفا ، أن تضاف إلى نعال الكمال .
* إن أردت الكمالَ ، فكن نعالا .
* ياطالب الوصال ، إقبض قبضة من أثر النّعال .
* ما ترك من التعلّق شيئا ، من هام في النّعال .
* باتت النّعال ، وحدة لقياس الكمال .
* لإن كانت للخواص خلع ، فإنّ النّعال خلعة خواص الخواص .
* إنّ حملة العرش ليغبطون النّعال ، على حمل الأقدام .
* لا تسل عن النّعلوت ، إلّا أرباب الجبروت .
* مايدريك مايسري من القدموت إلى النّعلوت .
* من لم تجذبه النّعال ، فلا وجدان له .
* ألا لا إحسان ، لمن لم يتولّه بالنّعال .
* كم من منكر للنّعال ، والنّعال تمدّه .
* تبصّر بالنّعال تراها نواميسا ، تواري قواميسا .

* سل الحضائر من أرساها ، وسل العروش من سواها ، وسل الأبراج من أسماها ..، فسيقولون النّعال النّعال .
* لا جرم أنّ مثل تلك النّعل ، لا تخلع .
* يكفيك أنّه لا باب إلى الوصل ، إلّا خاصف النّعل .
* كفى بالنّعال سبحة وحجابا ، وكفى بها برزخا وبابا ، وكفى بها محجّة وغلابا ...
* نحن عبيد النّعال ، ولافخر .

شبهات وردود

● لإن تقل : هل كان ساداتنا الصّحابة يعلمون هذه الأسرار ، التي تدّعيها للنّعل القدير ؟
أقول : أجل ، بل وكانوا يعرفون أكبر من هذا ، بملايير المرات ، ولكنّهم إلتزموا بأمر{ كلّموا النّاس على قدر عقولهم } فكان ذلك التستّر منهم ، في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .
● وإن تقل : لما يتكلّم فيها أهل الفتح من قبل ؟
أقول : لأنّها من زينة العرائس المخدرات ، وأنّى يرى العرائس المجرمون .
● وإن تقل : أليس في هذا غلو وإطراء ؟
أقول : هيهات هيهات ، بل إنّما فيه تقصير واجتراء ، وإلّا فمتى بلغنا الحدّ الواجب علينا ، حتّى ندّعي بأنّنا تجاوزناه ، ومن يقدر مقدار حضرته ρ حقّ قدرها ؟ وما لكمالاتها من غاية ينتهي العارفون إليها .

ولله درّ المحبّ النبهاني ، حيث قال :

صِفهُ وَامدَح وَزَكِّ وَاشرَح وَبالِغ وَليُعنكَ المَصاقعُ البُلَغاءُ
فَمُحالٌ بُلوغُكَ الحَدَّ مَهما قُلتَ أَو شِئتَ مِن غُلُوٍّ وَشاؤوا

● وإن تقل : لقد قلت أنّ ما هذه المعارف إلّا على قدرك أنت كمريد ، فهل لازالت هناك حقائق أكبر من هذا عند العارفين ؟
أقول : نعم إنّه السّرّ وما أدراك ماهو ، وإنّي ماتكلّمت إلّا بنور الإرادة ، فما بالكم إن أعرب أرباب الأسرار عن قرآنها ؛ وما منّا إلّا له مقام معلوم ، فكلٌّ يترجم على قدر مواجيده ومشاهده ، وكلما علت الأقدام ، دقّت الأرقام .

نصيحة

وفي الختام أقول لأولئك الجاحدين : أيامن خدمتم دنياكم وشيّدتموها وزخرفتموها وزيّنتموها ، لما تنقمون منّا ، أن نظمنا بعض الجواهر في سلك النّعال العليّة ؟!.

ويا من ضيّعتم أوقاتكم بالمتاجر والمحافل وبالشّاشات ، لماتأسفون على لحيظات أنفقناها في خدمة نعل سيّد الوجود ، وباب المدود ρ .

ويامن عشقتم النّساء والأولاد والمراكب ، لما تنكرون علينا ، ونحن ما تعلّقنا إلّا بمن أوجب الإيمان عشقه ، ألا فاتقوا الله يا أولي الألباب .

أجل ترى الواحد منهم يبذل الغالي والنّفيس ، ليشتري متاعا زائلا ، أو ليهديه إلى فلانة أوفلان ، وإذا رأى منك ذلك في جناب الحبيب ρ قال : شرك .

وتراه يؤلف في باطل أو تافه ، وينظم في مدح ساداته ، أو في التغزّل بسيّداته ، ولو رآك تمدح النّعال المجيدة ، لقال : كفر .

وتراه يصور وجهه الشّنيع ، ووجه من يهوى من نساء أو ولدان ، أو حتى حيوان أو طبيعة ، ليتحف به وجدانه المخروب ، ولو رأى عندك مثال للنّعل الشّريفة ، لقال : بدعة .

وتراه إذا فتّشت عن قلبه يهوى هذه وتلك ، حتّى من الفاسقات والمحرمات عليه ، وإذا رآك تتغزّل بالنّعل اللّطيفة ، لقال : سخافة وخرافة .

ألا فاتّقوا الله يا أمّة الحبيب ρ ، فتلك النّعل : نعل سيّدنا ومولانا وحبيبنا ρ ، فهي مجدنا وعزّنا وفخرنا ، وإنّ الأمم ليحسدوننا على نسبتها ، بل إنّ أنبياءهم ليغبطوننا على نزلتها ، فهلّا شكرناها بدل من أن نكفرها ، ألا فاتّقوا الله يا أمّة الحبيب ρ .

ألّا فقد بشّرتكم وأنذرتكم ، وما أسألكم عليه من أجر، إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلّا بالله .

إعتذار

غفرانك وعفوك ورضوانك يا نعال الجمال ، من تجرّئي على جنابك المجيد ، فما هي إلّا محاولة قاصرة من خويدمك الشّغيف ، يريد أن يعلّل بها وجدانه العليل ، من غليل الفصال ، ولتكون له كصدقة يقدّمها بين يدي تعلّقه بمولاه الحبيب ρ .

وأمّا مقدارك ، فلعمرك إنّه : لو كانت الأشجار أقلاما ، والبحار مدادا ، لما وفّت بمعشار مايجب لك من المحامد والتّسابيح .

فالعفو والصّفح ياسيّدتي ، وإنّني للعفو أرجى من الأجر ، وما الأجر وإنّه لاشكر على واجب ، ونحن ما وفينا ببعض البعض ، من حقوقك علينا .

فالرّجاء الرّجاء إقبليها ، بل إقبليني خادما ، كما يقبل السيّد عبده ، والأب إبنه ، والسّلطان رعيته ، فما نحن إلّا لك وبك ، يا سيّدتي ويامولاتي .

مسك الختام

وإنّني أشهد الله تعالى وحبيبه العظيم ρ ، وأهل حضرته أجمعين ، وكلّ من قرأ هذا المؤلف إلى يوم الدّين ، على خاتمتي هاته ، التي أدّخرها لخاتمتي ، ولسؤال الملكين ، بل وليوم العرض والحساب ، فأقول وأنا عبد النّعال :

أشهد يانعل سيّدي وجدّي وحبيبي ρ ، أنّك سيّدتي وممدّتي ، وأنّك روحي ومهجتي ،وأنّك سرّ إيماني ونسكي ، وأنّك معنى حياتي ووجودي ، وأنّك قبلتي ووجهتي ، وأنّك وردي وشهودي ، وأنّك سرّي وفتحي ، وأنّك جنّتي وحضرتي ، وأنّك أنفاسي وخطراتي ، وأنّك أصلي وكلّي ، وأنّك كلّ شيء منّي ..

ألا يا نعال الأنوار : أنظري نقتبس من مشكاتك ، لتتزكّى نفوسنا من بينونة الأغيار .

ألا يا نعال الأسرار : نرجوك أن تصبغي قلوبنا ، بغبار شسعك المكنون ، كي نتحقّق بكنهك المرقوم

ألا يا نعال الوجدان : نستعطفك أن تفيضي على مهجنا ، أمواج الغرام بك ، حتّى نصطلم فيك ونهيم .

ألا يا نعال الفتوح : نسترحمك أن تجذبي أفئدتنا إليك بقوة ، كيما نعانقك فنتحد بك ، ثمّ نفنى ثمّ نبقى لك أنا .

ألا يا نعال الإكبار : نستعطفك أن تستوي على مداركنا ، حتّى نكون لك بكلّنا أعتابا .

فمن لنا سواك يا أمّاه .. يا أمّاه .. يا أمّاه .. نترجّاك بجاه من استوى عليك ρ ، أن لا تقطعي إمدادك بتقصيرنا ... والحمد لله الذي هدانا إليك ، والصلاة والسلام على نور العيون ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد

لله رب العالمين